



أحمد ناجي

والنمور لمجرتي

رواية



عنوان الكتاب: والنمور لحجرتي
للمؤلف: أحمد ناجي
مراجعة لغوية: محمد حمدي أبو السعود

مركز
المحرسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت، ف: - 002 02 28432157



mahrousaeg



almahrosacenter



almahrosacenter



www.mahrousaeg.com



info@mahrousaeg.com



mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران

مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٢٠١٩ / ٣٧١١٨

الترقيم الدولي: 8-790-313-977-978

جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية

محافظة لمركز المحرسة

٢٠١٩

والنمور لحجرتي

لم أدعُ

أحمد ناجي

الطبعة الأولى 2019



بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤون الفنية

ناجي، أحمد
والنمور لحجرتي: رواية/ أحمد ناجي. - ط 1
القاهرة: مركز المحرسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2019

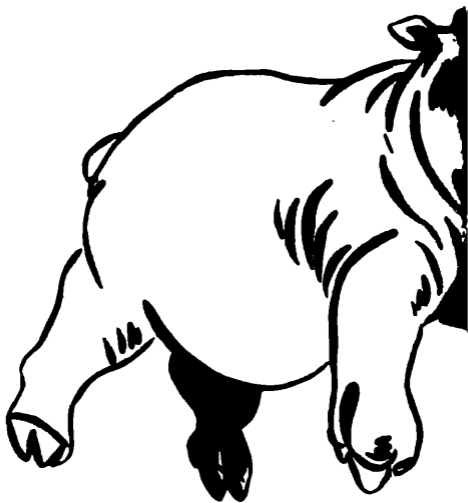
271 ص: 19.5×13.5 سم
تدمك 8-790-313-977-978

1 - القصص العربية

أ- العنوان

813

رقم الإيداع 2019/27118





t.me/qurssan



الفصل الأول

كفن الشاورما السوري

نقفُ هنا على بيان يوشك أن يتهاوى في أي من الفصول التالية. فتح "نسيم" الباب فرأى بقع الدم على رقبتها وصدرها والجاكيت الذي ترتديه. فزع وتراجع خطوة للوراء. ابتسمت وقالت: "لا تقلق أنا بخير، ليس دمي".

همُّ بعناقها فاتحًا ذراعيه، صدته بيدها، وقالت: "علقت في مظاهرة ورائحتي قنابل دخان". دخلت المنزل، ثم أغلقت الباب خلفها. استدارت ومدتُ رأسها، فقبلها قبلة على الخد الأيمن للترحيب وواحدة على الأيسر للصدقة. وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا.

لاحظت تكديس كراتين وصناديق خشبية في الصّالة، فأخبرها أن شريكه في السكن بسبب الأحداث الأخيرة وحظر التجوال توقف عن تقديم عروضه في الفندق، فلم يعد أحد يهتم بعروض السحر، خصوصًا بعد توافر العجب والموت في الشوارع. رغم معرفتها بالشقة جيدًا، فإن صناديق وأدوات وملابس الساحر "مجدي" أضافت أبعادًا مختلفة للمكان، جعلتها تتوقف مع كل خطوة لتتفحص ركام الألعاب والخدع والأيدي الخفية.

شعرت أن الشقة اتسعت، على الرغم من المفردات المتناثرة التي تكديس بعضها في أكوام هرمية صغيرة تصل إلى حد السقف. بدا نسيم خجولًا من هذا الوضع، وبدلاً من الاطمئنان عليها أو سؤالها في أي مظاهرة كانت، ولمن هذه الدماء، أكمل لها حكاية الساحر "مجدي" كما يظن أنه يعرفها.

فخال الساحر مجدي أول من علمه الصنعة وخفة اليد، لكنه فضّل للعمل أسلوبًا آخر، وانفصل عنه محققًا قدرًا من الشهرة حتى إنه سافر أكثر من مرة لتقديم عروضه في الخارج. مع ذلك حافظ على مودته وتقديره لخاله. تشارك الاثنان في تأجير مخزن ناحية "كوبري الخشب" لتخزين الملابس والإكسسوارات وأحيانًا ما يستخدمونه للتدريب أو كمعمل لتطوير الأفكار وتجديد الحركات. مع تدهور الأحوال لم يعد الخال يدفع إيجاره.. قاطعته فرح، "أنا محتاجة استحمي مش مستحيلة ريحتي ولا الدم اللي عليا، عندك تي- شيرت نضيف؟"

"عندي" قالها واتجه لغرفته، تبعته واستحثته ليكمل حكاية الساحر مجدي قائلة: "وبعدين؟"

"أبدأ يا ستي" تحمل مجدي إيجار المخزن، لأنه يحب السحر ويحب خاله، لكن تدهورت الأحوال، ورفع صاحب المخزن الإيجار فلم يستطيعا الدفع، لذا أحضر مجدي كل الأغراض إلى المنزل.

أخرج نسيم "تي- شيرت" أبيض. رفعه أمام صدر فرج، وقال أظن هذا يناسبك. أنزلت سحاب الجاكيت الجلدي الذي ترتديه، فبان قميصها الأزرق أسفل منه، مُلطخًا بالدماء. خلعت عنها الحقيبة الجلدية الصغيرة. علقتها في مقبض باب الدولا، ثم نضت عنها الجاكيت ووضعت على الكرسي المقابل لطاولة الكمبيوتر، وأجهزة التوليف الموسيقي حيث كان نسيم يعمل قبل وصولها. سألته "أليك منشقة في الحمام؟" لكن لم تنتظر الرد واتجهت إلى الممر الذي يقع في آخره باب الحمام.

رفع نسيم الجاكيت الجلد الخفيف عن الكرسي. لمس بقعة الدم المتجلطة عليه. قريبا من أنفه وشمها. عرق، دخان، وحرائق. علق الجاكيت على مقبض الباب وجلس على كرسيه.

نظر إلى الشاشة ولم يتذكر ما الذي كان يفعله، فشغل الملف الصوتي الظاهر أمامه. كان الملف مجزءًا إلى "تراكات" مُنفصلة غير مُدمجة، لحن يضم في جنباته ما لا يقل عن 12 آلة موسيقية مُختلفة إلى جانب عشرات المؤثرات المتباينة.

عمل رائع في الفرن يتم طهوه، ولكن مرة أخرى خبط نسيم كفيه بوجهه، ولعن حظه وسب الدين لنفسه.

انتابت هذه الحالة نسيم عدة مرات مؤخرًا، يندمج لساعات طويلة للعمل على مقطوعة موسيقية ما. تستغرقه التفاصيل. يشعر أنه ينتج أعظم وأجمل موسيقى، يحس بالنبضات ترقص في شرايينه. ينفصل عن محيطه ويتوحد هو والآلة. لحظات نادرة يصبح فيها الكمبيوتر لا شاشة وكيورد وماوس، بل آلة موسيقية يتصل بها عضوياً ويتبادل معها المحبة والحب والابتكار، ثم فجأة يقطعه من هذه الحالة أي سبب، كرنين التليفون أو مقاطعة الساحر مجدي، أو زيارة مُقاجئة من فرح، فيشعر بيد باردة تقرص معدته، وحينما يعود يجد أنه نسي ما كان يفعله، ويصير على حالته الآن، أبله في مواجهة الكمبيوتر يعافر ليستعيد اللحظة التي انسابت. حفظ الجلسة والملفات التي يعمل عليها في ملف خصصه لهذه التجارب باسم "سقط الذاكرة".

تمطى في الكرسي، وقام ليجلس على الوسائد العربية المفروشة على الأرض. تحتوي غرفة نسيم على سرير خشبي صغير، دولاب، وطاولة العمل التي يطلق عليها "الاستديو"، وفي الزاوية عدد من الوسائد والمساند الإسفنجية، و"طبلية" بلدي من البلاستيك ماركة الهلال والنجمة، عليها طاولة معدنية تحمل "سبرتاية" قهوة وثلاثة فناجين، وبرطمانًا للشاي، وآخر للقهوة وثالثًا للسكر. على الطبلية مطفأة سجانر ممتلئة،

منشور دعائي لصالة رياضية مطوياً نصفين، علبة سجائر وقطعة خشيش، ودفتر ورق بفترة، مجموعة قصصية لمحمد حافظ رجب، بكرة مناديل حمام، أوتار جيتار، مناديل مطهرة معطرة محفوظة في كيس خاص مغلق لحمايتها من الجفاف، موبايل نوكيا قديم الطراز، سماعات موبايل، وثلاث ولاعات. تناول واحدة صفراء هزها، ثم أشعل بها السبرتاية.

أمسك كنكة القهوة. قام من مكانه متجهًا إلى المطبخ، مشى في الممر الذي احتل نصفه تابوت خشبي ترفعه أربع أرجل بيولوجية.

توقف في منتصف الطريق ثم استدار عائداً إلى باب الحمام، وضع أذنه عليه فسمع صوت المياه المنهمرة. نادى من خلف الباب. "فرح تشري قهوة؟". "إيه؟" جاوبته، فكرر النداء "تشري قهوة؟" توقف انهمار المياه للحظة وجاءه صوتها "بتقول إيه؟". "باقول لك تشري قهوة؟". "يا ريت!" جاوبته.

ثقل الطريق وكثافة المسيرة حين نمشيها على الأقدام تختلف إذا قطعناها محلقيين في الطائرة، أو محلقيين في شاشة خريطة إلكترونية، ونقطة بيضاء تمثل شخصيتنا الافتراضية وهي تقطع الطريق، بينما نراقبها. بحلق نسيم في البن الذي تتكاثف طبقاته في الكنكة، حينما سمع صوتها تسأل "ما هذا؟".

انتبه مستفيقاً من غيبوته، وإن كانت أقرب لجلسات الكرى. نظر حوله، صوتها يأتي من الممر، ولم يكن بإمكانه أن يخمن عن ماذا سؤالها.

- إنتي بتسألني عن إيه؟

ظهرت على باب الغرفة، تلف منشفته الزرقاء على رأسها، ترتدي التي-شيرت الأبيض على اللحم.

في "تي-شيرته" الأبيض القديم الذي يحمل شعار معسكر إعداد القادة بحلوان، باهتاً من تكرار الغسيل، كانت جميلة فقط. شعر نسيم بثقل الشهوة على تفكيره، لكن فارت القهوة، فأسرع لالتقاط الكنكة من فوق السيرتاية. كررت سؤالها "التابوت اللي في الممر، بيعمل بيه إيه؟"

أجابها وهو يصبّ القهوة "ليس تابوتاً، بل لعبة كفن الشاورما السوري."

اختفت في الممر للحظات ثم عادت واقفة في الباب، ممسكة سيفين لامعين أشبه بسكاكين الشاورما. تموضعت مقلدة بطلات أفلام الحركة. بدا الباب حولها كإطار لوحة، واللوحة موضوعها ساقاها العاريتان، والمنشفة الزرقاء، تاج الأميرة المحاربة.

حركت ذراعها اليمنى في حركة دائرية وهي قابضة على السيف. رفعت ذراعها اليسرى من أسفل إلى أعلى، وقفت في وضع استعداد قتالي بالسيفين، قلدت بفمها أصوات المؤثرات الصوتية في الأفلام. ابتسم نسيم وانفثأت ففقايع السعادة في

معدته. حركت ذراعيها وناورت بالسيوف بعشوائية، في حركة غير محسوبة رفعت السيف الأيسر عاليًا فارتطم نصل السيف بدرفة الدولاب المفتوحة، لينزلق المقبض من يدها، وبقوة رد فعل الارتطام ارتد نصل السيف ليرتطم بكتفها، ثم وقع على الأرض مُصدرًا صليلاً معدنيًا. انبثق الدم من كتفها. تأوهت وقالت "آي". قهقهه قائلاً "يا دين أمي"، أوشك أن يكمل سخريته لكنه شاهد بقعة الدم الحمراء تتسع تحت التي- شيرت.

نهض فرغًا ومد يده إليها، رمت السيف الثاني على الأرض وهي تتأوه، وأجلسها بجواره. الجرح لا يتجاوز طوله السنتيمتر، لكن الدم يسيل قائمًا. قبض كومة من البن، باليد الأخرى، وجذب طرف الأياقة، لكنه لم يكن ليطول الجرح. شمر كم القميص حتى كتفها ثم وضع البن على الجرح.

"آه!" تأوهت.

كتم الجرح بالبن. شعر بحرارة جسدها تحت أصابعه، رفع يديه ليعاين الوضع، كتفها مثل أصابعه مغطاة بالدم والبن. ود لو ينحني ويلعق دماءها المخلوطة بالبن. سألها "بتوجعك؟" نفت بهزة من رأسها.

رشفت القهوة. ثم وضعت الفنجان وتناولت حزمة مناديل ورقية من فوق الطاولة. وضعتها مكان الجرح.

كانت ذات نهدين صغيرين، شفاه دافئة، ذراعين قويتين اكتسبتهما بحكم المنهة، عينين بنيتين يعلوهما حاجبان مُنمقان، أكملت ثمانية وعشرين عامًا منذ بضعة أشهر، تحب

الجبن بمختلف أنواعه، وتكره الزيتون الأسود وأسماك المياه العذبة. ولدت في الإسكندرية وشهدت منذ ساعات مذبحة صغيرة. أما هو فيصغرها بخمس سنوات، لم يخرج اليوم من المنزل ولا يعرف ما يدور في الخارج ولا يهتم بأن يعرف، لا يثق في السياسيين ويحب الموسيقى، ويرغب أن تكون عمله الوحيد. لديه شفتان ممتلئتان، وبشرة بيضاء تكسوها مسحة من الصفرة، ويشعر برغبة جارفة في أن يسقط الآن على الأرض ويمرغ وجهه في بياض فخذيتها. حمداً لله أنه يرتدي بنطالاً فضفاضاً يداري على انتصابه المفاجئ. ثم انفجرت فرح باكية. ارتبك، نادى عليها رغم وجودها أمامه "فرح .. مالك؟"، ارتفع نحيبها. شعر أن الصبح أن يمد ذراعيه لها، يحتضنها كما يفعل الصديق لصديقه، كما فعلت هي له حينما كان محطماً مكتئباً، استمعت وربتت على ظهره. هذا النوع من البكاء يعرفه جيداً وأي كلام سينطق به سيزيد من النحيب، ما يحتاج إليه الباكي في تلك الحالة هو الحضان، جسد آخر يتكئ عليه. لكنه خجل من هذه الخطوة بسبب شهوته التي فاجأته، وانتصابه الذي اشتد أكثر مع دموع فرح. أخذ يتأتى ويتلفت حوله ويهمس، "فرح، حصل إيه بس؟ فرح، مالك؟" بعد تردد، مد كفه ووضعها على كتفها، ربت عليها ببرود محاذراً أن ينسل أي خيط من مشاعره المضطربة. تناولت فرح منديلاً من بكرة المناديل، كومتها في يدها ومسحت دموعها.

هدأ البكاء وتحول النحيب إلى خنين. التقطت نفسها وتحول الخنين إلى هرنفة. عرض عليها نسيم أن يلف لها سيجارة، فهزت رأسها موافقة.

أشعل السيجارة وأخذ منها نفسًا ثم سألها: "الدم دا منين؟ وكنتي فين؟" تناولت السيجارة من بين أصابعه وقالت "مش مهم دلوقتي". كل الحكايات متشابهة، كل من في البلد وجدوا في تعدد الأجساد أضمن طريقة للقضاء على تنوعها. الفرد أصبح غير ملحوظ بل غير مرئي، والجموع صارت هي ما يمنح للتعبير حيوية. الجميع يتقدم في طوابير ومسيرات بالحماس ذاته، سواء أكانوا في طريقهم نحو نيران البنادق ودخان القنابل أو نحو مول تجاري جديد.

رن هاتفها، فناولته السيجارة ونهضت لتخرج الهاتف من حقيبتها المعلقة في مقبض الدولاب. غرق نظر نسيم بين كفليها، لم يفهم لماذا تتحرك عارية هكذا حوله، حينما كانت جالسة أمامه منذ لحظات كان بإمكانه رؤية كل شيء، حتى إنه لاحظ عدم وجود أي شعرة بين فخذيها، كس بريء براءة النونو الوليد. ثم تبخر كل هذا حينما سمعها تجيب على الهاتف "أيوه يا حبيبي".

خرجت من الغرفة ممسكة بالموبايل. كانت تتحدث إلى أحمد، وتطمئنه أنها بخير، تهمس بشوقها له، تطلب منه شراء سجائر وجبن رومي وخبز فينو. تبددت شهوة نسيم، أحس أنه يخون نفسه أولاً قبل خيانتته لصديقه. أنه ضميره، لكن

مذاق الخيانة على طرف لسانه بدا أشهى من تفاح الجنة المحرمة.

رن جرس الباب فقام من مجلسه متجهًا إلى باب الشقة. كانت تختم مكالمتها مع زوجها "باي يا حبيبي". سألها وهو يناولها السيجارة مرة أخرى "كله تمام؟" فقالت:

- آه.. أحمد سيمر ليأخذني إلى المنزل، إنت مستني حد؟

جاوبها وهو في طريقه ليفتح الباب "مش عارف". دخلت الحمام، في حين فتح هو الباب فوجد الساحر مجدي يحمل تحت ذراعه اليمنى إنسانًا أليًا يبلغ طوله نحو متر، وفي اليد الأخرى ثلاث بلالين كبيرة؛ حمراء، زرقاء، وخضراء. سأله نسيم وهو يتنحى عن الباب ليسمح له بالدخول "فين مفتاحك؟" ناوله البلالين حتى يتمكن من عبور الباب، "نسيته عند خالي، امسك دول كدا".

أمسك نسيم البلالين الثلاثة، كل واحدة يبلغ قطرها النصف متر. أفلتت البالونة الحمراء من يده، لكن بدلاً من أن تسقط على الأرض بفعل الجاذبية وتتحرك تحت تأثير قوانين نيوتن للفيزياء، طارت في خط مستقيم باتجاه باب الحمام المغلق.

- تعالي هنا، رايحة فين؟

نادى الساحر مجدي على البالونة الحمراء، ثم سأل نسيم "حد هنا؟". قال له نسيم "آه فرح". بتلقائية رد مجدي "سلامتها إيه البلي عورها، جرح كبير؟". أجاب نسيم "كانت

تلعب بسيوف التابوت وجرحت نفسها". شعر الساحر بخجل شديد حتى بان اللون الأحمر على وجهه ذي البشرة السمراء، محرّجًا أجاب "أنا آسف جدًّا، أوعدك في أقرب وقت سأجد مكانًا لكل الأدوات، أنا أعرف أن البيت ليس المكان المناسب لهذه الأغراض".

ود نسيم لو يحتضن الساحر مجدي حينما نطق بهذه العبارة الأخيرة. لم يقابل نسيم من هو أطف وأجمل منه. في عالم متوحش ومدينة قذرة ووحوش يلهثون في سباق الفقر والمذلة يبدو مجدي بأخلاقه وذوقه كفارس من زمن مختلف. لم يسمعه يتعارك أو يرفع صوته عاليًا. لم يترك كوبًا أو ملعقة مُتسخة خلفه. حينما يغسل الملابس يكوي ملابسه وملابس نسيم، لم يعرف نسيم أن البوكسرات والملابس الداخلية يمكن كبتها، إلا حينما انتقل للسكن مع مجدي. برر الأخير الأمر بأن كي الملابس الداخلية خطوة مهمة لقتل البكتيريا وتطهير الملابس. يعرف الساحر الخدع السحرية التي تجعل الحياة أسهل، حينما يُسد حوض المطبخ أو البانيو في الحمام يحضر بيكربونات الصوديوم، ويسكب البودرة في البلاعة ثم يسكب الخل، فتخرج الفقائيع والرغاوي من البلاعة، وتنحل السدة وينساب الماء.

كان مجدي هو من شجعه على إنتاج موسيقاه الخاصة، وحثه على عدم استنزاف طاقته في العمل للآخرين. يذكره دائمًا بأحلامه في الصباح، فمجدي لديه القدرة على رؤية أحلام الآخرين إن كانوا نائمين على بضعة أمتار منه. لم يتبرم يومًا من

والنمور لحجرتي | 19

الموسيقى التي يلعبها نسيم مهما ارتفع صوتها، وإن كان نائمًا، لا نجده يصحو منزعجًا ليطلب بخفض الصوت. سأله نسيم مرة إن كانت الموسيقى تزعجه، لكنه أجاب "لا. حينما أذهب للنوم فلا أكون هنا".

دائمًا بشوش، يحب الاستماع إلى موسيقى الميتال في الصباح، لا يحب شرب الشاي. طويل القامة، أسمر البشرة يرتدي نظارات مستديرة تشبه نظارات "هاري بوتر"، ولا يرتدي القمصان الكاروهات، يحب سلسلة أفلام "مملكة الخواتم" ويعتقد أنها مبنية على أحداث حقيقية، يبدو أنيقًا في البدلة الرسمية السوداء حينما يذهب إلى العروض. يشعر بالخجل منذ اضطراره إلى تحويل البيت إلى مخزن لأدواته، ولا يكف عن الاعتذار إلى نسيم عن ذلك.

أنزل الساحر مجدي الروبوت الذي يحمله على الأرض. فحصه وتأكد من استقامة هيكله ثم صفق بيديه وخاطبه: "هالو شلبي، هل تسمعي؟ إن كنت تسمعي بربش بعينيك مرتين". أغلق الروبوت الشبيه بأطفال البشر جفنيه وفتحهما مرتين.

شبيه بأطفال البشر لكن ليس لديه جلد بشري وبدل العظام واللحم لديه مفصلات معدنية وسلوك حمراء وخضراء. مد مجدي يده وسط غابة الأسلاك في معدة الروبوت المفتوحة، ثم سحبها وأخرج بطارية صغيرة حجم بطاريات الريموت

كنترول، أسدلت ستائر النسيان ونزلت أجفان الروبوت على عينيه.

فتحت فرح الباب وهذه المرة ترتدي البنطلون الرمادي الذي أتت به، وإن كانت لا تزال ترتدي التي- شيرت الأبيض بلا حمالة صدر تحته. قفزت البالونة الحمراء في الهواء، فزعت فرح وهمت بالتراجع داخل الحمام، لكن البالونة كانت أسرع منها وهبطت على كتفها الجريحة. مرة أخرى لم تتبع البالونة قوانين نيوتن المقدسة بل التهمت كتف فرح. هرول مجدي نحوها "أنا آسف، لا تخافي لن تؤذيكي". ثم خاطب البالونة الحمراء غاضباً "سخمت عيب كده" لكن البالونة أكملت التهام كتف فرح.

شعرت فرح بزغزة باردة في البداية، ثم أحست بعشرات الأصابع الصغيرة تدلك جرح كتفها. نظرت باندهاش للبالونة الحمراء التي تحولت لدمل ينبثق من كتفها، لم تعد تشعر بآلام من جرح كتفها، بل كأن هناك قطعة تلتصق بجرحها فيطيب. اقترب مجدي مُمسكاً بالبالون الأخضر والبالون الأزرق، ضرب الاثنین أحدهما بالآخر ثم أخذ يضغط أكثر فتداخلا حتى صارا بالوناً واحداً سماوي اللون. نادى مرة أخرى على البالون الأحمر بلهجة متوعدة "سخمت، سأعد لثلاثة". ارتفع البالون الأحمر عن كتف فرح مُغادراً. طار بخفة مثل أي بالون وهبط على البالون السماوي، التهم كل منهما الآخر حتى أصبح الاثنان بالوناً أبيض. بحركة مسرحية بيده الأخرى انحنى الساحر مجدي، انحناءة تحية الجمهور.

والنمور لحجرتي | 21

- برافوو..

صفق نسيم، فصفقت فرح. فتح مجدي باب غرفته ورمى البالون الأبيض وأغلق الحجره، وقال:

- اعذريني، أنا آسف.. عفاريت الثلاثة.

تحسست فرح أثر الجرح الذي التهمه البالون سخمت وردت عليه "على إيه؟ بالعكس". شدت ياقة "التي-شيرت" ونظرت إلى الجرح. التأم كأن لم يكن.

مدت يدها إلى الساعر مجدي لتناوله الجوينت، فتناوله منها "الله وكمان فخفخينا، أنا طول اليوم نفسي في جوب. الشوارع مليانة مظاهرات واتعذبت بالحاجات دي في الزحمة".

دخل الثلاثة غرفة نسيم. جلست فرح ونسيم على الوسائد الأرضية بينما جلس مجدي على السرير وأشعل الجوينت. لاحظ نسيم أن نهدي فرح حدودهما واضحة تحت "التي-شيرت". شعر بحرج بالغ من جلوسها هكذا أمام مجدي، على الرغم من أن مجدي بدا غير مهتم، إذ أخذ يحكي عن والدته التي هاتفته اليوم وصرخت في التليفون تطلب منه العودة إلى البيت. تذكر نسيم أن فرح دائماً ما عبرت عن ضيقها من حمالات الصدر، وكثيراً ما ارتدت ملابسها دون حمالات صدر، لذا جلوسها دون حمالة صدر لم يكن تصرفاً جديداً عليها، بل مشاعره تلك هي الإشارة لاضطراب علاقته بفرح، شيء ما حدث اليوم. تمنى لو لم يأت مجدي. لو كان أجراً، لو أنه غامر بكل شيء وسقط مغشياً عليه أمام ساقها. في جسمه فارت الهرمونات

22 | والنمور لحجرتي

والفرمونات ولم يعرف هل يعاني من الهيجان، أم رغبة تطفو في محيط الذات وتشب برأسها ممسوح الملامح.

يريدها هنا بجواره، يريد أن يتحدث معها كأنها يتعرف إليها للمرة الأولى، يريد أن يتحدث بلسانه وسائر أعضائه، يريد التهامها، أن يفتحها وينقب عن هذه النقطة، هذه الجاذبية الوحشية الغامضة التي تؤرقه.

كأنما تنبهت لما يدور في ذهنه نظرت إليه، سألته "نزلت لي الألبوم الذي طلبته منك؟" بخلق فيها دون إجابة، نزعمت المنشفة عن شعرها، وانساب شعرها مجعدًا مبلولاً على كتفيها. كررت جملتها "هالو إنت فين؟". انتبه كمن عاد من عالم آخر، تلعث ثم رد: "لا لسه بانزله".

لكي ينقذ نفسه من بحر الظنون، تشبث بحكاية مجدي فسأله:

- يعني إنت هتروح لأمك في الآخر والا إيه؟

ينتمي مجدي إلى عائلة نابهان وحوش المقاولات، يملكون أكثر من كمبوند سكني ومشاريع عقارية في الإمارات، المغرب، أوكرانيا، وشبكة علاقات تختلط فيها السياسة بأنشطة اقتصادية مختلفة. عمه كان أحد رموز الحزب الوطني قبل الثورة، وتعرض للمحاكمة والسجن بعد الثورة، لكن والده وإخوته يعملون بعيدًا عن السياسة. أما عائلته من جهة والدته فكما يصفهم ساخرًا دائمًا من كبار تجار الآثار والسلاح في الصعيد، مجموعة من الأشراف يمتلكون امتيازات قبلية متوارثة منبعها

والنمور لحجرتي | 23

نسبهم الشريف. هذا النسب جعلهم يتبرؤون من خاله حينما قرر احترام مهنة الترفيه وخفة اليد. قاطعته العائلة، لكن والدة مجدي حافظت على روابط الأخوة. كان يأتي لزيارتهم، وبالطبع يستعرض أمامهم بعض الألعاب الخفيفة. حيثما حل ينشر "سام" البهجة والضحك والتفاؤل. ووقع مجدي في حب خاله، وحينما صار مُراهقًا أصبح يشتري كتب تعلم خدع الورق والألعاب السحرية كلما سافروا إلى الخارج، نفذ كل طلبات عائلته وكان مثال الابن البار حتى تخرج من الجامعة الأمريكية وقالوا له مبروك يا باشمهندس، لكنه سلم الشهادة لوالده، وتبع مصير خاله تاركًا المنزل.

عائلة مجدي توقعت هذا المصير. علق والده "على الأقل لم يدمن المخدرات ويمشي سكران يدهس الناس" في إشارة لابن أخيه الذي تورط في سنوات الحزب الوطني فيما سيعرف بمذبحة ملهى أركاديا.

إخوته الذين يديرون أعمال العائلة احترموا قراره، نصحوه بالسفر والعمل في الخارج، بل تدبر أخوه الأكبر فرصة له للعمل في لاس فيجاس، رأوا في سفره هناك تخلصًا من إحراجهم لهم وفرصة له لتحقيق ذاته والنجاح والعمل في صناعة التسلية العالمية. لكنه رفض دائمًا مغادرة مصر لفترات طويلة.

شرح الأمر في ساعة روقان لنسيم، نوع السحر الذي أمارسه ينبع من مدرسة "كيمت"، وطموحي أن أسعى لتطوير السحر الكيمتي، وأضيف إليه العلم الحديث والخدع العصرية. كما

أن ارتباطه بالخال سام وإصرار الأخير على البقاء في مصر، جعلنا مجدي أكثر رفضًا لكل محاولات العائلة إرساله للخارج.

لا يوجد سبب واضح لوقوع الخال سام في فخ عشق الكحول، هو فقط اكتشف مذاقه فقرر التخلي عن العالم وتشيد عالم آخر قوامه الفودكا. ومع ذلك واطب مجدي على دعمه، أرسل إليه فرص عمل متنوعة، وعروضًا بسيطة بدايةً من حفلات عيد ميلاد الأطفال وحتى حفلات ترفيهية خاصة لشيوخ وأثرياء عرب. دفع إيجار شقته، حاسب على مشاريعه في البارات، رماه في تابوت الحقيقة لكي يفيق، نومه مغناطيسيًا وجعله يعبر النهر ذهنيًا لكي تنكل به ماعت وتحاسبه على تبديد صحته، وفي كل مرة يفيق من نوبات السكر، يتخلص من الزجاجات، يقسم لمجدي إنها آخر مرة، يجدد له موثيق الحب والإخلاص. يتنهد مجدي ويحتضن خاله ويقبله، يقضي معه الليل ويقيم معه لبضعة أيام. تسير الحال من أفضل لأفضل لبضعة أسابيع وأحيانًا شهور ثم ينتكس من جديد، ومن جديد يبدأ مجدي معه.

لم تكن لمجدي حياة اجتماعية، لكن موضوعه المفضل كان عائلته. أدرك أن نشاط عائلته الاقتصادي والسياسي يستهوي من يقابلهم، فإن كان الشخص من المحموقين يتقمص سريعًا شخصية الابن العاق الذي تمرد على عائلته بسبب فسادها، وإن لاحظ أن محادثه شغوف بالنميمة تحدث عن فضائح عائلته متفاخرًا بعمه الذي تسرب له شريط سكس مع راقصة شهيرة، أو أخيه الأكبر المشهور بحفلاته الباذخة وشركات إنتاجه

والنمور لحجرتي | 25

السينمائي والموسيقي. لم يلمح نسيم لدى مجدي أي فخر بتلك العائلة، بل وأحيانًا ما شك في انتمائه إليها، العائلة لمجدي موضوع للتسلية يستخدمه للتقرب من الآخرين على حسب شخصية الآخر الذي يحدثه. فمع فرح الآن يتحدث عن أمه، وقلقها عليه الذي يدفعها إلى ارتكاب حماقات، ومحاولاتها لتزويجه. وبمثل هذه القصص يتأثر المستمع كما فرح الآن فتتعاطف مع الأم أو تقهقه ضاحكة، وها هي فرح تضحك، وحينما تضحك تظهر غمازاتها واضحتين، ويتمنى نسيم لو يلثم هاتين الشفتين بالقبل، لكن الرياح تأتي والهاتف يرن مرة أخرى.

ينتبه نسيم إلى أنه أحمد، يقول لها: "خليه يطلع". تخبر أحمد على الهاتف "نسيم بيقول لك اطلع نشرب سيجارة". يسمع الرد بصوت أحمد متسرّبًا من سماعة التليفون "مرة ثانية معلش". "طيب حاضر نازلة لك". تغلق الهاتف وتبدأ في جمع أشيائها وسحابة ضيق على وجهها.

لمدة ثلاثة أيام اندلعت المظاهرات في أرجاء البلاد. المعلقون قالوا إن الوضع سينفجر قريبًا ولا يحتمل هذه الضغوطات، لذا لم يكن هناك عمل لدى نسيم. قضى تلك الأيام في المنزل يمزج الأغاني والإيقاعات، ويحاول إنتاج مقطوعة موسيقى إلكترونية قرر تسميتها "فرح". منذ زيارة فرح الأخيرة لم يخرج من المنزل

إلا للضرورة. لم يرَ إلا الساحر مجدي. اتصلت به أولفيا أكثر من مرة لكنه تهرب منها مدعيًا انشغاله بالعمل.

تتوزع حياة نسيم الاجتماعية بين عوالم مختلفة. أحد تلك العوالم، شبكة علاقاته بالأجانب المقيمين والزائرين بالقاهرة. منذ قصة حبه ذات النهاية التراجيدية، فتح له أحمد وفرح باب ذلك العالم. عرفاه أولاً إلى كاترين. طالبة ماجستير فرنسية جاءت لإعداد دراسة على عينة بشرية من شباب الثورة، حينما اتمام معها أول مرة طلب منها أكثر من مرة أن تقرصه ليتأكد أنه لا يحلم. احتضنته تعبيراً عن سعادتها بسعادته، قبلته من رقبته حتى خصره ثم منحته أول "بلوجوب" في حياته، بعد أن افتضت بكارته ومارست الجنس معه.

تصنع نسيم في مرته الأولى الخبرة والمعرفة، بالطبع لم يخبرها أنها الأولى. نظرته للحياة تغيرت بعد تلك المرة. شعر أنه أتم الرجولة والبلوغ وبإمكانه أن يرى الحياة كما يراها الرجال، تبدت له قصة حبه التراجيدية السابقة كمغامرة تنتمي لعالم الطفولة البعيدة، لم يكن حباً بكل تأكيد بل هبلاً، هكذا قال لأحمد بعد فترة، ورد عليه أحمد "ألم أقل لك ذلك؟".

لم يقع في حب كاترين، كما لم يقع في حب أولفيا، واكتشف أن العلاقات الإنسانية -خصوصاً بين الرجل والمرأة- تحتوي على أشكال متنوعة ومتعددة ولا تنحصر في الصداقة أو الحب. كل علاقة مُغامرة جديدة لاكتشاف أراضٍ وعالم جديد.

كشفت له العلاقة مع الفتيات الأجنبية عن نوع آخر من النساء، هو الذي لم يعرف سوى بطلقة قصة حبه التي أحبها في الثانوية. قرر ألا يدخل في علاقة مع أي فتاة مصرية، وبرع مع الوقت في تقديم كل الصور الاستشرافية الذكورية التي تحبها فتاة بيضاء تبحث عن نفسها في الشرق. بالطبع كان هناك ضحايا، وارتكب الكثير من الأخطاء دفع ثمنها غالياً، حينما علمت كاترين بخيانتة لها جن جنونها وشهرت به وهمارجو الفتاة الإنجليزية، وأثر هذا في صورته في الوسط الاجتماعي للأجانب الذي كان وسطاً ضيقاً، ويعاني من نقص حاد بعد تناقص أعداد الطلبة الأجانب في مصر نتيجة اضطراب الأوضاع السياسية، لكنه تعلم من التجربة أن استراتيجيات الخروج من العلاقة في أهمية استراتيجيات دخولها، وتطور أسلوب "دع الطعام حتى يبرد" .. ببساطة مثلما يفعل الآن مع أولفيا يتعلل بالانشغال، ثم يختفي ولا يرد على التليفونات، يتعد حتى تبرد المشاعر، وحينما يلتقيان صدفة في أحد الأماكن العامة أو الحفلات الخاصة يتعامل بأدب وتحفظ كمصافحة بين غريبين.

لم تكن هناك فتاة جديدة، لذا لم يجد مبرراً واضحاً لنفوره من الرد على أولفيا. ضبط نفسه بالأمس يقلب في صور فرح، خصوصاً مجموعة من الصور التقطها حينما ذهبوا الصيف الماضي إلى البحر. كبر صورة تظهر فيها فرح ضمن مجموعة ترتدي المايوه البكيني، أحس بمزيج من الشهوة والخجل مما يفعله. أغلق الصورة وفتح صورة أخرى لها بلا بكيني.

لم يدعمه أحد مثل أحمد وفرح. أحمد هو الذي عرفه على عالم الموسيقى الإلكترونية وعلمه بشكل محترف معنى هندسة الصوت وتصميمها، إلى جانب أثره البالغ في شخصيته خصوصًا في السنوات الأخيرة، لكن رغبة طاغية تقوده ليقلب ويتأمل صور فرح زوجة أحمد وصديقه في الوقت ذاته. مد يده لا إرادياً ليتحسس قضيبه من فوق الشورت، وحينما انتبه لما يفعل تقزز من نفسه، أغلق ملف الصور، قام من مكانه واتجه للحمام وهو يخلع ملابسه حتى وقف عارياً تحت الدش البارد ولا يرجو سوى أمنية واحدة أن تتعد هذه الأفكار عن رأسه، أو يتخلص من إحساس الذنب والطعم العفن للخيانة الذي يشعر به في حلقه.

في صباح اليوم الرابع، أرسلت فرح تخبره أنها ستمر عليه بعد العمل. رد عليها مرحبًا مع "إيموجي" وردة ووجه مبتسم. حاول الاسترخاء وانتظار قدومها، لكن توتره منعه من الاسترخاء، أخذ دوش، حلق ذقنه فبان وجهه الأبيض المستدير، مشط شعره الطويل وربطه بأستك.

خرج من الحمام وحاول الاسترخاء، لم يستطع. رتب غرفته، مسح التراب عن طاولة العمل ومن زوايا الدولاب الخشبي، فرش وشاحًا ملونًا فوق الوسائد ليداري البقع الصفراء على قماشها والأخرام التي أحدثتها السجائر. نظف الطبلية، غير ملاءة السرير ثم نظر إلى فناجين القهوة المتسخة والأكواب التي نما العفن على بقايا الشاي في قاعها. جمعها كلها وذهب بها إلى المطبخ. غسل الأكواب والفناجين وكذلك كل الأطباق

والنمور لحجرتي | 29

المتراكمة في الحوض. ملح في دولاب المطبخ عددًا من فناجين القهوة الفضية. خَمَن بالطبع أن مجدي هو من أحضرها، أخذ اثنين من فناجين الفضة إلى الغرفة، نظف السبرتاية، و.. أكمل كل التفاصيل وأعاد وضع الأنصبه وتغطية ما يعكر صفاء السنتمنتالية.

هذه المرة حينما فتح لها الباب عانقته عناقًا طويلًا، سارت خلفه في الشقة حيث لا تزال ألعاب مجدي متناثرة، عبرا الممر وهي تشكو من الحر. دخلت وجلست على الوسائد الموضوعة على الأرض، أحس بإحباط خفيف لأنها لم تعلق على نظافة وترتيب الغرفة. في الحقيقة هي لم تلاحظ أي اختلاف. أنزلت حقيبتها عن ظهرها، أخرجت أولاً "التي- شيرت" الأبيض. قالت وهي تفرده أمامه أنا غسلته بالكلور وطلعت بقع الدم والبن اللي كانت فيه. تمنى لو لم تفعل ذلك. ثم أخرجت "الهارد ديسك" وقالت "ضع الموسيقى التي طلبتها منك هنا، ولو عندك أفلام".

ترك المواد تنتقل من جهاز الكمبيوتر إلى الهارد وجلس بجوارها، لم يكن لديه ما يرويه لها، قال إنه فقط لم يخرج من المنزل ولم يقابل أحدًا، سألها عن العمل، أجابت باختصار. صب القهوة. أبدت إعجابها بالفناجين الفضية، لكنه لاحظ غيمة شاردة في وجهها، شيء آخر يشغل بالها، جاثوم يكبس عليها. لم تكن تبسم وهي ترد الردود الروتينية على أسئلته وتقول "عادي، وماشي الحال". سألها:

- أن تخبريني دماء من التي كانت على قميصك؟

تكلمت بهدوء بصوت مسررم وما هي بمسرمة.

يومها أنهت عملها في المستشفى وقررت الذهاب إلى المنيل
سبث يتمرن أحمد مع الفرقة في الاستديو. في التاكسي علقت
في الزحام فوق الكوبري. السيارات متوقفة ولا أحد يعرف
السبب. ثم سمعت دوي الرصاص وانطلقت قنابل الغاز. من
التاكسي شاهدت مظاهرة ترفع صور الرئيس المدني المنتخب
بهرسها من الجانبين شباب يمسون الهراوات. نظرت خلفها
شاهدت مظاهرة أخرى تهتف بسقوط المرشد والشرطة تقف
بلفها في تكاسل. سائق التاكسي تلفت مضطربًا وأخذ يبسل،
بينما مظاهرة الرئيس المدني تتقدم نحوهم، شاهدتهم من
النافذة، شيوخ وشبان وفتيات محجبات يرفعون صورة الرئيس
ويهتفون هتافات متداخلة يقاطعها نفي أبواق السيارات، ثم
دوى الرصاص وانطلقت قنابل الدخان.

هرول متظاهرو الرئيس المدني متراجعين في حين سقطت
القنابل من حولهم في التاكسي، أسرع تعلق النافذة ودوي
الرصاص يعلو، انفجر الزجاج الخلفي للسيارة وسقط عليها.
صرخ السائق في هستيريا ثم رآته يفتح الباب ويترك السيارة
هاربًا. حافظت على هدونها، ولفت الشال الذي تحمله معها
حول فمها وأنفها، داهمتها رائحة قنابل الغاز. فتحت باب
السيارة، وخرجت منها فوجدت نفسها على رصيف المشاة
فوق الكوبري الذي تحول إلى ساحة معركة، وتحت في النيل

والنمور لحجرتي | 31

تسير المراكب النيلية مشعة بالأضواء وتنبعث منها موسيقى المهرجانات، وسط دخان القنابل شاهدت مجموعة من الفتيات والفتيان يرقصون في مرج وحب في مركب صاحب بالضوء والموسيقى، تمنى لو كانت معهم لكنها كانت على الكوبري عالقة بين مظهرتين متضادتين.

بدأ الطرفان في تبادل إطلاق النار. أحنت رأسها وتقدمت مخترقة السيارات المتوقفة لكن ما إن تجاوزت سيارتين حتى شاهدت شاباً لم تنب لحيته بعد، يحمل ما يشبه البندقية الخرطوش مصنعة يدوياً، كان مختبئاً بين السيارات متكوراً على نفسه وبندقيته. استغرقها الأمر لحظات لترسم مساراً تبعد فيه عنه، لكن شاهدت الشاب ينتصب قائماً وهو يصرخ "إما النصر أو الشهادة يا ولاد الكلب.. يا ولاد الكلب النصر أو الشهادة". بووم. سقط أمامها مباشرة. تبيست فرح مكانها. لم يمّت الولد بل سقط على جانبه وتعلقت عيناه بعيني فرح، والدم ينزف من صدره ورقبته، ويخور كعجل مذبوح عاجزاً عن النطق، عاجزاً عن التنفس يختنق في دمانه. شعرت فرح بالحموضة ترتفع من معدتها وتكاد تطرش ما أكلته، لكنها وضعت يدها على فمها، لبثت في مكانها، ونظمت تنفسها حتى لا تتقيأ.

هدأ صوت ضرب النار، وبدأت بعض السيارات على الكوبري تتحرك. احتاجت فرح لدقائق حتى تتجاوز الصدمة. بندقية الفتى تستلقي بجواره، وعيناه تستغيثان بفرح ويده مبسوطة. زحفت باتجاهه، قلبته على ظهره وبدأت تستعيد خطوات

الإسعافات الأولية. فحصت صدره وكان هناك أكثر من جرح، لكن الدم ينبثق قانيًا من رقبته، خلعت الشال الذي تلفه حول رقبته ووضعته على الجرح لإيقاف الدم. ارتعش جسد الصبي رعشات مُتتالية وانتفض جسده، حاولت تهدئته لكن لم يخرج منه إلا الخوار، رفعت رأسها تبحث عن مساعدة، لكن السيارات بدأت تتحرك هاربة من الكوبري. تقدمت المظاهرة المعارضة وهي تهتف. عددهم أكبر من عدد مظاهرة الرئيس المدني المنتخب، صفوفهم الأمامية تهرول يطاردون مظاهرة الرئيس الشرعي المنسحبة.

نظرت حولها، كانت المظاهرة تسير سعيدة. المتظاهرون نغمهم النشوة الوطنية ووجوههم تشرق بالأمل فرحين بانتصارهم في معركة الكوبري، وتراجع مظاهرة الرئيس الشرعي المنتخب أمامهم. لم يلتفت أحد إلى فرح والصبي الذي يموت بين يديها. قبض الولد على يديها كأنها خاف أن يجرفها تيار السعادة الوطنية الثورية وتتركه. أخذت تهدئه وهي تبحث عن أماكن أخرى ينزف منها غير رقبته.

خاطبته: "لا تقلق تنفس على مهلك".

خاطبت العابرين "هل مع أحدكم ماء؟"

خاطبت السماء.

خاطبت أسفلت الكوبري الذي يفصلها عن ماء النيل.

لم يجاوبها أحد، واستمر اندفاع سيل المظاهرة المنتصرة. جماعات وأفراد يحملون علم مصر ولافتات تسخر من الرئيس، وأخرى من المرشد، وثالثة تدعو إلى الوحدة، ورابعة ترفع شعارات حزبية وطائفية في اندفاعهم يرتطمون بها، بعضهم يتعثرون في أعضاء الصبي الجريح، يسقط ثم يقف ويكمل المسيرة. رفاق مسيرة عسيرة وصورة حشد ومواكب في عيون فرح، تنادي عليهم ولا أحد يلتفت. مع تكاثر عدد العابرين أصبحوا يدوسون جثة الصبي، حاولت أن تبعدهم عنها، لكنهم كانوا يتعثرون بها، شاهدت النعال تطأ جرحه النازف وتكمل خطواتها ملوثة بالدماء. صرخت فيهم فظنوا أنها تهتف، حملها شابان من ساقها وهتفا ورائها "كفاية ابعدوا"، خافت أن يتحرشا بها، ركلتها من أذرعها التي تحملها وأصابهم المحشورة بين ساقها. تركوها وانصرفوا لثورتهم وهتافهم، بحثت عن جثة الصبي، تلفتت حولها، لم تجدها. حاولت العودة إلى المكان الذي تركته فيها، لكن التيار جرفها بقوة الشعب والجماهير حتى وجدت نفسها وقد عبرت الكوبري ملوثة بالدماء والبكاء والعرق الثوري.

حينما انتهت من حكايتها كانت الدموع قد حفرت نهريْن على وجنتيها، وتلون أنفها وعيناها باللون الأحمر. في عين نسيم بدت أجمل ما يكون وأضعف ما يكون، أحس ببحر جديد من الانفعالات والمشاعر يعصف به. هذه المرة لم يكن هناك انتصاب، ولا تعذيب ضمير. اقترب منها فارتمت في حضنه، وانفجر شلال البكاء، بين أنفاسها المتقطعة تسب في كل شيء،

في البلد، في حياتها، في عملها، في اختياراتها الخطأ، في عائلتها. استنضها، وتمنى لو يحمل كل هذا الألم عنها، لو يستطيع أن يعيد إليها ضحكها التي كان يتأملها في صورها الصيفية، لو أن «اصفة ترابية تغرق القاهرة وتنتهي العالم ولا يتبقى سواهما. تمنى لو لم يكن لديهما كل هذا الماضي المتشابك والمعقد، لو كانت لديهما فرصة لبداية جديدة، لمعرفة جديدة ولطرق جديدة، تمنى لو كان المستقبل لا يمكن التنبؤ به، لو لم تشاهد الموت، لو لم يأتيه الحزن، لو لم يكونا في هذا البلد، لو كان البحر لا يزال أزرق.

ثم دوى رنين نغمة رسائل الموبايل، فابتعدت عنه وقد مللت دموعها قميصه، نظرت في شاشة الموبايل، ثم رمته بعيداً. في مقلتيها تحجرت الدموع وتوقفت عن البكاء، التفتت إليه:

- كمان، علشان تكمل.. تقريباً أنا وأحمد هنتطلق.

دون أن يشعر بنفسه وقعت الكلمة منه:

- بجد؟ مبروك.

الفصل الثاني

لست أقل سعادة منك يا أبو شخة

لن يهوي البنيان في هذا الفصل. أحمد هو الذي تهاوى على المقعد القرمزي في "الكافيه".

انتظر مجيء القهوة بالحليب التي طلبها وهو يشعر باضطراب ضربات قلبه، بانقباضات أمعائه، بتلك الرغبة في حك أنفه حتى انتزاعه، لكنه تماسك حتى وصلت القهوة، وحينما ابتعد الجرسون أخرج من علبة سجائره "جوينت" الحشيش الملفوف. الدعامة الوحيدة التي تتكئ عليها حياته الآن. المهدي الذي يبطن من انهيار بنيانه.

لم يبدِ الطبيب النفسي الذي ذهب إليه أي اعتراض على شرب الحشيش، لذا اعتبرها أحمد رخصة لشربه في أي مكان،

أصبح مُحترقًا في تدخينه دون لفت انتباه المحيطين به. يلف سجائر رفيعة، ثم يضع "الجوينت" في علبة السجائر العادية، وحينما يرغب يشعل "الجوينت" مثلما يشعل سيجارة عادية. يدخن وهو يلهو في الموبايل أو يتمشى في الشارع أو يتحدث مع جليسه في المقهى.

يدخن مثل من يبصق في الشارع أو يقود السيارة وهو ينظر في شاشة الموبايل. تدخين الحشيش في الطرق والأماكن العامة جعله أكثر سيطرة على نوبات البكاء التي تداهمه، وانضباطاً في انفعالاته أمام الآخرين. بل أصبح لا يدخن في المنزل أو الأماكن المغلقة، لأن التدخين قد يؤدي إلى نوبات من البكاء والاكتئاب. أخذ رشفة من القهوة ثم أشعل الجوينت، فتح الموبايل وأعاد التأمل في صور فرح القديمة.

حينما اكتشفت فرح علاقته بمي، لم ينكر أحمد، لم يبرر، لم يعتذر، ظل صامتًا وأمام صمته ارتفع صوت فرح وهي تخاطبه، لم يكن خطابًا بل استجابةً تتكرر فيه أداة استفهام واحدة، له.. له.. تردها مثل "كريشندو" حتى ارتفع الصوت وتحول لصريخ وهي ترمي ما تطوله يدها في كل اتجاه.

سيذهب أحمد إلى الإسكندرية بعد ذلك ويلتقي بمي في الموعد المحدد بينهما في الرسائل التي قرأتها فرح. ستجتمع فرح متعلقاتها الضرورية وتغادر المنزل، وحينما يعود من الإسكندرية سيلتقي الاثنان للمرة الأخيرة في ذلك المنزل.

بكي أحمد يومها، اعتذر لكنه لم ينكر، خاطبها مؤكداً حبه، قال "فرح أنت حنة مني". لكنه لم ينكر حبه لي، كذب عليها وانكر أنه "نام" معها. أدركت فرح أنه يكذب لكن رأت في إصراره على إنكار "النوم" مع مي مُبادرة رقيقة، ومع ذلك، صدمها تعبيره بوضوح عن وجود مشاعر تجاه مي، لم يقل "حب" بل استخدم مفردة "إلهام". اقترحه الذي قدمه لفرح بعد عودته من الإسكندرية، أنه لن يتخلى عن علاقته بمي، ولا يريد لفرح أن تتركه وتنفصل عنه لأنها "حنة منه". أراد استمرار العلاقتين، واعتبر تصريحه بذلك لفرح قمة الاتساق مع النفس وتعرية الذات أمام الآخر. بينما يتلعثم وهو يشرح ويقدم عرضه تملكته نشوة حب غريب لم يعرف مثيلاً لها، للمرة الأولى والأخيرة يعبر عن نفسه ورغبات قلبه وأعضاء أخرى بمنتهى الإخلاص والصدق الذي لم يختبره كثيراً في حياته. جلست فرح تستمع له غير مُصدقة مدى جرأته وقسوته، والأسوأ لومها لنفسها، كيف كانت بمثل هذه السذاجة ولم ترَ الكارثة تقترب؟ وكيف خدعها مثل هذا الوحش؟ والسؤال الأبدي يتكرر في رأسها "ليه.. ليه؟".

فبعدها اكتشفت العلاقة التي شككت في وجودها، اعتقدت أنه سينكر وجود أي مشاعر وأن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد نزوة، ظنت أنه سيتراجع عن رحلة الإسكندرية، لكنه لم يفعل، برر ضرورة ذلك بأنها نقلة مهمة ليعمل على الموسيقى التصويرية لتلك المسرحية، لكنها عرفت منذ سفره "لا شيء سيعود كما كان".

صعبت عليها نفسها، شعرت بالمدلة والخجل، لم تحك لأحد قط عما حدث أو لماذا تركت البيت. "شوية خلافات".. "واخدين أجازة". رددت تلك العبارات حين سألوها عن سبب تركها للمنزل. لطالما عرفت فرح أن أحمد أناني، لكنها لم تتوقع أن تبلغ أنانيته هذه الدرجة، وأن يصل انسحاقها أمامه إلى هذا المستوى. كانت مجروحة وغازبة، لكنها تحبه، ولم يكن باستطاعتها تركه. حينما قال لها "إنتي حته مني" رغبت في أن ترمي بحضنه، لكنها أمسكت عليها قلبها. "لست صغيرة أو بلهاء" ستردد فرح لنفسها وهي تصعد السلم إلى منزلها الذي ما عاد منزلها. لم تبك بل استمعت له مُرتدية قناعًا بلاستيكيًا. ارتاحت لأنه توقف عن ترديد الأكاذيب، وتأملت لأن صراحته جارحة رغم أنه لم يقل لها إلا ما بقلبها حدسته.

انفصل الاثنان لشهر في البداية. عاشا في مكانين مختلفين. قالت فرح لـنر إن كانت الحياة ممكنة ونحن بعيدان عن بعضنا، والظاهر أنها كانت ممكنة.

أقامت لدى صديقة لبضعة أيام، ثم وجدت غرفة في بيت مع شركاء سكن. ثم وجدت مسكن أحلامها، بيتًا صغيرًا في المعادي بجديفة خلفية تغرقها الشمس كل صباح.

كانت تلتقي أحمد في الأماكن العامة، ويردد على مسامعها الهراء المعتاد، ويجلب لها الهدايا الرخيصة في كل لقاء. في النهاية اعترف كل منهما بحبه للآخر، لكن هذا الحب لم يكن كافيًا لحمل العلاقة أو استمرار الحياة بهذا النحو، فوقع الطلاق.

منذ البداية شعر أنه تورط مبكرًا في مسألة الزواج، لكنه نورط لذيذ، فرغم كل شيء كان مرتاحًا في حياته مع فرح، تمنى فقط لو يمتلك إمكانية الخروج لمغامرات قصيرة مضمونة، والعودة ثانيةً إلى البيت. مع ذلك، حينما انتهى الزواج، وبدلاً من أن ينطلق بخفة وحرية في عالم المغامرات المعاصر، وقع في العسل مع "مي".

فتحت له مي أبوابًا جديدة داخل ذاته وخارجها. حينما داعبت بلسانها وإصبعها خرم طيزه تعرف على باب كامل من ملذات الجنس الغائبة عنه. صحبته إلى حفلات ومناسبات التقى فيها شرائح مختلفة من البشر، مليونيرات، منتجو سينما، ضباط كبار في الجيش والشرطة، أصحاب مطاعم، مطورون عقاريون، مديرو جامعات خاصة، فنانون ومغنون لطالما انتقد موسيقاهم وعبر عن احتقاره لما يقدمونه، لكن ما إن التقاهم للمرة الأولى، حتى أدرك مدى لطافتهم، وهم يبدوون إعجابهم بما يفعله، ثم يلتفتون ناحية مي ويسألونها "لقيتيه فين دا يا مي؟"

مي فنانة وممثلة ومخرجة تخطو بخطوات ثابتة نحو النجومية، من أسرة فنية عريقة، أمها نجمة من نجوم الرقص الشرقي من الزمن الذهبي، ووالدها منتج فني ومخرج أحيانًا، أما عمها فممثل قدير، وخالها ملحن موسيقي متقاعد، إضافة إلى أن خالتها التي ربتهما في طفولتها هي الزوجة المفضلة للأمير سعودي راحل. وهكذا نشأت مي في القصور الملكية وتحت الأضواء الفضية، لمع نجمها في التمثيل حينما مثلت أول أدوارها

والنمور لحجرتي | 41

وهي مراهقة، ثم درست السينما في نيويورك وعادت لتزاول الإخراج والتمثيل.

كان أحمد في ذلك الوقت يلعب أسبوعياً في "نايت كلاب" متوسط الحال، يقدم أولاً، ولنصف ساعة، خليطاً من الموسيقى الإلكترونية الفكرية التجريبية، يحтар الجمهور مما يسمعه، وحينما يلاحظ تمللهم ينهي فقرته بساعة كاملة يخلط فيها النغمات الشعبية بأخرى عالمية، لينتج ما أطلق عليها ساخرًا "بوب مهرجانات فيوجين". وكانت تلك الخاتمة هي ما يثير حماس الجمهور فينطلقون في رقص صاخب يمزجون فيه بين حركات "البريك دانص" وحركات الرقص بالمطواة في الأفراح الشعبية.

حررت موسيقى أحمد مي. رقصت حتى كاد يتوقف نفسها هي المصابة بضعف في عضلة القلب، ووسط عرقها وشعرها الملتصق بوجهها اقتربت منه على المنصة. رفع أحمد لافتة مكتوب عليها بالإنجليزية والعربية "ممنوع طلب الأغاني من الـ DJ" لكنها أزاحت اللافتة، أحاطت رقبتة بذراعه فأحنى رقبتة لها، ووشوشته في أذنه. لم يسمع أحمد ما قالت بسبب صوت الموسيقى العالي. أبعد رأسه ونظر ناحيتها فعرف أنها المخرجة مي، ابتسم وأحنى رقبتة لها ثانية، لكنها وقد أدركت استحالة أن يسمع صوتها مدت لسانها الجميل، لسانها الوردى، لسانها الشهى، لسانها الصغير ذا الرأس المدبب، ولحست رقبتة ثم غرست لسانها في أذنه، فوقع أحمد فوراً في حبها.

لطالما أنكرت ميّ هذه الحكاية، تضحك وتردد أن هذا على الأرجح تأثير المخدرات، وأن كل ما فعلته وقتها هو شكره على الموسيقى محاولة أن تقول له "المزيكا فشيخة، أوصل لك إزاي لو عايزينك في حفلة خاصة؟" ظن أحمد أن إنكارها لمداعبة اللسان تلك هو للحفاظ على وضعها كنجمة من المفترض أن يلاحقها الآخرون، لا أن تجري هي وراءهم، لكنه الآن، وبعد كل هذه الأشهر معًا، يفكر في أنه لا يذكر بدقة هل داعبته ميّ بلسانها حقًا أم أنه استوهم واختلق تلك الحادثة.

العالم الجديد مشعٌ وياهر، لكنه يتوق لمن يحكي له عنه، لمن يتبادل النكات معه، لمن يفهم سخريته المبطنة، لمن يشاركه اكتشافاته الجديدة، ولم يكن هناك سوى فرح بالتاريخ الطويل الرابط بينهما لتفهمه من الضحكة والغمزة. سيتم الثلاثين بعد بضعة أشهر، وكل ذكريات شبابه أخذتها فرح معها عند الطلاق، أراد العودة إلى المنزل، لكن لم يعد هناك منزل.

هربًا من هذا الفراغ والشوق لفرح انخرط في عالم جديد من الصداقات، غيرت مي من تصفيفة شعره، وجعلته يرتدي "الشورتات" والألوان الزاهية وأقنعتة للمرة الأولى أن يرسم تاتو على كتفه. ما الذي اختاره أحمد ليرسمه كتاتو؟ لا شيء مدهشًا، فقط كلمة "حرية". ارتوى من الحرية ولم يشبع. وها هو ليس حرًا، يجلس إلى طاولة بعيدة ويشعر بدوار الحشيش

والنمور لحجرتي | 43

يتمكن منه فيضع بقية الجوينت في مطفأة السجائر. نظر في ساعته، مر نصف ساعة ولم يظهر نسيم. هل يتصل به؟ بالطبع لن يتصل، هل تأخر نسيم إمعانًا في إذلاله؟ لكن هل يعلم نسيم أنه يعلم؟

رفع أحمد فنجان القهوة إلى شفتيه، فلم يجد إلا ثمالة القهوة مترسبة في القاع. ماذا إذا لم يأت نسيم؟ احتار أحمد أيهما سيكون أكثر إهانة له، حضور نسيم أم عدم حضوره. في حديثهما القصير بالأمس كان نسيم يكتب له على "ماسنجر" الفيسبوك كأنها افترقا بالأمس، والحقيقة أنهما لم يلتقيا منذ ثلاثة شهور. إنه حتى لا يذكر أخبار نسيم بطلاقه من فرح. شخر أحمد لهذه الخاطرة حينما عبرت بذهنه.

طوال إجراءات الانفصال ثم الطلاق شعر أحمد بالذنب. لم ير نفسه كخائن، ببساطة لأنه ينكر الخيانة، فعلاقته وفرح علاقة خاصة ونادرة وهما مختلفان عن الآخرين. هكذا رأى أحمد وفرح نفسيهما، وهكذا يرى كل العشاق أنفسهم، ورغم ذلك تتشابه النهايات.

في نهاية العلاقة صار أحمد يشعر طوال الوقت بالخجل، وبمسؤوليته عن الطلاق وإيذاء فرح، معذبًا نفسه بسبب ذلك، حتى جاء يوم كان فيه مع عبد الكريم صديقهما المشترك، الذي اختاره أحمد ليصمم غلاف ألبومه الموسيقي المنتظر، وبينما يتحدثان أشار عبد الكريم إلى النميمة المنتشرة أن فرح صاحبته على الأرجح.

فماسك أحمد ولم يُظهر أي تأثير، سأل عبد الكريم: "وأنت
عرفت منين؟". فحكى أنها تعيش حاليًا مع صديقات أخريات،
دعته إلى حفل في منزلها مع شريكات السكن، استمتع بوقته
النتها لكنه تأخر في الانصراف حتى نهاية الحفلة أملاً أن
يدعوه شريكة فرح في السكن إلى المبيت معها بعد استلطف
بابر بينهما، لكن هذا لم يحدث، فانصرف مع آخر فوج من
المحتفلين ولاحظ أن نسيم آخر من بقي، وقد استلقت فرح
سكرانة ومرهقة من الرقص ورأسها على كتفه، نسيم إسماعيل
الشاطر.

اضطرب أحمد حين سمع الاسم، ثم وقف مكانه، وجلس،
ثم وقف مرة أخرى وقال لعبد الكريم إنه تذكر موعدًا مهمًا
آخر ولا بد أن ينصرف. ما إن غادره حتى ركب سيارته "الكيما
السوداء" وشغل الراديو وأخذ يصرخ ويسب ويلعن نفسه
والعالم.

رسم أحمد سيناريو في دماغه ليخفف من إحساسه بالذنب،
تخيل أن فرح أحببت نسيم منذ مدة طويلة، وأخفت الأمر
عنه. على الأقل هو أشجع منها وحينما وقع في حب شخص
آخر أخبرها واعترف، صحيح أنه لم يعترف بل كشفته بنفسها،
لكنه اعترف وكان صادقًا، أما هي فظلت صندوقًا أسود. ترميه
بالذنب وتحمّله مسؤولية فشل العلاقة، ثم تنتقم منه بسرقة
ذكرياته وأصدقائه وحتى نسيم الذي كان سببًا في تعرفها عليه.
على ماذا تحاسبه إذًا؟

ثم ها هو هنا ينتظر أن يلتقي نسيم.

مرت أربعون دقيقة ولم يحضر "أبو شخة" مثلما صار يلقبه في ذهنه. لم يرتح أحمد منذ عرف بأمر علاقة فرح بنسيم. ظل صامتاً وحبس نفسه في المنزل ليومين، يغلي وتأكله الغيرة ويشرب الشاي مرّاً دون سكر، اعتذر عن دعوات الخروج بحجة الانشغال في العمل، رفض حتى مقابلة مي، أو الرد على تليفونات أصالة نصري وزوجها حيث كان يفترض أن يسلمها توزيع واحدة من أغانيها. وبدلاً من العمل أرسل إيميل طويلاً إلى فرح حرص على أن يجعل لغته رقيقة وتحمل قدرًا من التسامح. سألها في تلك الرسالة وقد تحقق لها كل ما أرادت، فلماذا تخفي الحقيقة ولا تعلن علاقتها بنسيم لكل الناس؟

أضاف جملة حشرها في المنتصف عن أنه كان يعلم بالأمر منذ البداية وتمنى لو امتلكت الشجاعة لتخبره، لأنه لا يتمنى لها وله إلا السعادة والهناء.

ردت فرح برسالة مقتضبة حتى لا تمنحه لذة الجدل والحوار والتحوير، طلبت منه أن يتركها وشأنها، وحياتها الخاصة لا تعنيه الآن.

استشاط من ردها، أكلت الغيرة قلبه، ولم يعرف أين يذهب بكل هذا الغضب المكبوت، ففتح صفحة نسيم على الفيسبوك، وأخذ يضغط على زر "لايك" لجميع صورته التي لم يسبق له أن ضغط عليها. وبينما يتصفح صور نسيم انتبه

١. "لايكات" فرح التي تعود إلى سنوات منذ عرفهما إلى بعضهما.
هرب نفسه بالصرمة وتبدى له غباؤه مُشعًا كنور الشمس.

كيف لم يَرَ تلك العلامات؟

عرف أحمد نسيم وعمره 17 سنة، التقاه أثناء عمله في محل والدته نسيم، مراهق غاضب من أبيه ويرفض طلب المساعدة من أمه، اقتحم السوق وقرر أن يعمل ويكسب رزقه حتى يكون قادرًا على التقدم لحبيبته.

أحب نسيم ابنة الجيران. تماثله في السن، لكن في منطقتهما تتلقى الفتاة عروض الزواج منذ سن السابعة عشرة. ولما كانت جميلة -وهو اسمها وصفتها كذلك- جميلة فقد خاف أن يخطفها أحدهم. طلب من أبيه أن يخطبها له، فقذفه بالشبشب وقال "أخطب لك وأنت لسة في سنة أولى تجارة، ليه؟ فاكّر أبوك تاجر بودرة؟".

بفضل معرفته بمعدات وأدوات الصوت والتسجيل الموسيقي عمل أحمد أحيانًا كمهندس صوت في بعض الأفلام والمسلسلات. في إحدى المرات شاهد نسيم واقفًا يحمل مصباحًا كهربائيًا ضخماً بين ذراعيه والعرق يتصبب من جبهته. ناداه أحمد، وعرض عليه أن يعمل في الصوت بدل الإضاءة. وافق نسيم لأن الأجر أفضل.

لم ينظر أحمد إلى نسيم كصديق، اعتبره أخًا صغيرًا. شعر
بدين في رقبتة تجاه نسيم نظرًا إلى طبيعة العلاقة الخاصة التي
جمعت أحمد وأم نسيم/ مدام فريدة وأفضالها عليه.

جاء نسيم ذات يوم لأحمد وقال إنه تعارك مع صاحبتة،
بسبب تمردها ورفضها الانصياع لأوامره وطاعته، فهي تخرج مع
أصدقائها دون إذنه، وهو ما جعله مترددًا في خطبتها. اندهش
أحمد من كلمة خِطبة. كان نسيم في الثامنة عشرة من عمره،
وبدلاً من أن يناقشه أحمد في مسألة خطيبته المتمردة سحبه
وراءه ليفتح له باب الدنيا.

عرّفه البارز وكيفية شرب البيرة، وخلط الماء بالعرق حتى
يصبح لونه أبيض، وتناوله قبل الطعام كفاتح للشهية، أوقفه
أمام "الميكسر" وجعله يمزج الأغاني للمرة الأولى. كانت الحمرة
تضرب وجهه عندما تكلمه أي فتاة غير حبيبته التي يحلم
بخطبتها، لكن بعد فترة وجيزة صار يبادر الفتيات بالحديث.
قدم له أحمد أول فرصة عمل، ثم أنقذه من سذاجة حب
المراهقة.

أنهى أحمد الجوينت، وقبل أن يرميه، شاهد نسيم قادمًا
نحوه راكبًا دراجة هوائية. ركن الدراجة وربطها في عمود
نور. تقدم وهو يعتذر لأحمد. "غضب عني، مسمار دخل في

الكأوتش وماعرفتش أعمل ايه، عديت على عجلاي في الطريق
١٠ ايرت الكأوتش وجيت".

سأله أحمد عن سيارته، فقال "بعتهأ.. الشغل واقف بسبب
الأحداث والمظاهرات واحتجت لسيولة، قلت أبيع السيارة".
١١ دا نسيم سعيدًا، سعادة بلهاء ميزها أحمد بسهولة، حاول أن
١٢ نتعش هو الآخر أو أن يبدو منتعشًا "فأنا لست أقل سعادة
منك يا أبو شخة". قال لنفسه، لكن عضلات وجهه نسيت
١٣ كيف تنشرح، وعيناه نسيتا كيف تشعان ببلاهة السعادة مثل
١٤ مبني نسيم.

توقع نسيم هذه اللحظة وتهرب منها، حتى وجد على
١٥ موبايله عشرات الايكات من طرف أحمد، حينها وبكل رعونة
١٦ دخل مُخاطبًا أحمد على الماسنجر "إزيك؟".

رد أحمد "واحشني يا نسو، والفيسبوك طلح لي صورك".
١٧ رد نسيم الذي كان سيئًا في التواصل عبر برامج المحادثة "أنت
١٨ كمان، ما تيجي نلعب دور شطرنج زي زمان".

١٩ في بداية تعارفهما كان الشطرنج رفيق جلساتهمما الدائم.
٢٠ عكس الطاولة والدومينو وألعاب المقاهي الأخرى، فالشطرنج
٢١ يتطلب الصمت في أثناء لعبه، وبما أن الأصوات تملأ آذان الاثنین
٢٢ دائمًا بسبب طبيعة عملهما، فالصمت المرافق للشطرنج رفيق
٢٣ مناسب لجلساتهما المنفردة. لا يقطع نقلات القطع سوى

والنمور لحجرتي | 49

ملاحظات أحمد التي غالبًا ما تخص نسيم وأسلوب حياته، لكنه هذه المرة لم يمتلك نصائح ليمطر بها أذني نسيم. أوشك الدور الأول على الانتهاء وقطع أحمد مُحَاصِرَةً. أيقن عند هذه النقطة أن كل حركة من قطعه ستكون دفاعية ورد فعل لنقلات نسيم، فقرر التصرف بنحو هجومي، وكانت النتيجة أن حاصر نسيم الملكة وانتهى الدور الأول بكش ملك.

فاز نسيم، وعلق أحمد "لمعبة حلوة". ثم بدأ الاثنان في رص القطع للدور الثاني، أخرج أحمد من علبة سجائره جوينت آخر، أشعله وهو مندمج وتركيزه منصب على الفوز بالدور. أخذ نفسين ثم مد الجوينت إلى نسيم، توتر الأخير ونظر حوله ثم سأله بصوت خافت "هو ينفع ندخن هنا؟" أدار أحمد رأسه في المكان وقال "ليه لأ؟"

تناول نسيم الجوينت.

حكى أنه ذهب الأسبوع الماضي إلى ملهى بوذا الصغير، واستغل ازدحام المكان والإضاءة الخافتة والموسيقى والرقص، وأشعل جوينت صغيرًا يحمله، أخذ نفسين فظهر أمامه أحد الحراس ضخام الجثة والعضلات، نزع الجوينت من فمه وطلب منه الانصراف من المكان.

شخر أحمد، وسأله "وأنت خرجت؟ ما كنت تدي له خمسين جنيه في إيده وخلص". اضطرب نسيم وقال إنه شعر بالخوف، خصوصًا وقد كان معه "ناس" ولم يرد توريط نفسه أمامهم في أي نوع من المشاكل.

تناول أحمد الجوينت منه وغمس تفكيره في لوحة الشطرنج. استخدم نسيم كلمة "ناس" التي تستخدم عادة للإشارة إلى وجود رفيقة أنثى. خمن أحمد من كانت برفقة نسيم وطردت معه من "بوذا الصغير".

فارت أمواج وفاقيع من المشاعر المختلطة في صدر أحمد. شعر بالشفقة على نسيم، ثم بالشفقة على فرح، احتقر الاثنين، شمت في فرح التي اختارت بعد انفصالهما أن تصادق فتى أصغر منها بخمس سنوات، ويخاف من حراس وفتوات الملاهي الليلية. ثم أدرك أن هذه هي الغيرة، وأن الغيرة تحرقه. "كش ملك". فاز أحمد بالدور. شعر نسيم بالملفاجأة، اقتنص أحمد الدور منه بثغرة لم يلتفت إليها.

الغيرة كرة نار تسقط من أعلى، وكلما حاولت النفخ فيها تشتعل نيرانها أكثر. لا شيء يرضي الغيرة. أما الانتقام ففرحة مؤقتة، ثم احتقار للمسألة كلها. حينما نطق أحمد بـ"كش ملك" لم يشعر حتى بتلك الفرحة المؤقتة. ود لو يقوم وينصرف في الحال، لكن نسيم بدأ في إعادة رص القطع. لعب أحمد الدور الثالث بلا رغبة في اللعب. لو فاز نسيم في هذا الدور فهذا يعني فوزه بنتيجة اثنين لواحد. "وإيه يعني؟ طظ! في ستين داهية، ليشبع بكل هذا العالم القديم والممل، ليعيشا مختبئين من الفتوات".

خسر أحمد الدور الثالث. نهض الاثنان من على القهوة، دفع أحمد الحساب، ورفض أن يدفع نسيم شيئاً. فك نسيم

دراجته ومشى مع أحمد إلى نهاية الشارع، لاحظ نسيم الوجوم على وجه أحمد.

خاطبه نسيم بعد تردد "أنت زعلان مني؟"

انتبه أحمد مستفياً "أزعل منك ليه؟"

رد نسيم "علشان أنا وفرح متصاحبين".

بماذا يرد إذًا؟ هل ينهار أمام غريمه ويقول نعم، أنا لا أزال أحب فرح يا أبو شخة؟ هل يلكمه في أنفه، ويكسر تلك الدراجة ذات اللون الأصفر الفاقع فوق رأسه؟ هل يستدير وينصرف دون أن يعطيه جوابًا؟

بالطبع لم يفعل أيًا مما سبق، بل رفع رأسه وواجه نسيم "وأنا أزعل ليه؟" ثم مد يده مُصافحًا نسيم "انبسط، وانبسطوا".

ارتسمت ابتسامة على وجه نسيم. شعر بالتححرر من عبء ثقيل، من دين قيد رقبته، من اختناق حاصر علاقته بفرح، من ظل شبح أحمد. كل هذا تبدد حينما حصل على المباركة من أحمد. خمد إحساسه بالذنب وتأنيب الضمير.

فلطالما أقنع نفسه بأن ما حدث ليس مسؤوليته وأن علاقته بفرح لم تتطور إلا بعد انفصال الاثنين. صحيح أن أول مرة ناما فيها معًا لم يكن الطلاق الرسمي قد تم، لكنهما كانا منفصلين. برر نسيم براءته لذاته بأن الخيانة تتوقف على ممارسة الجنس، فحتى لو لديه مشاعر منذ البداية تجاه فرح،

••• سيطر عليها. هكذا رأى نسيم نفسه، صديقًا وفيًا، وعاشقًا
••• مخلصًا، وضميرًا يقطبًا متسقًا مع إرادته الحرة.

صافحه مودعًا وقال له "تمام.. هامشي أنا من هنا، وخلينا
••• نقابل تاني قريب". ثم امتطى دراجته، وبدل مغادرًا أحمد
الذي ظل واقفًا مكانه، مراقبًا نسيم وهو يتعد، بينما شمس
الغروب تكسو المدينة بلون برتقالي دموي.

الساحر مجدي هو طفل المنطق والعلم. العالم يحركه
المنطق، لكن جهل الآخرين بالحقائق والقوانين يجعلهم
••• يعتقدون في غياب المنطق، ويثقون أكثر بالميتافيزيقا والمشاعر
كالغيرة، الحب، الكراهية وغيرها...

حينها يظهر التعارض والتناقض الذي يؤرق البشر من حوله،
••• فيشعر تجاههم بالشفقة. حاول الساحر مجدي مساعدتهم. ما
قدمه في عروضه السحرية لم يكن خفة يد وخدعًا بصرية، بل
شفرات لتمرير رسائله إلى كل من يقابله، وغالبيتها دارت حول
اقتراح واحد..

إذا نحننا هذا المسرح حيث يتعارض العقل والقلب.. إن
عرضنا هذه المشاعر على العقل مجردة وربطناها بأفكار
••• وإحداثيات الواقع، فإن العقل قادر بنحو مجرد على تدمير
هذه المشاعر، لكنه لا يكون قادرًا على فرض إرادته، لأن الإرادة
واقعة تحت سطوة تلك المشاعر السالبة.

والنمور لحجرتي | 53

بالتجربة أثبت الساحر مجدي أنه لا توجد مشاعر أو تأثير للجسد لا نستطيع تكوين مفهوم واضح عنه. وإن أضفنا إلى هذا الفهم عنصر الزمن، فبالإمكان تطويع الإرادة والتيقن من زيف وضرر تلك المشاعر. والدليل على ذلك، المنحنى المتأرجح لعلاقة الحب الوحيدة في حياته، ونعني بها علاقة حبه مع خاله سام إسماعيل.

لكن المشكلة دائماً في الزمن. الزمن هو الذي يبدد الكراهية ويحولها لجيفة راقدة، الزمن هو الذي يغرق الحب في الرمال المتحركة، الزمن هو الدواء لكل الجروح المتوهمة.

وضع الساحر مجدي الزمن نصب عينيه وخلفه وأمامه. رأى أن الزمن مُتغير القياس، بل مستحيل القياس، حتى لو قالت النظرية بغير هذا. وبانعدام قياس الزمن فبالإمكان إذًا طيئه، وهو ما أتقن فعله. خاض مع خاله إسماعيل تجربة طي الزمن أكثر من مرة. قلبا صفحاته، قفزاً من طية إلى أخرى، هبطاً في مواضع مختلفة منه، من جسد لجسد عبروا من خلال الزمن البيولوجي الموشوم في خرائط الجينات والصفات الوراثية لكل الكائنات الحية.

لكن منذ أسبوع لا يستطيع النوم، الزمن لا يطاوعه، وتماسك تصوره عن إرادته الحرة يتعرض للتشوش كلما رقد في السرير وحاول النوم. شيء ما يقترب، ثم هناك الأم الخفيف الذي يزداد يوماً بعد يوم ومنبعه ضرس العقل.

واظب الساحر مجدي في جسده الجديد على النوم عشر ساعات يوميًا، وأحيانًا يطول رقاذه. أسعد أيامه التي قضاها المأ أكثر من أربع وعشرين ساعة. لكن الآن مهما بلغ من إرهاق، ومهما حضر من طقوس، أو شرب من أكواب اللبن الدافئة، لا يأتي النوم. وإذا أنهك جسده حتى الإعياء فغفوته تطول لدقائق، ليستيقظ على آلام ضرس العقل. يتناول زجاجة زيت القرنفل الصغيرة ويبلل إصبعه بقطرتين ويدلك ضرسه المتألم ولثته الملتهبة. يسكن الألم قليلاً، لكن النوم لا يأتي.

بغياب النوم ظل مُحاصراً في إيقاع الزمن المفروض عليه، عاجزاً عن طي مشاعر القلق الغامضة التي سيطرت على ذهنه وإرادته مؤخراً.

خاف أن يستسلم وينجرف إلى الطريق الذي راح فيه حبه الأبدى خالو سام إسماعيل، لذا حاذر الاقتراب من الكحول.

رداً على هجر النوم، انطلق في شوارع المدينة، يمشي بلا كلل، ينظر ويتأمل مشاهدها، يشم الهواء، يتحسس جذوع الأشجار والتراب المتراكم على أوراقها، ويتذوق بلسانه أحياناً طعم الإسمنت في أعمدة الكباري، ويستنشق الرائحة مسجلاً فروق المذاق من شارع إلى آخر.

أدرك الساحر مجدي أن القلق والأرق منبعمهما كارثة على وشك الوقوع. كلما اقتربت كارثة، يتباعد النوم عنه، كأنها يجبره على خوض التجربة كاملة، وآلام ضرسه كالعادة تنبئه إلى خطورة الأمر، لكن أبداً لم يزره أرق مثل هذا من قبل، ما

يدل على أن الكارثة موشكة على الانفجار، وصرخات مُلتاعة في كل الشوارع.

عبر لحس إسمنت المدينة والمشبي في شوارعها، واستخدام الحواس الأخرى حاول استنباط ملامح الكارثة.

في تمشيته كانت الكباري هي المسارات الأساسية. يتبع الكباري والجسور فهي الشرايين والأوردة، والظلال المتكونة أسفلها وأعمدها هي الجهاز العصبي الممتد في أطراف المدينة، الذي ينمو على اليوريا والأملاح المتراكمة من تبول المصريين أسفل الجسور. تمشيته المفضلة كوبري أكتوبر، يقطعه من شرق المدينة إلى غربها، ومن فوقه يلتقط الإشارات وتوجهه البوصلة نحو الكارثة.

تقلب الشوارع في عملية "بسترة" بين الحار والبارد، بين الصامت والساخن، وبين الساكن والمضطرب. الناس ينظر بعضهم إلى بعض بريية. يدير عامل مقهى التلفاز على قناة تلفزيونية داعمة للرئيس السابق، فيمر أنصار الحاكم الجديد، ويسبون الدين للقهوجي والقناة التلفزيونية، تندلع مواجهات وينفجر المقهى بالعراك ثم تأتي الشرطة ويسقط شهداء، ثم يأتي الجيش ويقصف كل المدنيين بالقنابل والصواريخ، ويحصد الرصاص المضاد للدروع جميع الأجساد.

لم يستطع الساحر مجدي أن يمنع المشاعر من التأثير في قراراته. تورط تمامًا في ذلك الزمن وفي تلك اللحظة في ناسها.

خاله سام يصرخ في وجهه "ما يولع الميدان بالناس بالثورة بالدوشة دي".

عقله يقول إن خاله معه حق، فهما من زمان آخر وهذه ليست معركتهما، لكن قلبه يضعف أمام الجماهير، ويلتاع خوفاً عليهم من الكارثة. خاله سام صرخ فيه مرة "لم تعد تحبني"، وكشف عن صدره، وأخذ يضربه بكف يديه، ويخربشه حتى سال الدم منه. كان سكران واستمر في الصراخ "أنا أيضاً يمكن أن أستشهد إن كان هذا سيجعلك تحبني". احتضنه الساحر مجدي وهو يقبله، ويهمس في أذنه "أحبك.. أحبك.. أحبك".

الحب بالتأكيد موجود، لكن الشغف هو ما خمدت ناره. بدلاً من شغف الحب والمغامرة التي جمعتهم لآلاف السنين المقبلة، كان هناك الود والقلق والحرص على الامتلاك. كانت الثورة المقبلة على الكارثة شغف مجدي، أما خاله فما وجد شغفاً غير التي هي دواء لكل داء؛ الخمر.

قادته ساقه إلى كوبري الساحل، في موضع مُحدد خبره به ضرس العقل توقف الساحر مجدي مرتدياً نظارته الشمسية ذات الإطار الذهبي، وأخذ يتابع وقائع معركة دامية بين ثلاثة داعمين للرئيس المعزول، يختبئون في شقة في عمارة مُتهالكة، يطلقون الرصاص من النوافذ، فترد عليهم قوات الأمن وقد اعتلت أسطح وبلكونات العمارات المقابلة، وفي الأسفل يهرول المواطنون في فرع، في حين فوال على عربته يرفع رأسه إلى

الأعلى كل بضع ثوانٍ مراقبًا تبادل إطلاق النار بين الطرفين، وهو يغرف الفول لزبونين يتناولان إفطارهما.

هز الساحر مجدي رأسه بأسف، فدوى انفجار ضخم في الشقة واندلعت النيران في البناية. "سبع جثث" ردد مُحَاطِبًا ضرس العقل. علم مجدي بالنتيجة مُقدِّمًا، مثلما تقدم كل ما سيأتي منتصبًا أمامه.

نزل من كوبري الساحل. أشار إلى تاكسي فتوقف تاكسي أبيض. ركب في المقعد الأمامي وتحرك التاكسي باتجاه منزله ونسيم. في منتصف الطريق تذكر الساحر مجدي أنه لم يخبر السائق بوجهته ومع هذا فالمركبة على الطريق الصحيح، التفت ناحية السائق فشاهده يدخل أصبعه في أنفه ويلعب فيه، ثم أخرج كتلة خضراء من "البرابر" الجافة كورها بين إصبعيه ثم عزم بها على الساحر مجدي.

تجمدت نظرات الساحر، لم يتوقع هذا الهجوم المباغت.

هو الآن في حضرة أعدائه التاريخيين، بل ربما أعدائه الوحيديين في المجرة، أتباع أخناتون، الكلاب المطيعة للوحدة والرجعية، حراس الإيمان المنحط، إرهابيو نهر الزمن. هل يكون الخطر الذي ينتظره آتياً من طرفهم؟ لكن هناك حدوداً وقوانين للفيزياء تحكم الأكوان وعواملها. استجمع مجدي ذاته وثباته الانفعالي، وحاول رسم نظرة ساخرة أو عدائية على وجهه لكن كالعادة خانته طبيته ورقة قلبه، رد بلطف على كرة البرابر التي يعرضها عليها السائق:

- شكرًا لك، بالهنا والشفاء.

كور السائق البرابير بين إصبعيه ثم رماها من الشباك.
فتح فمه، فخرج صوت فتاة مراهقة تتحدث الفصحى بلكنة
أجنبية:

- حسنًا لم آتِ لتتعارف أو أقدم لك مخلفات آدمية، نراقب
تحركاتك مؤخرًا في المدينة، وأريد أن أوضح بضع نقاط...
قاطعها أو قاطعها الساحر مجدي:

- -عفوًا لكن من أنت؟

رد الصوت الأنثوي الخارج من جسد سائق التاكسي الذكوري:

- أنا "عنخ آس با آتون"

- أوه لا بد أن الأمر بالغ الأهمية حتى يرسل أخناتون
ابنته الصغرى بنفسها، لكن أرجح أن المسألة ليست
ذات أهمية كبيرة لجماعتكم، لأنه لم يرسل ابنته المفضلة
"مريت آتون".

شخر الجسد الذكوري، سحب البلغم من صدره وبصقه
من النافذة، ثم عاد الصوت الأنثوي للحديث:

- ما هذا الجسد القذر الذي حشروني فيه؟ اسمعي يا
صغيرتي، لا وقت لألعاب إثارة الغيرة والفتن. لدينا عمل
كبير هنا يتجاوزك أنت وجماعتك وخرافاتكم الهرمسية،
هذا العمل يخص المنطقة، والعالم كله مصيره معلق
على نتائج الأيام المقبلة. الأحلام تخصصي، بذلت جهدًا

والنمور لحجرتي | 59

كبيراً الأشهر الماضية حتى أبني مدن الأحلام، وأبذر
البذور، وأزرعها لتتحول إلى أفكار تحرك الشخصيات.

أثار حديثها اهتمامه، فسألها:

- هل مجال عملك الأحلام حقاً؟ إنه واحد من مجالات
تخصصي، يمكنني أن أساعدك إن كنت تواجهين أي
مشكلة...

تدلت الشفة السفلية لسائق التاكسي، ثم أدار رأسه ففتحت
الإشارة، ضغط على دواسة البنزين وقال الصوت الأنثوي:

- الخطوة الأهم نفذتها، كل ما أحتاج إليه هو إضافة
الرتوش والتفاصيل الفنية لرؤية من سينفذ المذبحة، لم
نتجاوز القوانين. أعطيته دفعة بسيطة، ألبسته ساعة
أوميغا، ووضعت في يده سيقاً يقطر دماً. مزيج
مخفف.. لكن مرة ثانية، لا أنت ولا أنا نستطيع أن
نفعل شيئاً أو نتدخل في القوانين، ولا يعجبني تجوالك في
أنحاء المدينة. أخي "سمنخكارع" هو الذي يشرف على
ميدان العمليات، وأنت تثير أعصابه بتجوالك المضطرب
هذا، لكنني أفنعتة أنك فتاة عاقلة وسوف تنصتين
لصوت العقل ولصوت قلبك، لا نريد إيذاءك ولا إيذاء
حبيبك، أو إفساد النزهة الغرامية التي تقومان بها في
هذا الزمن. أنت فتاة المنطق والإرادة، ثم منذ متى
وأنت تهتمين بالسياسية؟

- لكنني لا أهتم بالسياسة ولا بخططكم الكونية، أنا قلق فقط على أصدقائي

- وما دخلنا بأصدقائك؟ خطتنا لا يمكن أن تستهدف أفراداً، بل المخطط العام لحركة التاريخ. لا يمكننا أن نستهدف أفراداً محددين ولا أن نحمي أفراداً محددين. لا نعرف شيئاً عن أصدقائك، وحتى إن عرفنا ليس باستطاعتنا تغيير ذلك.. ولا أنت.

في العادة يستغرق الطريق ما لا يقل عن أربعين دقيقة من بيت ركب الساحر مجدي، لكنه في دقائق وجد نفسه أسفل البيت، فخمّن أن "عنخ آس با آتون" على الأرجح طوت الزمن. فالزمن كما نعرف إزاحة، والإزاحة يمكن قطعها أو طيها. هبط الساحر من التاكسي، ثم التفت إلى السائق وسألها "عندي سؤال، لماذا تدخلت لمحادثتي وتحذيري؟"

جاوبه صوت ذكوري خشن "اللي تجيبه يا أستاذ".

دفع أجرته ثم صعد إلى المنزل.

حاول الساحر مجدي النوم لكن هيهات، ظل يتقلب في الفراش دون جدوى، ثم تذكر بيت شعر قديماً للمتنبّي:
أرق على أرق ومثلي يارق .. وجوى يزيد وعبرة ترفرق

جَهْدُ الصُّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أَرَى .. عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ وَقَلْبٌ
يَخْفِقُ

فكر في أبيات الشعر العربي جميعًا التي تحتوي على كلمات
مثل أرق أو سهاد وضمها في ديوان عن الأرق، ليكون مُخصَّصًا
لمن يجافيه النوم، حتى يقلب ويقرأه إلى أن يغفو.

لكن هل يُضمَّن الديوان قصائد الأرق بسبب الحب؟

رسم سلسلة من اللوغاريتمات لقصائد الأرق المرتبطة بالحب،
وتلك المرتبطة بأسباب أخرى، فوجد أن المرتبطة بالحب تحوز
النسبة الكبرى. انتبه إلى أنه ينجر إلى شلال الأفكار المتعاقبة،
التي تمنع عقله عن الراحة والخلود للنوم، ثم هاجمه
ألم ضرسه من جديد، فالتقط حبة قرنفل وغمسها في زيت
القرنفل، ووضعها على ضرسه، ضاغطًا عليها بفكه.

مرت دقائق أخرى ولم يأتِ النوم. استسلم أخيرًا ونهض من
الفرش، بما أنه ما من نوم، فقرر استغلال الوقت في إصلاح
وصيانة أدواته السحرية.

خرج من غرفته فمر بغرفة نسيم. وجده نائمًا. يحلم نسيم
فتوقف لمشاهدة الحلم.

يحلم نسيم بفقدان ذراعيه، لكنه ليس بحزين، ففرح
تقبل كتفه من منبت الذراع المقطوعة، يذوب مع كل قبلة،
إبر رفيعة تنغز حشفته فتزغزغه، ثم تبدل الحلم وشاهد
والده وسط نيران مُشتعلة، ويمسك ببطانية متسخة يجري

هو شخص يصرخ والنار تلتهم بجسده. يحاول والده إطفاء النار المشتعلة في جسد الضحية. ثم تبددت الرؤية عن عيني مجدي. انصرف إلى المطبخ وقد ذهب عن عقله أي تركيز احتاج إليه للعمل على صيانة الأدوات. وقف أمام البوتاجاز بعلي اللبن. صبه في الكوب وأخذه إلى غرفته، وضع السماعات في أذنيه وجلس يشاهد حلقات من مسلسل "فريندز".

غرق الساحر مجدي في الضحكات البلهاء السعيدة لمسلسل "الأصدقاء"، حتى وجد نسيم واقفاً أمامه. نزع السماعات من أذنيه.

"صباح الخير" قال نسيم، فرد عليه "صباح الخير". جلس نسيم على حافة الفراش وسأل مجدي إن لم يستطع النوم البارحة أيضًا، فرد مجدي بهزة إيجاب من رأسه، وجاوبه نسيم بأنه أيضًا لم ينام جيدًا، ظل يحلم بكوابيس متداخلة ولا يذكر تفاصيلها. أخبره الساحر مجدي بأن أحلامه هذه المرة كانت واضحة وملأت الشقة بالصور، لأنها على الأرجح نبوءة. سأله نسيم "هل يمكنك أن تذكرني بحلمي؟"

- شيء بشع سيحدث لعزیز علی قلبك. شيء قاس سيحدث لقلبك. أنا آسف لكن ما شاهدته لم يكن حلمًا بل واقعًا، وعلى الأرجح سيتحقق قريبًا، وربما وقع.

في تناغم كوني، ارتفع صوت رنين هاتف نسيم. الساعة لم تتجاوز التاسعة صباحًا والمتصل أخته الصغرى. ما إن فتح الهاتف حتى أتاه صراخها الهستيري "بابا، تليفونه مقفول.. كان

في رابعة.. بيقتلوهم... التلفزيون جايب أنهم بيولعوا فيهم...
بابا مش بيرد على تليفونه.. انزل روح له".

خرج نسيم من الغرفة مُهرولاً، اصطدمت قدمه بحافة
صندوق من أغراض مجدي، تأوه من الألم، قفز على قدم
واحدة نحو الحمام ليغسل وجهه، ويتجه إلى أين؟ لا يدري.
أما الساحر مجدي فارتخت أعصابه، وتمدد على الفراش. إذًا
وقعت المذبحة، وللمرة الأولى منذ ثماني ليالٍ أغمض أجفانه
فغرق في النوم فوراً.

الفصل الثالث

غرباء في دنيا العبيد

سيتهوى البنيان هذا الفصل، وما تدري نفس ماذا تكسب
نُذًا، وما تدري نفس بأي أرض تموت.

منع الأمن إقامة صوان عزاء، لذا احتشد الجميع في المسجد.

تُثر صلاة الجنازة اضطراب نسيم منذ طفولته، فهو ينسى
عدد التكبيرات، ويختلط عليه المطلوب قوله بعد كل تكبيرة،
لذا يكتفي بتقليد المحيطين به واتباع إرشادات الإمام، في
حين يسرح خياله في زخارف المسجد أو في شذرات من الماضي
تجمعه بالمتوفى.

بنى جده هذا المسجد. يذكر الاستيقاظ مُبكرًا يوم الجمعة
على خلاف كل الأطفال في يوم الإجازة الأسبوعية. يذهب

واللمور لحجرتي | 65

إلى المسجد حيث يشرف جده بنفسه على تنظيف المسجد وإعداده لصلاة الجمعة. ينتظر نسيم أهم فقرة حينما يخرج جده خرطوم المياه المتصل بصنبور الماء في الميضاة، ويبدأ في رش الشارع المترب بالمياه. كان نسيم يتشوق إلى لحظة الإمساك بالخرطوم والضغط على فتحته ليزيد من قوة اندفاع المياه. علمه جده أن التكنيك الجيد لرش المياه يظهر في النهاية حينما تنتشر المياه على الأرض كما الندى، دون أي أثر لمستنقعات أو برك تتجمع فيها المياه، فالغرض من رش الماء تثبيت التراب في الأرض ببلها لا تحويلها إلى وحل. بعد رش الساحة المقابلة للمسجد، يروي جده أربع شجرات زرعها بنفسه على جانبي باب المسجد.

هذه المرة عند دخوله المسجد لاحظ أن الشجرات جفت وبيست، وواحدة منها اختفت من مكانها. أخبره جده أنه زرع شجرة لكل ولد من أولاده، باختفاء الرابعة، رأى في الأمر إشارة إلى مقتل عمه.

منذ نصف قرن، خرج محمد شكري، جد نسيم، من السجن، بعد سنوات طويلة قضاها في سجون عبد الناصر. كان عضواً في جماعة الإخوان المسلمين، لكنه غادر الجماعة ورفض الاندماج في أي عمل معهم بعد خروجه، بل ترك القاهرة والهندسة وعاد إلى القرية التي كانت وقتها تقع على أطراف القاهرة. عمل في المقاولات وسمسرة الأراضي. حاول الحياة في الظل بعيداً عن استدعاءات أمن الدولة. تبرع بقطعة الأرض لوجه الله، وبتبرعات الإخوة تم بناء هذا المسجد. يتحمل

الحاج محمد شكري مسؤولة بناء الكثير من المباني الحمراء العشوائية التي التهمت الأراضي الزراعية المحيطة بالقاهرة، كما نحمل مسؤولة إنجاب أربعة أبناء، إسماعيل والد نسيم، وهاجر وسارة، وإبراهيم الذي مات في مذبحه رابعة مصابًا بثلاث رصاصات في أنحاء مُتفرقة، وحروق في معظم أجزاء جسده، لكن تقرير الطب الشرعي أكد أنه مات مختنقًا بالدخان.

ذكريات نسيم عن جده تعود إلى مراحل الطفولة المبكرة، حين عاشوا في منزل العائلة على مقربة من الجامع، قبل أن يفصل والدها.

التقى إسماعيل والد نسيم والدته فريدة سعيد أثناء دراستهما الجامعية. قاد الحب والشباب الاثنين نحو العناد وممسك كل منهما بالآخر رغم عدم توافق الأُسرتين جغرافيًا واجتماعيًا. إسماعيل القادم من الريف الذي يتحول إلى مساكن عشوائية على أطراف القاهرة، وفريدة ابنة المحامي والسياسي الناصري الشهير، وزوجته سيدة المجتمع الراقى وخبيرة الآلات الموسيقية. لكن مثل أكثر بنات جيلها دخلت على والديها ذات مساء وهي ترتدي الحجاب وتقول لهما السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فبلع الأب بقايا الويسكي دفعة واحدة، وانصرف إلى غرفته دون أن يرد السلام.

تزوجت فريدة بإسماعيل وعاشت معه في منزل العائلة الذي بناه الحاج محمد شكري كأخت ملتزمة، تحلم بيوم

تذوق فيه حلاوة الإيمان التي يتحدث عنها الجميع، لكن بدلاً من ذلك ظل حنينها إلى شارع قصر النيل، وحينما كبر نسيم حلمت بأن يدخل مدرسة الليسييه، لكن والده أصر أن يدخل مدرسة القعقاع بن عمرو الإسلامية للغات. استسلمت فريدة أمام كلامه المعسول والمغسول دائماً بالآيات والأحاديث، حتى جاء يوماً وبالكلام المعسول ذاته أخبرها أنه يفكر في اتخاذ زوجة ثانية. ظنت فريدة أنه يلقي عليها نكتة فضحكت ساخرة، لكنه أكمل حديثه بهدوء وجدية وحكى لها عن الفتاة الغلبانة التي تعمل في محل الحلويات، وأن زواجه بها لا يعني تغيير مكانتها، فهي فريدة حبه الأول وأم ولده. برر فعله بأنه يحصن نفسه من الفتنة وهذا شرع الله، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون.

طلبت الطلاق وعادت إلى وسط البلد. والدها المحامي كان قد توفي فعاشت مع والدتها.

أما نسيم فكان ضحية صراعات شرسة بين الطرفين. جولات مُتتالية شهدت وقوف كل من الاثنين أمام الآخر في المحاكم، وتدخل أقرباء ووسطاء. تمسك إسماعيل بحقه في تربية ابنه، رفضت واعترضت فريدة، فقال إنه لن يدفع مصاريف تعليم نسيم إن أدخلته مدارس المسيحيين، عموماً لم يكن إسماعيل يحب أن يدفع أي شيء للمسيحيين، لم يكن لفريدة دخل سوى عائدات بيع محل آلات الموسيقى الذي تملكه والدتها. انتهى الخلاف ونسيم على مشارف بلوغ العاشرة من عمره، بعدما أرهاق الطرفان، وافقا على حل وسط بحيث يعيش نسيم

طوال فترة الدراسة مع والده، ويزور والدته في الإجازات، وفي الصيف ينتقل للإقامة معها في بيت وسط البلد.

خلعت أمه الحجاب واكتفت بإيشارب ملون، ثم نزعت الإيشارب، وأصبحت تذهب لنادي الجزيرة وتمارس الرياضة وتستعيد جمالاً فريداً يمكن للأمهات كلهن بعد طلاقهن انسابه بالجهد والعزيمة والإصرار. تعرفت في نادي الجزيرة إلى هبة صاعدة جديدة، وأعدت الروابط بزملاء وزميلات الدراسة القدماى الذين حسدوها على قوامها الرشيق. طورت من عمل محل الآلات الموسيقية، وحولته إلى شركة استيراد وتصدير للآلات والسماعات وأجهزة الأورج والساعات ماركة كاسيو. أصبح للمحل فرع في وسط البلد وفرع في الزمالك.

أما الأب إسماعيل فربى لحيته، ولم يعد يرتدي إلا الجلابيب البيضاء، مارس سمسة الأراضي وأسس مع أخيه إبراهيم شركة مقاولات الطوب الأحمر. تزوج مرتين لكن لم ينجب أي ذكور غير نسيم، وحينما قامت الثورة أوشك أن يتزوج للمرة الثالثة، لكنه فضل التركيز في العمل العام وانضم إلى أحد الأحزاب الإسلامية الصاعدة. وصل إلى قمة مجده المهني حينما دخل البرلمان، وأصبح عضواً في مجلس الشعب، لكن لم يستمتع بعلمه، تم حل البرلمان، فصب غضبه على من اعتبرهم أعداء الإسلام.

نظرية إسماعيل أن أعداءه هم أعداء الإسلام. وأعداء الرئيس الشرعي المنتخب، هم جنود الشيطان، الخاضعون

لمؤامراته الكونية على كوكب الأرض، فالشيطان يسكن في مثلث برمودا ويطلع صورة عينه على ورقة الدولار، ويحكم العالم ولا أحد يتصدى له سوى المسلمين، والإسلام قادم، لذا يحاربون الإسلام بجنون. سرقوا منه زوجته الأولى، ثم ابنه، ثم عضوية مجلس الشعب، والآن يريدون أن ينزعوا كرسي الحكم من حبيب قلبه، أعلم أهل الأرض، الرئيس الشرعي المنتخب. إنهم بالتأكيد شياطين.. إن لم يكونوا شياطين فكيف فعلوا بهم ما عاينه في مذبحه رابعة.

تبلدت مشاعر نسيم تجاه والده منذ المراهقة، لم تعد بين الاثنين لغة مُشتركة. اكتفى بالتظاهر بالصلاة خلفه حينما يذهب لزيارته، ثم يجلس الحاج إسماعيل ويطلب من ابنه أن يجلس وركبته تلامس ركبتيه لأن الملائكة تظللها إذا جلسا في هذا الوضع، ثم يتلو عليه مجموعة من الآيات والأحاديث والنصائح الدينية المتنوعة حسبما تجود قريحته. بهذا اعتقد الحاج إسماعيل أنه يمارس دوره التربوي كأب، ويقاوم الأثر الشرير لشياطين فريدة ووسط البلد. وكان هذا كافيًا حتى تعرف إسماعيل إلى الشيطان الأهم في شبابه، أحمد الذي فتح له أبواب الملذات ومنتعة الموسيقى ومعاني تحقق الذات المختلفة. عبر نسيم إلى العالم الذي قدمه له أحمد، وكلما خطا فيه أبعد صار يرى والده وعمه وعائلة شكري ككائنات أدنى منه، من زمن وقيم عتيقة. بل قسا قلبه عليهم ورأهم أدنى من البشر.. ليست لديهم مشاعر.

لم يكن أبوه يسمع الموسيقى ولا عمه، فالموسيقى مَمْنوعة
في منزل العائلة، وحينما يكون هناك حدث سعيد يشغلون
الأناشيد الإسلامية المنفذة بتقنيات تسجيل مُصطنعة، ومؤثرات
أتية من عوالم أفلام الرعب. إن حرم الإنسان نفسه من
الموسيقى، فكيف يفهمون سعيه المستحيل إلى إنتاج موسيقى
إلكترونية جديدة؟

كيف سيفهمون ما يجول داخله؟

وكيف يشرح لوالده الفرح بعضوية مجلس النواب، والذي
بهاجم المعتصمين في الميدان -اعتاد وصفهم بالعلمانيين الزواني
الديوثين- أن حلمه تأليف موسيقى تفرح هؤلاء الزواني
الديوثين؟

موسيقى تحرك أجسادهم وتضخ فيها الطاقة مثلما تفعل
الثورة في الأجساد.

أثقل من غلبة الدين، ذُل الرجال. بالأمس شاهد أباه عائداً
من رابطة ملابسه ملوثة بالدماء، أشعث الشعر أغبر البشرة.
رفض أن يتحدث مع أحد، وظل جالساً على الكنبه حتى وصل
لسيم، وقف نسيم على عتبة الباب وشاهد ملامح والده
تتجدد وتشيح، والحمرة تضرب وجهه. والده الشامخ، والده ذو
الكلام الطنان، والده الفخور بذكوريته، سُخِط إلى طفل بوجه
شيخ مُنفجر بالبكاء.

الأب صار ابناً، والابن أصبح أباً.

هرول نسيم إلى والده واحتضنه، هدهده، وربت على كتفه. تدفقت دموع الحاج إسماعيل بلا توقف، ووسط بكائه لم يميز نسيم سوى جمل وكلمات مقطعة من قبيل، "قتلة.. كفره.. حرقونا.. عمك فين؟ شلت الجثث بإيدي.. كان فيه ولد شاب زي القمر ومهندس.. ابن الأستاذ عبد الرحمن، وقع بين إيديا والدم بيخرج من صدره.. وقعد يقول لي الحقني يا عمو، وأنا أقول له اتشهد يا محمد.. اتشهد يا حبيبي.. رَشونا بالغاز والنار.."

نسيم يحتضن أباه ويحاول تهدئته، مصدوم من مظهره. انفلج شرخ في جدار القسوة الذي بناه، لكن حتى من وراء هذا التصدع لا يرى سوى الهستيريا وأنهار الدماء التي لن تتوقف. دموع الأب مُستمرة في الانهمار، والهلاوس تندلق من فمه. يروي حكايات ومشاهد مضطربة. يحكي عن عسكري من زبانية جهنم يمسك ماسورة معدنية تخرج منها نار، يسير وسط الجثث والخيام ويحرق كل شيء أمامه، وزميل آخر له يمشي بجواره، يطلق النار على كل ما يتحرك. يقول إسماعيل كأنهم أطفال، سنهم لا تتجاوز الثامنة عشرة، يضحكون ويطلقون النكات وهم يقتلون ويحرقون المصابين.

انتبه نسيم إلى أن الصور التي يرويها والده رآها قبل ذلك، شاهدها في حلمه الملحمي. هل صار يعلم الغيب؟ أم انتقلت إليه قوى سحرية بحيث يرى في أحلامه ما سيكون؟

شياطين يحرقون المصابين والجثث. ربما لم يكن حلمه نبوءة، ربما خرجت الشياطين من نسيم. في الشهور الأخيرة لم يفعل

سوى تربية الكراهية للإخوان والجيش والمعرضين والبلد.
وجملته الأثيرة للتعليق على أي حدث "إياكش تولع!" وعلى ما
..بدو فقد ولعت وأحرقته عمه وقلب أبيه، ومن الطبيعي أن
..زلق مثل هذه الأفكار إلى أحلامه.

يعود ليحضن من طرده، أباه الذي كان مستعدًا لمقايسة
السياسة/ الدين مكان الأبوة يكتشف كيف هو العالم دون
موسيقى، ودون مشاعر. يبكي على صدر ابنه الذي صرخ في
وجهه ذات مرة "اخرج من بيتي يا ديوث". والابن يواسيه
لأن هذا ما يفعله الابن لأبيه، لأن هذا ما تمليه رابطة الدم.
لا يشعر إلا بالشفقة ورائحة الحريق تفوح من جسد والده.

لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموالًا بل أحياء عند
رهم يرزقون. يسير الحاج إسماعيل خلف نعش أخيه واجمًا.
الشمس تدنو من الرؤوس، العرق يتصبب من الجميع، والحاج
إسماعيل يحث الخطى ويتمتم أنا من يجب أن يكون في
النعش لا هو، فلطالما سحب أخاه خلفه، ولطالما اختفى أخوه
وقدمه هو في الصورة. هو الحاج سيادة النائب. الآن يتقدم
إبراهيم الصغير ويسبقه، حاول إسماعيل المضي لحمل النعش
لكن ما إن لمسه حتى انفجر في البكاء وتراخت أعضاؤه، ثم
سقط مغشيًا عليه. أسرع نسيم بالتقدم وحاول إسناده من
لحت إبطيه. عاونه المحيطون وارتفعت الأصوات "لا إله إلا الله..
لا إله إلا الله".

واللمور لحجرتي | 73

استفاق أبوه. أحضروا له الماء، ورشوا عليه العطر. قربوا
بصلة مقطوعة من أنفه. كل الطرق الشعبية لإفاقة شخص
مغشي عليه تسابق الأقارب والأصدقاء والجيران لفعلها، بينما
وقف نسيم بعيداً.

لا يحس بأي رابط يجمعه بهؤلاء القوم. لم يختَر هذا الأب،
وتعاطفه معه لا يفرق عن تعاطفه مع أي صديقة أو صديق
مكلوم لموت عزيز على قلبه، وهو أمر تصادف أن شهده ومر
به أكثر من مرة خلال السنوات الأخيرة، حتى إنه لم يعد يتأثر
حين يعلم بخبر موت زميل في مظاهرة ما، بل يفكر بطريقة
عملية في استراتيجيات الدعم المختلفة التي يمكن أن يقدمها
لأصدقاء أو أقارب هذا الشخص، وهي عادةً تبدأ من المساهمة
في جمع تبرعات صغيرة لأهالي المتوفي إن كانوا فقراء أو بسطاء
الحال، وتمتد حتى عمل "شير/share" لبوستات التابين والثناء.
لكن طرق الرثاء والتأبين التي يعرفها من دوائر شباب الفنانين
الثائرين، لم يكن بإمكانه أن يقدمها لأبيه الذي تحلق حوله
شيوخ آخرون يرددون أدعية متنوعة، في حين رفعت واحدة من
زوجاته المنتقبات صوت القرآن الكريم ليغطي على الأصوات
والأفكار جميعها في المنزل.

بعد انصراف الجميع، فكر نسيم أن لا شيء هنا ليفعله، فلا
يوجد عزاء، فقد تلقوا تهديداً صريحاً بأنهم في حال تنظيم
عزاء سيُلقي القبض على كل من في العزاء. لا يوجد مكان له
هنا، ولا شيء عاد يربطه بهذا البيت الذي يفترض أنه بيته،
وهذا الرجل الذي يفترض أنه أبوه.

قام وقبّل جبهته ثم انصرف من المنزل، غريبًا عن هذه الدروب، غريبًا عن هذه البيوت.

في غربته تذكر نسيم نشيدًا أحبه حينما كان صغيرًا يرسله والده إلى دروس القرآن الكريم وحلقات إعداد الأشبال للجماعة. كان النشيد مشهورًا في تاريخ الجماعات الإسلامية، أيقونة في مواجهة أعتى السُّلطات.

يمثل النشيد تكريمًا للطبيعة مع العالم والجبابرة الذين يدبرونه، هو احتفاء برابطة الأخوة التي تجمع هؤلاء الغرباء. اكن نسيم رأى فيه دائمًا أغنية رومانسية عن الوحدة، دندن الكلمات التي يذكرها من النشيد في رأسه..

"غرباء غرباء..

غرباء غرباء

لا نبالي بالقيود

بل سنمضي للخلود

فلنجاهد وندناضل

ونقاتل من جديد

غرباء، هكذا الأحرار

في دنيا العبيد.. "

حاول تذكر بقية الكلمات، لكنها غابت وحضر اللحن. استحضرت النغم، ودندنه في السر، تخيل توزيعات متنوعة له

بمصاحبة آلات موسيقية مختلفة، حتى خرج إلى الشارع المؤدي إلى الطريق الدائري السريع. تسلق الطريق نحو الأعلى على كند ميكروباس يخرجه من هنا ويعيده إلى عالمه الأليف، لكن ما إن وصل إلى الطريق السريع حتى لاحظ عدم وجود سيارات في كلا المسارين، ولمح على بعد 500 متر جذوع نخيل مرمية في عرض الطريق وإطارات مُشتعلة، ثم دوى صوت طلقات النار. انحنى بجذعه وهو لا يعرف من أين يأتي الرصاص، لكن بالتأكيد ثمة معركة على الطريق، فنزل وعاد مرة أخرى، لكن ليس إلى منزل العائلة، بل قرر اختراق أحشاء المدينة، ثم العبور بأمعائها الشرجية، كل هذا وإيقاع نشيد غرباء يتكرر صده في رأسه.

عَبَر الأعماء الغليظة للمدينة حتى وصل إلى حوافها. أبرز "المعاملة" لحراس البوابات الخفية، فمنحوه منديل الأمان. استغرقت تلك الرحلة ساعة ونصف تنقل فيها بين مختلف أنواع المواصلات من التوك توك حتى الميكروباس، شعر بالإرهاق فجلس وشرب الليمون على مقهى خالٍ، خدمه قهوجي عيناه معلقتان بقناة الفراعين يتابع أنباء الانتصارات. غادر القهوة ولم يجد مواصلات فمشى نحو ثلاثة كيلومترات حتى وصل إلى بداية شارع أحمد عرابي، ومن هناك تقدم إلى المهندس، ثم رن هاتفه، كانت فرح.. اليد التي تنتشله من التجربة.

غريب عن بيته، غريب عن عائلته، غريب عن المدينة، لكنه ما إن وصل إلى منزل فرح الجديد، شعر بالأمان. أمان الوطن، ودفء القوقعة. احتضن فرح ما إن فتحت له الباب، في حضنها ولدت ابتسامة على وجه الاثنين.

بعد انفصالها عن أحمد سكنت فرح لفترة مؤقتة في بيت واحدة من صديقاتها، وحينما أتمت إجراءات الطلاق عثرت على هذا المنزل. استديو صغير لا تتجاوز مساحته المئة متر، سكون من غرفة نوم واحدة وصالة ومطبخ وحمام، لكن الميزة التي جعلتها تسعى لإيجاره، وتدفع غالبية مدخراتها ومؤخر سداقها الذي حصلت عليه بعد الطلاق لتجهيزه، هي الحديقة الصغيرة الواقعة في زمام الاستديو. حديقة بسور عالٍ لكن مفتوحة على السماء.

هذه هي عائلتي. فكر نسيم وهو يلج بيت فرح.

وجد لديها مجموعة صغيرة من الأصدقاء يجلسون في استرخاء، ويلعبون لعبة بنك الحظ، في هدوء مستمعين إلى الموسيقى. عزته فرح وسألته "أنت كويس؟" قبلها، وهز رأسه. كانت الإضاءة خافتة، لكن فرح وقفت بجوار "أباجورة" وقالت له "إيه رأيك؟"

نظر فوجدها قد قصت شعرها، لكن بدت له القصة ونسريحة الشعر ذات شكل مالوف.

قال: "حلو!"

ابتسمت له وتابعت، "مش بس حلو.. إيه؟ مش ملاحظ حاجة؟" أدارت رأسها يمينًا ويسارًا ثم مدت ذراعها، وجذبتة نحوها. وقف الاثنان أمام مرآة طويلة معلقة على حائط في الصالة، حينها تبدت الصورة كاملة. قصت فرح شعرها لتحايي شعر نسيم.

أجمل ما في أيام الحب الأولى هو تلك المفاجآت الصغيرة التي يكون منبعها مخاوف لا يجوز الإفصاح عنها. قررت فرح قص شعرها لا كهدية لنسيم، بل لتخلق لذاتها صورة جديدة أيضًا، علّها تجبر نفسها على استعادة مذاق الحب، ثم رأت في هذا التغيير فرصة لكسر حاجز السن الذي تشعر به هوة عميقة تفصل بينهما، ولا يوجد أفضل من قص الشعر للتغلب على مخاوف التقدم في السن. صحيح أن تغيير قصة الشعر لم يخفِ التغيرات الدقيقة على أطراف عينيها وشففتها، ولن يغير من نسبة تهدل نهدتها، لكن نسيم أصلاً لم يكن يرى كل ذلك في المرأة، رأى جمالها كاملاً.

فما الحب سوى عمى عن عيوب المحبوب، التي لا نراها إلا حينما يتبدد الحب، فتظن أن هذه العيوب ظهرت من أثر تقادم الزمن.

هما الآن في أول رشفة من كوب العسل. نسيم غارق في الرغبة والحب. وفي المرأة رأى في قصة شعرها ملامح وجهه، تفاجأ بالشبه الكبير بينهما، وظن أن هذا ربما سبب وقوعه في حبها، لأنها منه وهو منها.

التف الأصدقاء حول فرح ونسيم. غنوا لهما أغنية مستلهمة من طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي، حيث كل روح قبل إرسالها للعالم تكون بذرة ثم يشقها الله لنصفين، ونحن في الحياة يبحث كل نصف عن النصف الذي يكمله. نسيم وفرح في المرأة نصفان التام شملهما، متماثلان في قصة الشعر القصير. عينا نسيم عسلتان وعينا فرح سوداوان، لكن الحواجب الخفيفة والرموش بدت متماثلة. أنف نسيم أبطس قليلاً، لكن أنف فرح مسمم ولديها غمازتان تظهران بجلاء حين تضحك، وشفتان مملتان شهيتان عند التقيل.

في رحلتها للبحث عن الذات، وفضولها لاكتشاف عالم آخر غير عالم الحبيبة والزوجة الشابة الذي عاشت فيه السنوات الماضية، سعت فرح إلى تكوين شبكات جديدة من الأصدقاء، وانجذبت أكثر فأكثر إلى من هم أصغر منها في السن. شيء من البراءة والسذاجة وعنف المشاعر يجمعها بهم. لدى هذا الجيل فيض في التعبير عن أحاسيسهم. والمجموعة التي تعرفت إليها يتشاركون معها معظم أفكارها عن الحرية وإرادة القلب التي اعتقدت فيها، لكن خجلت لسنين من التعبير عنها.

اقترح الشاب الوحيد في الجلسة أن يصبغ الاثنان شعرهما "لو استخدمتما صبغة حمراء، أو حنة، فسيكون مظهركما تحفة".

فرح بين ذراعيه، يشعر برشاقة خصرها وثقل ودفء جسدها الشهي. سألته "إيه رأيك؟ نجرب؟". نظر لعينيها فود

أن يأكل شفيتها، لكن بدلاً من هذا أجاب باندفاع الحب المهتاج "يلا بينا".

اتصلت فرح بالصيدلية، طلبت أربعة أكياس حنة، وعلبة عوازل طبية.. جلسا ودارت بينهما السجائر والجوينتات، لا ضحكات ولا نكات، فشيخ المذبحة يحلق فوق المدينة وظله حاضر هنا. شعر نسيم أنهم متحفظون أمامه احترامًا لحزنه هو الآتي من عزاء عمه، فبالغ في ردود أفعاله على كل كلمة تقول، وأظهر حماسة أكبر لكل الاقتراحات.

رن جرس الباب فأسرعت فرح لفتحه، حاسبت عامل الدليفري، أعطت أكياس الحنة لصديقتها، ثم اتجهت إلى غرفة النوم حيث أخفت علبة العوازل الطبية، وحينما عادت إلى الصالة، وجدت نسيم منهمكًا في تشغيل الموسيقى والجميع مندمجًا في الدندنة والرقص في محاولة لطرد شبح الأحزان. أحضرت صديقتها السمراء وعاء الحنة وحببات الليمون والخل، بينما صديقتها تقطع الليمون والشمندر. عصروا الليمون على الحنة وفوقهما الخل، وأضافت صديقتها مدخنة السجائر الشرهة قطع الشمندر، وهي تؤكد للجميع أنه لا يوجد أفضل من الشمندر للحصول على أفضل لون أحمر. استأذنت فرح لتغيير الملابس التي ترتديها. عادت من غرفة النوم وهي ترتدي "تي-شيرت" عليه شعار مهرجان موسيقي أقيم منذ سنوات، يذكر نسيم هذا التي-شيرت، فقد ذهب بصحبة فرح وأحمد كمساعد له، يعزف أحمد في حين هو مسؤول عن الوصلات والسماعات والصوت.

تشاركت الفتيات الثلاث في خلط الحنة، حتى صارت عجينة
... وداء بلون الطمي. أحضرت الصديقة السمراء علبة "الفازالين"
... بدأت في وضع الفازالين على أطراف وجه نسيم وفرح.

انتهى الأصدقاء من صبغ الشعر بالحنة، واحتفاءً بالأمر
افترحت صديقتهم المدخنة الشرهة أن يلفوا جوينت، في حين
عد لهم مشروب كوكتيل هو خليط من مشروب الكهلو
Kahlua مع ثلاث موزات وفنجان قهوة وكوب حليب، كل هذا
م ضربه في الخلاط مع قليل من الثلج البارد. ربطت فرح
إشاربًا على رأس نسيم وسألها "هافضل كده كثير؟" فردت
ساعتين، حتى تتأكسد الحنة مع الشعر ويأخذ اللون".

انصرف الأصدقاء بعد ساعتين، ما إن ودعتهم فرح وأغلقت
الاب حتى هجم نسيم عليها، التقط شفتيها بين شفتيه.
الدايات العنيفة تفرح قلبها، تشعرها بأنها مرغوبة، ومحبوبة
حلمًا، لكن حركة يد نسيم، عنفه في جذب ملابسها ودعك
ونفريش أعضائها يزعجها، يفقدها تركيزها وقدرتها على
استحلاب النشوة. لم تكن تدري كيف توجهه، خافت أن تنطق
ملاحظة فيأخذها كمقارنة بينه وبين أحمد، وهو أمر يشغل
ذهن نسيم، عنفه المبالغ وإصراره على انتزاع الآهة منها، بدا
سعي لمحو أثر ما، وتسجيل علاماته هو.

ابتعدت فرح عن ذراعيه، وسحبته إلى الحمام. "تعالى نغسل
شعرنا الأول" قالت.

في الحمام عاد الاثنان إلى الطفولة، مثل كل البشر حين تحيطهم بالماء.

عاونته على غسل شعره. ابتلت الملابس فنصّياها. قال "أشعر أن لون شعري كما هو". فشرحت له أنها الإضاءة، وأن اللون النهائي للحنة لا يظهر إلا بعد يومين على الأقل، حينما تكتمل عملية الأكسدة. مدت يدها إلى شعر عانته، قبضت على شعرات منها وشدتها، تأوه من الألم، فاقترحت عليه "ماذا لو حلقت لك شعر عانتك؟" كاد يوافق، لكن هاجسًا غير محدد المعالم أوقفه، سحبها إلى البانيو واقترح عليها "ماذا لو أكلتك؟"، لعبا في الحمام، حاول السيطرة على نفسه، لكنه قذف سريعًا، وإن شعر أن الأمر استغرق دهرًا. هذه المرة لم تتصنع فرح أنها بلغت نشوتها، جلست على طرف البانيو وأمسكته من شعره، سحبته بين فخذيها، وبينما يلتهم كسها، أغمضت عينيها محاولة استجماع نشوتها. كلما حاولت أن تبعد التشتت عن ذهنها، تذكرت ما فعلته هذا الصباح ولقاءها أحمد، الذي قررت أنها لن تخبر أحدًا عنه.

الندم وإحساس الذنب يأكل تركيزها ويقطر مرارة في قلبها، يثست في النهاية، أبعدت رأسه وخرجت من الحمام، وهي تتصنع الضحكات وتنادي عليه.

استمرت ليلتهما طويلًا، حاولت الحديث معه لكن فمه كان مشغولًا بالقبلات. ومع ذلك فكل ما كان يفعله، وما كانت هي تفعله، يذكرها بتجربتها الجنسية التي استمرت لسنوات مع

أحمد. ضايقها عدم تمكنها من مفاتيح جسدها، أن التكيف لا يزال عطلان والجو حر والمروحة لا تكفي، ضايقها صمته ورمونته، لكن حينما يلجها فتلك النظرة والابتسامة الملائكية على وجهه تجعلها تشعر بالبلل في كسها، وبفقايع من صابون السعادة تنفث في قلبها.

استلقيا عاريين في الفراش الذي تشرب عرقهما، نهضت لطلب زجاجة مياه من الثلاجة، لكنه عاد وهو يحمل الماء في يده، وعلبة الآيس كريم في اليد الأخرى. ناولها زجاجة المياه، ابتوت ثم استدارت، واستلقت على بطنها. مرر إصبعه المبلل على الماء على ظهرها من فوق وحتى ربوة كفليها. كانت هناك أباجورة موضوعة على الكومودينو المجاور للسريير تضيء الغرفة بسحابة من الظلال، وتضيء بشرتها بلون ذهبي.

فتح علبة الآيس كريم ثم انتبه أنه نسي إحضار ملعقة، أمس إصبعين في العلبة، وخرج بخرطة آيس كريم بالفانيليا، وضعها على ردفها، ضحكت متلذذة من البرودة، انحنى الملعق الآيس كريم، وفجأة اخترق صمت الليل ضجيج مزعج انترب من الطائرات الحربية تحلق بسرعة الصوت. تبعد سحر اللحظة واهتز زجاج النوافذ. هدأت الموجة الأولى وابتعدت صوت الطائرات، ثم مرت موجة ثانية صوتها أشد من الموجة الأولى حتى إنها فزعت ووضعت يدها على أذنيها، تحركت من مكانها فانسابت قطعة الآيس كريم عن كفها لتسقط على الفراش. ارتفع صوتها وسط الضجيج وهي تسب الدين. تعاقبت موجة ثالثة من الطائرات وبدا كأن الحرب قامت، ثم

والنمور لحجرتي | 83

موجة رابعة وأخيراً موجة خامسة أقل صخبًا من الموجات السابقة.

اعتدلت على ظهرها، فبان جسدها بحرًا من الزبد على الملاء الحمراء وقطع الآيس كريم تذوب عليها. قالت:
- أنا عايزة أسافر من هنا، أنا زهقت.

تناول بضعة مناديل كلانيكس وأخذ يحاول تجفيف البلل مكان بقعة الآيس كريم وقال:

- وأنا كمان، بس إنتي عارفة، أنا بعث العربية من كام شهر بس.

أدارت رأسها له:

- بس أنت معاك رخصة صح؟

رد:

- صح.

جاوبته:

- خلاص بكرة، هات الرخصة وهدوم البحر وأنا هاتصرف في العربية، ونسافر.

سألها:

- هتجيبني العربية منين؟

مدت ذراعها إلى درج الكومودينو المجاور للسريز، فتحتة وأخرجت مفتاح سيارة يحمل شعار ماركة سيارات "كيا".

... تدارت مستلقية على ظهرها ورفعت المفتاح بكلتا يديها وهي تقول "سيارة العائلة". وأشعت ابتسامتها كألف شمس استرقي.

استيقظ نسيم. فتح عينه. فرح نائمة على ذراعه. ريقه حاف، والشمس تدخل من النافذة العارية من الستائر لتشع في الغرفة نورًا وبهاءً. مد ذراعه إلى فرح، وقرب وجهه منها، لمس "باحبك".

غمغمت وعيناها مُغلقتان، رفعت رأسها، قُبلت الهواء وقُبلت و خدها. إذًا هذا هو الوطن. هذا هو البيت. لا النافذة أو الفراش، بل فرح.. عارية في حضنه، جسدها أبيض كما ضوء الشمس، حلمتها ورديتان ورأسها مُشتعل بنار دافئة من أثر الحنة الحمراء.

كانت هذه المرة الأولى التي يقضي فيها نسيم الليل نائمًا بجوارها، قبل هذا حين كانت تقيم لدى صديقاتها لم يكن مسموحًا للذكور بالمبيت في المنزل، وهي رفضت دائمًا أن تنام عنده.

سحب ذراعه برفق من أسفل رأسها. أمسك موبايله، فوجده ميتاً. موبايل فرح مختلف عن جهازه، ولم يكن لديها الشاحن المناسب له. تذكر ملامح وصورًا عابرة من حلمه، في الحلم يضحك في هستيريا والساحر مجدي غاضب والاثنتان في

والنمور لحجرتي | 85

خرابة، وبين ركام الإسمنت والهدد والطوب والأطلال، يبحث الساحر مجدي عن شيء ما وهو يطلب مساعدة نسيم، لكن نسيم مستمر في الضحك وهو يؤكد له استحالة أن يجده. ثم يتغير المشهد من حوله لتصبح صحراء قاحلة يجريان فيها هربًا من عاصفة رملية ستظهر في أي لحظة، في جزيهما ينضم إليهما خال الساحر مجدي، لكن يغرق فجأة في بحر من الرمال المتحركة. يحاول الساحر مجدي القفز لإنقاذ خاله لكن نسيم يمنعه، حتى لا يغرقوا جميعًا وتدفنهم الرمال.

مسح وجهه بكف يده، صرّف الحلم عن ذهنه واستعاد ما يجب فعله، سيذهب أولاً إلى منزله لي شحن الموبايل ويجهز شنتته، فقد قررا أمس أن ينطلقا في رحلتها فجر الغد، فجر يوم جديد، بحثًا عن مدن ودروب جديدة، فلا مكان للحب في هذه المدينة، ولا تسمع أصوات طائرات الحرب بصومعة تخص المرء وحده، ولن تساعد روائح قنابل الدخان والجثث المحترقة في أن تنمو زهور البنفسج على أعضائهما.

تذكر تفاصيل ليلة الأمس، حين دخل الحمام ليستحم فوجد آثارًا من الأمس، وتحت ماء الدش كان لحن نشيد "غرباء.. غرباء" يطن في أذنيه، لكن هذه المرة بتوزيعات مرحة متنوعة، وحينما انتهى من الاستحمام، جفف جسده. نظر في المرأة، فشهد اللون الأحمر لشعره. أمسك خصلات شعره، وفركها بين أصابعه.

ارتدى ملابسه وقبّل فرح، أخبرها أنه سيذهب إلى المنزل ابهضر حقييته، ويخبر الساحر مجدي بمغادرتهم، وعليها أن نُجري التليفونات وتحضر السيارة. بين النوم واليقظة قالت إن المفاتيح معها وإن كل ما يحتاج إليه الأمر أن تذهب هي لنحضرها لأنها مركونة في مكان ليس قريبًا من هنا. تناول رجاجة مياه صغيرة من الثلاجة وخرج مواجهًا غابة المدينة الإسمنتية.

يقع شارع منزل فرح في منطقة هادئة من حي المعادي، ظلله الأشجار القديمة كثيفة الأغصان والأوراق. سار فيه نسيم وقد ظن أنه انتقل لعالم آخر، غير كوابيس عشوائيات الدائري التي قضى فيها يومه أمس. لكن الشارع انتهى سريعًا. وجد نفسه في شارع رئيس يعج بالحركة والسيارات. تفحص ما في جيبه فوجد عشرين جنيهًا هي كل ما تبقى معه، لأنه أثناء عودته أمس لمنزل فرح أنفق نحو 70 جنيهًا لشراء علبة عوازل ذكرية، ندم لأنه وجد لديها علبة أخرى وتمنى لو وفر أمواله. قرر أن يشتري سندوتش طعامية وبطاطس من عند الشبراوي، ويتمشى وهو يشرب الماء من الزجاجاة التي حملها معه حتى يصل إلى محطة مترو المعادي، ويركب القطار حتى محطة الدقي القريبة من منزله.

وصل الدقي، وحينما خرج من محطة المترو رفع زجاجة المياه وأنهاها ثم رماها على ناصية الشارع. لاحظ على غير العادة حركة كثيفة في الشارع. شاهد اثنين بملابس الإطفاء يدخلان سيجارة. اتجه يمينًا، لاحظ عربة شرطة متوقفة وسياجًا

والنمور لحجرتي | 87

أمنيًا ومجموعة من الكراسي فُرِشت خلف السياج، بائع شاي وقهوة ظهر من الفراغ يوزع المشروبات على جمهور الجالسين. رفع رأسه لأعلى، فشاهد البناية التي يسكن فيها مائلة على البناية المجاورة لها.

أخلت قوات الدفاع المدني البنائتين. لولا وجود البناية الأخرى المجاورة لبناية نسيم لتهافت بنائته تمامًا، لكنها الآن في وضع كبرج "بيزا المائل" مسنودة إلى البناية المجاورة، وشقة نسيم والساحر في الدور السادس مائلة بزواوية 45 درجة.

مشى نسيم مذهولاً، سأل الجالسين ما الذي حدث، ردوا ردوداً مختلفة، بداية من "سبحان الله!" وحتى "العمارة لوحدها مالت.. أيام عجب وموت، حسبي الله ونعم الوكيل في الغش". كانت ردودهم ممتلئة بالحماس. الجمهور الصغير جلس في الشارع يشاهد البناية المائلة، ومحاولات مهندسي الحي وممثلي الدولة والأجهزة الأمنية والسيادية التعامل مع الموقف. بدا لهم هذا العرض أهم وأكثر إثارة من مشاهدة وقائع المذابح والحروب الأهلية خارج الشارع.

لمح نسيم الساحر مجدي يتحدث مع ضابط عند مدخل البناية. لوح له الساحر مجدي بمعنى انتظر مكانك، ثم أنهى حديثه مع الضابط الضبوط واتجه نحو نسيم وهو يحمل في يده اليسرى بالونًا. سأله نسيم:

- ما الذي حدث؟

رد الساحر مجدي:

88 | والنمور لحجرتي

سُرقتنا، كل حاجة في البيت سرقت، أنا آسف.
يعنى إيه؟ الكمبيوتر وهدومي والأجهزة؟
كله اتسرق، أو وقع من البلكونة لما العمارة مالت،
اللي سرقوا البيت هما اللي عملوا كده.

في جيبه لم تكن هناك إلا محفظته الجلدية وفيها بطاقته
البنكية، في حسابه بضعة آلاف، لا تتجاوز العشرة آلاف جنيه،
لأن خسارته للأجهزة والكمبيوتر وأسطوانات الموسيقى أثقل
على قلبه. أدار نسيم رأسه في المشهد حوله، شاهد الساحر
محمدي يمسك بالونًا أبيض وينفخه، ثم تذكر الحلم وانتبه،
« هذه ثاني مرة في أقل من أسبوع يحلم بالمستقبل، إن كان قد
سرق جهاز الكمبيوتر والسماعات ومعدات التسجيل فبكل
الأكيد يمتلك الآن قوى خارقة، عليه أن يعلم كيف يطوِّعها
ويستفيد منها. انهار البنيان فكشف دربًا جديدًا.

نفخ الساحر مجدي البالون، ثم ربطه. أومأ إلى رأس نسيم
وقال له: "حلو اللون ده على شعرك.. شكلك أحلى".

السكينة والهدوء في صوت الساحر مجدي انتقلا إلى نسيم.
شكره على المجاملة الرقيقة، رفع عينيه ليتأمل البناية المائلة،
وهذه المرة لم يرَ الكارثة، بل رأى عجيبة تستحق التأمل مثل
المتأملين الذين افترشوا المقاعد البلاستيكية يراقبون.

أحس نسيم بتيار خفيف من ربح مرحة تعبر أسفل منه،
وحمله سنتيمترات قليلة فوق الأرض. سأل نسيم مجدي:

- وأنت ماذا ستفعل؟

أخرج مجدي من جيبه سلاكة أسنان خشبية مدببة الطرفين، شك بها البالون ففرقع. قال لنسيم "السحر مش صناديق ولعب يا صاحبي، يمكن كان لازم أتخلص من هذا الحمل. ماذا سأفعل؟ مثل أي طفل فقدت ألعابه وكسرها له الأشرار، سوف أذهب إلي خالي وأبكي".

الفصل الرابع

كرب الثورة يا حبيبي

ما إن خرجت فرح من الحمام والمنشفة حول جسدها،
سعى شعرت بدوار وكادت تهوي على الأرض، لولا أنها استندت
إلى الحائط. وصلت إلى غرفة النوم بخطوات متعثرة. ارتمت على
السريр، أغمضت عينيها في محاولة لمقاومة الدوار العاصف.
اهمها شعور بالغثيان، بنصف وعي حاولت تنظيم نفسها..
ش هيق من الأنف وزفير من الفم.

تزورها تلك النوبات منذ مراهقتها. فشل الأطباء في
تشخيصها، وإن نصحوها بتناول الفيتامينات والإكثار من شرب
الماء. تمتد النوبة من عشر ثوانٍ لتصل إلى خمس دقائق.
ربت نفسها عبر السنين والرمال على استشعار الموجة قبل أن
تسربها، وتجهيز نفسها لاستقبال فيض الصور.

والنمور لحجرتي | 91

تُسدل جفونها، فتداهمها الصور.. مشاهد بعيدة من الطفولة، أو تفاصيل حدثت منذ أيام وساعات لكن لم تنتبه لها.

يجادل العلماء أن كل ما نسمعه، نراه، نشمه، نحسه، هي بيانات يتم تسجيلها في الذاكرة، ولا يمكن التخلص منها. قدرتنا على استدعاء ما نريده من الذاكرة هي ما يقل ويتباين من شخص إلى آخر.

في نوباتها تنفجر ذاكرة فرح. ترى ساعة والدها الفضية تشير إلى الرابعة والنصف بينما يحادثها وقد تخرجت في الثانوية العامة، ويحاول إقناعها بعدم تضييع جهدها ودخول كلية العلاج الطبيعي، وهي متذبذبة بين رغبتها في كلية الآثار والآداب ورغباته.

تقول "بابا، لكنني أحب الكتابة، وأريد معرفة المزيد عن علم النفس والفلسفة". يقنعها والدها بعدم خلط الهواية بالحياة العملية، بل يجب التفكير في المستقبل بشكل عقلائي علمي، حتى تعيش حياة تكون فيها قادرة على ممارسة هواياتها.

عقرب الثواني يتحرك في ساعة تحتشد بالعقارب. تنفجر الذاكرة بالصور. تُمارس الحب مع أحمد ويمد يده مُمسكاً بيدها، يطلب منها أن تصفحه على مؤخرته، كانت هذه المرة الأولى التي يطلب منها ذلك، وكانت تحبه كثيراً في تلك الأيام. هاتفه يرن ونغمته موسيقى شارة البداية العربية لمسلسل الرسوم المتحركة جرانديزر. تنفجر الذاكرة، تشهق فرح، ترى

نسيم يطفئ سيجارته، ويقوم ليرتدي ملبسه على وجهه
السامة، تعرف أنه يرغب في قضاء الليل نائمًا بجوارها، لكنها
لا تريد سوى نفسها، حتى تجمع شتاتها وتدرك ما هي النفس
التي تريدها. يلبس نسيم قميصًا أصفر وبنطالًا جينز.

يتوقف الدبيب في جسد فرح، يتبدد الصداق، تفتح عينيها.
تضع يدها على صدرها، وتشعر بالندم على قسوتها تجاه
نسيم. تنهض من السرير عارية وتفتح الدولاب، بينما ترتدي
اللباس أمام المرأة تلمح عضة في فخذها الأيسر، وتفكر ربما
أن الوقت لتسمح لنسيم بقضاء الليل في فراشها.

خرجت فرح إلى الحديقة الصغيرة. رفعت رأسها إلى أعلى.
ماء مُلبدة بالغيوم. مدت يدها إلى السحاب، حركت بعضه
أعلى فانزاحت الغيوم لتكشف الشمس ولتغرق أشعتها فرح
والحديقة. شعرت أنها امرأة مُستقلة قوية، رغم أنها لم تكن
المرأة الأولى التي تحرك فيها السحاب وغيره من الأشياء بإشارة
من إصبعها، لكنها هذا الصباح شعرت بقوة ما تملكه،
واستقلالها عما تخلت عنه.

دخلت البيت. جلست على الكرسي أمام طاولة الطعام.
دعت جهاز الكمبيوتر، ثم فتحت صفحة الكتابة البيضاء،
وطلت جالسة أمامها لثوان. كتبت جملة ثم مسحتها. بضع
ثوان أخرى ثم مسحتها.

تناولت دفتر أفكارها، قلبت في صفحاته، انتبهت أنها
منذ انفجرت القنبلة وعرفت علاقة أحمد بالمرجحة إياها لم

تكتب عن نفسها أو تسجل يومياتها، بل امتلأ دفتر بعشرات الملاحظات والمقتطفات التي سجلتها عن فلسفة سبينوزا، إذ استغرقت الفترة الماضية في قراءة مؤلفات الفيلسوف الراحل في محاولة لإخراج نفسها من الألم، ودوامه اضطراب المشاعر التي تعيشها.

تحمل فرح منذ دخلت كلية العلاج الطبيعي دفترًا كهذا معها. جميع دفاترها من النوعية ذاتها مُغلقة بغلافٍ أسود، تضعها في حقيبتها ولا تفارقها. حينما رضخت في مراهقتها لرغبة والدها في دخول كلية العلاج الطبيعي حتى لا تُضَيِّع مجموعها الكبير، قررت الدفاع الصامت عن اختيارها "سأصبح كاتبة!" قالت وجعلت من الكتابة نشاطًا يوميًا.

لم تفلح في الالتزام بالكتابة اليومية، لكن وجود الدفتر معها ذكَّرها دائمًا باختيارها وهويتها، بما تريده وما أرادته. أما بقية اختياراتها في الحياة، فتركت نفسها لرياح الأهواء وفوران الرغبات المفاجئة التي يظن الشباب أنها إرادتهم الحرة.

بدأت فرح في كتابة القصص القصيرة، على مدونة نشرت عليها عشرات المقاطع النثرية والقصص تحت اسم مُستعار. لا يعلم الكثيرون شيئًا عن فرح الكاتبة، لأنها دائمًا خجولة مما تكتب، وترى أنها لم تصل للمستوى المناسب الذي تريده. على الرغم من ذلك فقد تلقت في زمن فوران الاهتمام بأدب المدونات عروضا من دور نشر، لطبع مُختارات من مدونتها في كتب ورقية، لكنها رفضتها جميعًا.

لنرم الكاتبة نفسها بالانتباه إلى العالم والمواظبة على فعلين:
أ. راحة والكتابة. والدفاتر السوداء كانت سجل أعمالها حتى
أ. سألتها أحدهم قالت "هَآؤُمُ أَقْرَءُوا كِتَابِيَّةً". رأت فرح الكتابة
أ. من حياة بصرف النظر عن الوصول إلى نتيجة. في النهاية،
أ. إجابة هي سلسلة من الإكراهات الطوعية والقسرية، إلزام
أ. المس بما لا يلزم.

مع مرور السنوات تغيرت كتابتها وأسلوبها، منذ بداية
أ. أحداث الثورات والانقلابات، قَلَّتْ نصوصها القصصية وغرقت
أ. في القراءات العلمية والفلسفية. لم يدفعها الجدل السياسي
أ. في البلاد والدوائر الاجتماعية إلى الانخراط في السفسطة
أ. الأساسية. اكتفت بالنكات وتعليقات الفيسبوك، لكن في دفترها
أ. ادلت وتفلفت مع وضد نفسها حول ما تقرؤه. بدأت في
أ. الاهتمام بالحركات النسوية والكويرية. أسئلتها حول المجتمع،
أ. وتعليم النشاط والتفاعل الإنساني صارت أكثر تعقيداً، وغير
أ. بسيطة بإحداثيات الواقع. فبينما أحمد كان منشغلاً بالثرثرة
أ. والحراك مع سُكَّان العمارة الذين يصرون على وضع أكياس
أ. السمامة على السلام، فتنبشها القطط وتبعثر محتوياتها في أرجاء
أ. الداية، كانت فرح لا تفكر سوى في عملها في المستشفى الطبي
أ. العسكري، وفي الفرضيات الأخلاقية واللانهائية لعلم تعديل
أ. الجينات البشرية.

قامت من أمام شاشة الكمبيوتر، أعدت كوب القهوة
أ. الحليب، ثم عادت للصفحة البيضاء. لا تعاني فرح من "حبسة
أ. كتابة" بل ذهنها مُشمت، تفكيرها عالق في وجه نسيم، وهو

يغادر المنزل أمس في منتصف الليل لأنها لا تريد أن ينام معها
تقدم فرح له تبريرات من قبيل أنها تريد أن تنام لوحدها
وليست مستعدة لهذا المستوى من العلاقة، لكن بينها وبين
نفسها تعترف أن السبب الحقيقي هو تلك العوالق والطحال
التي تتشبث بقلبها، من بقايا علاقتها مع أحمد. أحيانًا تعترف
لنفسها أنها تحب أحمد، أحيانًا أخرى تقول "لكن أحمد الذي
أحبه لم يعد موجودًا". وحتى إن كانت تحبه، فالحياة مع هذا
الشخص الذي صار مهووسًا بالنجاح وصورته كنجم موسيقي من
حقه كل شيء، مستحيلة. لكن كل هذه التحاليل والتبريرات لا
تكن لتغير شيئًا من اشتياقها لأحمد، ومثل أي إنسان معاصر
حين يشفق لمن يحبه فتحت صفحته على الفيسبوك.

وجدته لا يزال يضع على بروفايله صورة التقطتها بنفسها له
منذ شهور في المنزل، مُبتسمًا تلتف أسلاك الأجهزة الكهربائية
حول عنقه. فرحت لأنه لا يزال يستخدم تلك الصورة، تجولت
في صفحته فطالعتها صور أخرى، واقفًا على المسرح أمام أجهزة
المزج الموسيقي وشاشة اللابتوب، يرتدي ملابس سوداء ونظارة
شمسية في حفلة مزدحمة، وخلفه لافتة لواحدة من مشروبات
الطاقة، في صور أخرى يظهر بعض الأشخاص من الحضور.
لاحظت أن معظمهم رجال أعمال بشعر مصبوغ، وبصحبة
عارضات بملابس قصيرة، في حين يدخل الرجال السيجار
ويحتسون الويسكي.

انتبهت فرح إلى أن مصورة الصور هي مي كامل المخرجة.
شعرت بالغيرة والغيط، كأن الصور صفة موجهة إليها. هل

11. بعد أن يقول إنه الآن أسعد وأنجح؟ إنها كانت عائناً أمام
إمحاءه في حين فتحت له مي هذا العالم الجديد وحوالته من
الموسيقى مستقل يلعب في أماكن تحت الأرض، إلى نجم حفلات
المسرحية الذي ترعاه شركات المشروبات الغازية، ويلحن الموسيقى
لإعلانات منتجات التخلص من السمنة، والشامبو، وتترات
المسلسلات؟

انحدرت فرح في المقارنة بينها وبين مي كامل، شخصيتها
المطوية التي تكره البهرجة والادعاء الفني، وشخصية مي
«حزة السينما التي يصفق لها الجميع. وجهها الغارق دائماً
المكياج، وفرح التي تستمتع بظلاء الأظفار لكنها لا تطبق
المكياج الكثيف على وجهها. عائلة فرح المحافظة التي وقفت
بعد ارتباطها بأحمد، وعائلة مي الفنية الشهيرة. فبابا هو من
أخرج مي أول فيلم لها، وبابا وأصحابه هم من مولوا لها أول
«سلسل. ليس التعريص الفني هو ما يضايقها في اتجاهات
مي الفنية، بل هذا الادعاء والمباشرة الخطابية التي تقدم بها
أفلامها ومسلسلاتها، كأنها صلاة للغباء وتهجد لآلهة القيم
المزيفة. ثم الاحتفاء المبالغ بأعمالها والتصفيق لها باعتبارها
وجهاً نسوياً ثورياً وشاباً، في حين لا ترى فرح في أعمالها سوى
النمطية العبيطة والشعارات المسروقة، حيث النسوية لأمثال
مي كامل تتمثل في النجاح الفردي، ولوم النساء الأخريات
لأنهن لا يتوقفن عن الشكوى بدلاً من العمل، لكي ينجحن
وبحصدن الجوائز مثلها. أمثال مي يستفزونها وتكرههم، ليس
لأنهم معرصين ولا يرون أن نجاحهم المزيف بسبب التعريص،

بل لأنهم مجرمون يلومون الآخرين لأنهم لم يختاروا التعريض والشرطة مثلهم.

نجحت مي كامل في الركوب على كل الأحداث السياسية وتطويعها لخدمتها. في أثناء ثورة الـ18 يومًا، كانت تذهب لشقة تطل على ميدان التحرير، يجتمع فيها الفنانون، تلتقط الصور من الشرفة لنفسها وهي تلوح بعلم مصر وترفع علامة النصر. ثم صنعت فيلمًا قصيرًا عن فتاة شابة تتحدى والدها وتهرب من المنزل لتشارك في الثورة، وحين يتنحى الرئيس وبينما يحتفل الجميع، تخاف الفتاة من عقاب أبيها إن عادت إلى المنزل، لكنها تجده وسط الجماهير يحتفل بالثورة، فتشاركه الاحتفال وينتهي الفيلم بالجميع سعيدًا.

طافت بالفيلم كل مهرجانات العالم ممتطية موجة الحب العالمي للثورة، وحصدت الجوائز بالطبع والتصفيق. "وجه الثورة النسائي الفني الشاب، كس أمها بجد!" قالت فرح لنفسها، ثم فتحت بروفايل مي، قلبت في الصور فظهرت لها صورة قديمة تجمع مي بأحمد. خمّنت فرح أنها من بداية تعارفهما. في الصورة أحمد يرفع لافتة عليها صورة درية شفيق، ويسير مبتسمًا وسط الجموع، عن يمينه مي وهي ترتدي نظارة شمس كبيرة، تغطي نصف وجهها كما عادة نجوم التلفزيون، حينما يشاركون شرفيًا في مثل هذه المناسبات.

بدأت الصورة مقززة لفرح أكثر من صورته ووراءه إعلان
الثورات الطاقية، وهو يلعب الموسيقى للخنازير والخراتيت
الذين أكلوا الثورة.

تذكر فرح هذه المظاهرة جيدًا، حاول أحمد دعوتها
المشاركة، لكنها توقفت مبكرًا عن الذهاب إلى هذه الأنشطة/
المظاهرات/ الاحتجاجات.

بررت الأمر في كل مرة بحجة مختلفة، أحيانًا تقول إن
المخابرات تراجع سجلات العاملين في المستشفيات العسكرية،
وهي لا تريد التورط في مشكلات، أحيانًا تعبر عن إرهاقها.

أبدًا لم تنتقد مظاهرة ما أو تسخر من مطلب فتوي. اتهمها
أحمد ذات مرة بالعدمية والكسل والتخاذل، فاحتدت في النقاش
معها، ووصفت نفسها بالعقلانية. قالت "لن أظاهر سلميًا في
مقابل جنود يحملون السلاح ويطلقون النار علينا".

التخاذل عن المشاركة في الفعاليات الثورية زاد من حدة
الخلافتين بينهما. تعارف الاثنان قبل الثورة، وأتى الانفجار
الجماهيري ليشتعل حبهما وسط الغازات المسيلة للدموع،
والحب الجماعي للجماهير المطلوقة في الشوارع. داخلًا ربط
أحمد حبهما بالثورة، فمثلما تحدى مع الجماهير الرئيس
والشرطة والجيش، تحدى في حبهما سلطة الواقع وعائلة فرح.
رأى أحمد في قدرته على فرض قرار زواجهما على عائلة فرح
والدها انتصارًا آخر في هلوساته لإسقاط النظام.. "يسقط،
يسقط، إحنا الشعب الخط الأحمر".

بعدما صارت المواجهات بين المتظاهرين وقوات الجيش
بسلاحه ودباباته ومدركاته، رأت فرح المواجهة انتحارًا، فلا
توجد أي قضية ولا حتى أوهام الدولة القومية تستحق أن
يضحي الواحد بحياته، خصوصًا إن لم يمتلك المرء أي سلاح
للمقاومة سوى الحنجرة، وخصوصًا إن كانت هذه الحنجرة
الجماعية لا مكان فيها لصوتها. لكنها احترمت خيارات
الآخرين، وتمنت فعلاً أن ينتصروا. وصفها أصدقاؤها بالمتشائمة.
لكن كل ما توقعته حدث بالفعل. لم تفهم قط لماذا لا يرى
الآخرون ما تراه هي بوضوح. تمت في كل مرة أن تكون على
خطأ، أن تنتصر الحماسة المدنية والثورية على غشومية السلاح
والبيادة العسكرية. لكن هذه المظاهرة التي حمل فيها أحمد
صورة درية شفيق أخرجتها عن صمتها، سخرت في البداية من
الدعوة، إذ كانت مُبادرة من مجموعة من الفنانين والمثقفين
للدفاع عما أسموه الوجه الحضاري والثقافي لمصر، لمواجهة
هجمة التيارات الدينية وفوزهم في الانتخابات من البرلمان حتى
الرئاسة. الهدف من المظاهرة أن يجتمع المثقفون والمؤمنون
بالدولة المدنية، ويرفعوا صور الشخصيات التاريخية التي يرون
أنها تمثل التنوير والفن والحق والجمال، ويسيروا في استعراض
ليذكروا المصريين بتراثهم ومدنيتهم. لخصت فرح موقفها في
جملة واحدة حين وصلتها الدعوة إلى المظاهرة على الفيسبوك
وقالتها لأحمد "منيكة فارغة".

سكت أحمد ولم يعلق، قال "سأذهب". لكنه محتار يحمل
صورة من، أخبرها أنه يفكر في حمل صورة تحية كاريوكا أو

- امية جمال. كانت فرح مرهقة وغاضبة في ذلك اليوم لأنها
ارضت للتحرش في الشارع في أثناء عودتها إلى المنزل، فانفجرت
ه. "يعني أنت بالنسبة لك المدنية والثقافة هي راقصات
والوا وشبعوا موت؟ طيب ارفع صورة دينا، والا صورة دينا مش
هنلقى مدنية أكثر من سامية؟". أحمد الذي امتلك فيضاً من
الحنان يستخدمه في الاحتواء أو الابتزاز العاطفي حسب الموقف،
نهز بغضها فقام من مكانه وجلس على الكنب، ضمها ل صدره
وأخذ يهددها "مالك يا بيبي؟"، هدأت وتبدد غضبها وتخدر
سدها بأمان الحب، ولكي يطيب خاطرها سألها "طيب تحبي
ارفع صورة مين؟" جاوبته إذا كنت تريد أن ترفع صورة وجه
سوي فارفع صورة درية شفيق".

أسعدها أنه رفع الصورة التي اختارتها، لكنه عاد من تلك
المظاهرة يحكي عن لقائه بالمرجعة مي كامل، وكيف عبرت
من حبها لموسيقاه، وأنها تريد أن يعمل معها، هنأته فرح ولم
انتبه لتلك التفصيلة.

لم تكن فرح مَشغولة بصراع المدنية والدينية، ففي هذه
الفترة سعت إلى الابتعاد عن كل التشويش والإزعاج المحيط
بتفاصيل المشهد السياسي والاجتماعي في مصر بالكامل، كانت
مستغرقة في اكتشاف الحقيقة.

"الحقيقة" هي بناء يتم بعد الحادث، سواء أكان الحادث
فيضاً من المشاعر الثورية أم ولادة لنار الحب. فالحقيقة لا يتم
بناؤها إلا بعد وقوع الواقعة. فالحب يبدأ بلقاء ليس قابلاً

للقياس مثل وضعها حاليًا مع نسيم، ووضعها سابقًا مع أحمد في بداية علاقتهما، حين اندفعا إلى الزواج وسط اندفاع الثورة المستمرة، ولكن فيما بعد تبدأ في إدراك ماهية الحب.

لفهم طبيعة بناء الحقيقة تقدم لنا الصيرورة العلمية مثالاً واضحاً، أنت تكتشف شيئاً غير متوقع، لنُقلُ مثلاً: فجوات غامضة على القمر، أو جاذبية قوية لبعض الأجرام السماوية الغامضة. ومن ثم يكون هناك عمل رياضي لإعطاء معنى لهذا الاكتشاف، هذا العمل من أجل الوصول إلى القوانين، من أجل الوصول إلى المعنى، هو طقس بناء الحقيقة.

هذه عملية حقيقة، لا المشي في الشوارع رافعاً صور الأموات، اعتراضاً على سياسات أحياء يقصدون أمواتاً آخرين.

إجراء الحقيقة ليس انجرافاً خلف الذائقة الشخصية، على طريقة سارفع صورة تحية كاريوكا لأنها وجه المدنية الثورية. إجراء الحقيقة هو الانتقال من التجربة الذاتية والمصادفة إلى قيمة عالمية.

فرح كانت مشغولة بهذه الأفكار مع نفسها، لا تشاركها مع أحد، إلا دفترها ذي الغلاف الجلدي الأسود. داخل هذا الغلاف شيدت عالمها. لم تجد في ما يحدث حولها مبعثاً لأي حماسة أو اهتمام، بل تراكمات من الأفكار الغبية والتصرفات الأغبي، لم تثر فيها إلا السخرية والضحك. ذات مرة سألتها أحمد مرة إن كانت تعاني من كرب ما بعد الثورة، فردت ساخرة "وماذا يكون كرب الثورة يا حبيبي؟"

أدركت أن العمل السياسي الحق يعطي حماسًا، وهذه الحماسة تعمي الأبصار، لكنها جميلة مثل الحب. فالسياسة الحقة هي الحماس الجمعي، والحب هو حماس يتشارك فيه : خصان. هي فقط حسدت عمال السياسة ونشطاءها على :. لهم على التشارك في الحماس الجمعي، الذي لم تعد قادرة على الاندماج فيه. ففي هذه المرحلة من حياتها اكتفت حماس حبها لأحمد فقط. لكنها لم تدرك أن أحمد يحتاج إلى : هو أكثر من ذلك. مثل بعض المطلقات للأسف -وعلى :، ثم من رجاحة عقلها- كانت فرح تلوم نفسها وتتهمها :الانقصر، لأنها لم تستوعب طموح أحمد.

بحثًا عن الشغف نشرت بعد طلاقها دراسة طويلة، في مجلة إلكترونية تصدرها مجموعة نسوية وكويرية شابة. لا تشعر بالاندماج كامل معهم، لكنها أخيرًا وجدت من يتقبل أفكارها ويشارك في ظنونها. أصبحت تلك المجموعة دائرة أصدقائها الجدد، وهي سعيدة بأن صارت لديها رفقة لا علاقة لها بأحمد، بعد سنوات من اعتمادها عليه في الحياة الاجتماعية.

أصدقاء يتشاركون معها الحماس للقضايا التي يرفض الآخرون التطرق إليها، مكتفين بادعاءات المدنية والثورية وغيرها من أشكال المنيكة الفارغة.

سابقًا تدفقت الحماسة في أوردّة وشرايين فرح وسط الجموع والجماهير، حتى وهم يهتفون هتافات كاذبة وعبیطة من نوع "حسني مبارك يا طيار جبت منين سبعين مليار!". لكنها

فقدت اتصالها بكل تلك الجموع الثورية حين ظهرت قضية علياء المهدي.

نشرت فتاة لا يتجاوز عمرها العشرين عامًا، صورة لها عارية على مدونتها الشخصية، منتصبة في وضع نصف إروتيكى نصف طفولي. ولأن مدونتها تمتلئ بالمقالات الثورية وتنسب نفسها إلى حركة 6 أبريل، استخدمها تيار الإسلام السياسي للتشهير والظعن في التيار المدني.

ظهرت صورة علياء بعد إعلان عدد من الناجيات من كشوف العذرية ما حدث لهن داخل ثكنات الجيش، حين قُبِضَ عليهن من ميدان التحرير. كانت الانتخابات البرلمانية على الأبواب، وفرح وأحمد مدعوان إلى حفل في فيلا فخمة، ملك أحد رجال الأعمال المحبين للثورة والفن والموسيقى، يريد أن يتعرف ويتشرف بالشباب الذين قاموا بالثورة، لذا يدعوهم إلى منزله الواسع ليشربوا ويأكلوا ويسكروا ويرقصوا. وفي الطريق مع أحمد لمحت جرافيتي يصور واحدة من ضحايا كشوف العذرية وبجوارها صورة علياء المهدي، وفي المنتصف نَصَّ ريك يقرن كيف اهتم الإعلام والناس بعري علياء، ولم يهتموا بقضية الناجية من كشف العذرية. تصاعدت حموضة القرف والاشمئزاز من معدتها، كادت تتقيأ صرختها، لكن اكتفت بالبصق من النافذة.

في الحفل وكلما فتحت فمها حكمت بقرف عن هذا الجرافيتي. قرفها منبعه المقارنة السخيفة بين الفعلين، أبدت

١١١. هاشها، لماذا لم تصدر ولا حركة ثقافية أو سياسية أو حقوقية
أي بيان تضامناً مع علياء التي تتعرض لهجمة وحشية، لا من
الارات الإسلامية فقط بل أيضاً من تيارات تصف نفسها
الثورية والمدنية. قطعت ورقة من الدفتر الذي تحمله
و«سأغت على عجل -بدافع الحماس أو تحت تأثير الخمر
المحانية- بيان تضامن مع علياء، وذهبت تطلب توقيعهم
«اه. رفضوا جميعاً، وكان الرد: لدينا أولويات أهم، مثل
الاستور والانتخابات، وإن تمكنا من كتابة الدستور سنحرص
على أن تكون حرية الرأي والتعبير مطلقة فيه.

عاولت الرد عليهم بمنطق مُماثل لكنهم حاصروها بأراء
«سبابات أخرى. البعض تهرب، وآخرون ردوا بعنف "واحدة
«اهت، مال الثورة والقلع؟" وجميعهم حرص في حديثه معها
على الغمز واللمز، والسخرية الذكورية المعتادة ضد أي رأي
«محالف تقوله امرأة. ثم انتبهت فرح إلى أن عري علياء أصلاً
لم يكن موجهاً ضد الإسلاميين أو السلطة أو الرأسمالية العالمية،
بل كان موجهاً ضد كل من هم هنا في هذا الحفل.

ثورة علياء ضد الثوريين، وعريها هو كفر بهذه الحماسة
السياسية الكاذبة، التي تحمل داخلها بذور العفن الذي يغطي
البلاد.

عري علياء ضد الإجابات العقلانية.

ضد التفكير العقلاني العلماني التنويري الذي رحب بتعليم
«مرية المرأة، على ألا يعلو سقف الحرية عن ركبته، وأن

تكون حرية المرأة جزءاً من مشروع الدولة الناهضة وقوميات،
العروبة، والشرف الذي يراق على جوانبه الدم.

في غمار انفعالها وجدالها في مسألة علياء مع الحضور، ثارت
فرح على رجل الأعمال الذي يستضيفهم، لأنه في منتصف
النقاش علق قائلاً "البنّت حتى مش جميلة، ليه تصور نفسها
كذا؟ أكيد مريضة نفسياً أو لديها مشكلات أسرية واجتماعية"
سحبت فرح شخراً، وخرج الرصاص من فمها "أنت فاكّر العالم
معمول علشان يعجبك وتتفرج عليه؟ والا علشان مش شـم
وماتقدرش تكفرها هتقول على البنّت مجنونة؟ إن كانت هي
مجنونة فأنت معرض". ثم بصقت على الأرض واتجهت نحو
باب الخروج، وفي طريقها سحبت أحمد الواقف يعب الكحول
المجاني عند البار. خرجت فرح وقررت أن تنهي علاقتها بذلك،
العالم وهؤلاء الناس، وألا تنظر خلفها فتتحول عموداً من الملح
عادت لتقلب في بروفيل أحمد على الفيسبوك، فظهرت
لها صور تجمعها مع أحمد على الشاطئ. وجعها قلبها أكثر
من الشوق له، لكن فرح ليست مازوخية، ستحرق المراكب.
وتقلب الصفحة، لا شيء يجمعها أو يربطها بأحمد الآن. ترددت
لحظات أخيرة ثم همت بأن تضغط الزر وتمسح بروفيل أحمد
من قائمة أصدقائها مع حجب حسابه، لكن فجأة ظهر تنبيه،
بوجود رسالة منه في صندوقها البريدي، فتحت الرسالة فوجدتها
سطوراً من المُخَن. لف ودوران وكلام غير واضح، الغرض منه أن
يطمئن عليها كما يقول. قامت فرح من الكرسي، ثم فتحت
باب الحديقة، نظرت إلى أعلى فوجدت الغيوم عادت لتحجب

الممس، أو شكت أن تمد يدها لتزيحها مرة أخرى لكن مهما
احسنت من غيوم ستأتي غيوم أخرى.

عادت إلى الداخل وأرسلت لأحمد رسالة على الموبايل
هازة اشوفك، خيلنا نتكلم، تعال لي البيت الجديد".

لم يصدق أحمد حين أرسلت فرح عنوان منزلها الجديد
، منه للزيارة، سألها "متى؟" فقالت "لدي ارتباطات في المساء،
أفضل أن تأتي الآن". أخبرها أنه سيتحرك حالاً وسيكون
، لها بعد ساعة.

فتحت الباب فوجدته يحمل باقة ورد. اندهشت لأنه لطالما
، عن كراهيته للورد. مدت يدها لتصافحه وهي ترحب به.
، مثل الغرباء بقبلات على الخدين.

لم يجلس على الكنب، بل جلس على كرسي طاولة الطعام
الذي كانت تجلس عليه منذ الصباح لتحاول الكتابة، أغلقت
شاشة اللابتوب.

على الطاولة.. منفضة سجائر، تبخ، ورق بفرة، فنجان القهوة
النبي شربتها، زجاجة مياه، دفترها الأسود، قلم رصاص أحمر
وقلم حبر، علبة مناديل ورقية، محفظة جلدية.
علقت على مظهره: "خسيت؟"

شد ظهره وقال "نعم". ابتسامة تعلو وجهه، حكى عن اتباعه نظامًا غذائيًا جديدًا خسر بسببه بضعة كيلوجرامات، كما يذهب إلى صالة الألعاب الرياضية بانتظام. هناك حماسة واستعراض في صوته، ظنته يبالغ في وصف التغييرات التي طرأت على حياته ليغيبها. سألته "تشرب قهوة؟"، فقال طبعاً. أحضرت صينية معدنية عليها "سبرتاية"، وضعت كنكة القهوة وتركها تغلي، مُنبهراً علق: "حلوة العدة دي!". أخرج من جيبه علبة السجائر وسلسلة مفاتيح، ومفتاحاً آخر لوحده. من علبة السجائر أخرج قطعة حشيش وأخذ يفركها، لاحظت مفتاح السيارة الوحيد، ولاحظت نسخة أخرى منه في سلسلة المفاتيح، سألته عنه، فقال إنه اشترى سيارة جديدة. قالت "مبروك.. بس ليه ماشي بمفتاحين لنفس السيارة؟" فقال إن المفتاح الآخر هو الاحتياطي، وكان قد تركه لدى السروجي الذي غير فرش السيارة كاملاً، واستبدل جلدًا أسود به ووضع عليه مشمعًا واقياً.

إذاً معه فلوس، وفلوس أكثر مما تصورت. حين كانا ينهيان إجراءات الطلاق، اعترض على المؤخر المثبت في العقد. وبقرف وعزة نفس لم تجادل فرح في هذه التفاصيل، لأنها لم ترد أن تظهر عارية، بلا ظهر يسندها، أمامه، خصوصاً بعد تدهور علاقتها بعائلتها، لكنها طالبت بالأجهزة الكهربائية التي أحضرها والدها لها. أدهشها أنه رضخ لصوتها الهادئ، ولم يحاول استغلال ضعفها وغياب أسرتها عن المشهد. غير موقفه ودفع المؤخر كاملاً، ثم تكلأ في تسليم الثلاجة والميكروويف بحجة

انه يحتاج إلى وقت حتى يشتري بديلاً عنهما، لم يرسل الثلاثة والميكروويف قط، وها هو الآن يتباهى بسيارة جديدة. ثم انما يحاول التبرير قال إنه ألف الموسيقى التصويرية لمسلسل سيد سيعرض في رمضان، وحين لاحظ المنتج أنه لا يملك سيارة عرض عليه هذه السيارة بدل أجره. عند هذه النقطة وجدت صعوبة في مقاومة رغبتها في الضحك، كانت حقاً قد اشتاقت إليه وإلى أسلوبه في المسكنة وادعاء المظلومية.

"طريقتك في الكذب لذيدة". قالت له ذات مرة، وأضافت انها تستمتع فعلاً بمشاهدته يكذب، فيإمكانه خداع الجميع إلا . . . لكنها في النهاية اكتشفت أنها هي أكبر مغفلة بين كل من يكذب عليهم.

صبت له القهوة ولها، ولفاً هو الجوينت، يرتدي تي-شيرت اسود ضيقاً، ذقنه نابته قليلاً كما تحبها. لم تعرف فرح الجنس داملاً إلا مع أحمد، والآن مع نسيم كل مرة تشعر بتلك النار في المعدة والاستثارة الغريبة التي تجعل شعيرات رقبتها منتصبه، انها أبدأ لم تصل لنشوتها. أحياناً تغمض عينيها وتحاول التركيز واستجماع كل الاستثارة العصبية، كأنها تمسك بالوناً بإصبعيها ونفخه وقبل أن تكتمل تعبثه ينفلت ويطير نافثاً الهواء في كل مكان. هذا أقصى ما وصلت إليه مع نسيم.

كل ما سبق يدفعها كثيراً إلى تذكر أحمد. فرح قارئة الفلسفة والتحليل النفسي كانت خائفة أن تكون نشوة الجنس لديها مرتبطة بأحمد، أن تكون في الأسر، أن تكون صورتها عن

نفسها أضعف مما تتخيل، ألا يكون هناك خلاص من هذا الحب.

سألها عن أحوالها فأجابت أنها تقابل بعض الأشخاص حالًا لكن لا شيء جادًا، هناها بالبيت فقالت إنها أحبته منذ أول مرة دخلته، حتى إنها دفعت إيجار أول ثلاثة أشهر مقدمًا وأخذت إجازة من العمل، وفي الغالب تفكر في السفر، الجم حار. مات الكلام وسكت الاثنان، كلاهما يكذب على الآخر، كلاهما يحرك لسانه بالحديث لكن ما من معانٍ يتبادلانها ناولها الجوينت فسحبت نفسًا ورشفت القهوة ثم سألته:

- تحب تنام معايا؟

اضطرب أحمد، حاول التفكير في العرض لثوانٍ، لكن أعضاء ردت بالنيابة عنه، وقال "آه أحب".

سار خلفها نحو غرفة النوم مُستكشفاً بيتها. وقفت بجوار الفراش، فوقف هو على عتبة الباب جامدًا. طوال علاقتهما لم تسأله أو تقل له أبدًا "تحب تنام معايا؟" بل تحدث الأمور بتلقائية، تميل عليه، تلمسه، وفي الغالب هو من يهم بها الآن يقف أمامها مُتفرسًا في وجهها، فيرى بسهولة القناع الذي ترتديه، لم تبتسم ولا مرة منذ دخل، ولا يدري كيف يقرب هزت رأسها كأنها تتساءل عن سبب وقوفه بعيدًا. دنا منها. مال عليها، وقبلها قبلة خفيفة على الشفتين. أعقبتها قبلات نهمة. تفجر شوقه إليها، وبعد كل هذه الشهور والعناد ودراما الطلاق، تفجرت الرغبة، جارفة معها كل شيء ومُتعجلة تحققها.

لم تستغرق المسألة كلها أكثر من دقيقة، شعر بالخجل،
والعار من أدائه، هذه أسوأ مرة مارس الجنس فيها في حياته،
اعترف لنفسه.

هي لم تصل إلى نشوتها، أخرج عضوه وانحنى عائداً برأسه
بين فخذيهما ليعوض سوء أدائه، لكنها أبعدته عنها وقالت: "لا،
خلاص".

نهضت من السرير وهي تقول "أنا رايحة الحمام". رقد
على الفراش لثوانٍ مُحاولاً استيعاب ما جرى، شعر بالخدعة
لأنها لم تعانقه

ابتلع الإهانة ونهض، خرجت من الحمام عارية، أفسحت
له المجال في الممر الضيق كأنما تحاذر أن يلمسها، دخل بدوره
واغتسل، ثم عاد للغرفة وارتدى ملابسه. كانت في الصالة
وسيجارة في يدها والأخرى مشغولة بالتقليب في الموبايل. جلس
بجوارها على الكنبه صامتاً. وضعت الموبايل جانباً، وسحبت
نفساً من السيجارة، "أنا للأسف، فيه ناس أصحاي بعتوا لي
جاين كمان نص ساعة فـ.." قاطعها "مافيش مشكلة، أنا
كمان لازم أمشي".

ظل جالساً لثوانٍ ينظر في الأرض أو يتطلع إلى الطاولة وبقية
أثاث الشقة القليل، كل هذا دون أن ينظر إليها، وحين استجمع
شجاعته، ونظر إليها وجدها تدخن، وهي تنظر باتجاه باب
الحديقة الزجاجي شاردة. قام وقال لها مودعاً: "أنا هامشي،
بس إنتي عارفة لو احتجتني أي حاجة كلميني، ويا ريت

اد، وفك تاني قريب". قبلته على خديه وهي تفتح له الباب،
١٠ دد بألية it's okay تمام...

في قصيدة "انتحار مؤقت" يقول جورج حنين:
في أعماق الأدراج الملونة بلون التلميذة
بين سيجارة ذابلة وصفعتين
يرجع تاريخهما إلى الفضيحة الأخيرة
يحدث أحياناً أن يلتقط
شفاه مرة
تتلو كلمات قريبة
تهبط كالحصي
منحدر الصوت

شفاه نادرة مختصرة
تتفتح لتدع جاسوساً يمر
وهو متخفٌ في فرقة عازفة
لا أعرف أبداً أي لحن
يتشبث بطوق من اللهب
والآن تقف النافذة

بغير عمر ولا ضوء
شقيقة الشفة المرة
فمنها تدخل الأعصاب الهائجة
متلبسة بأيدي بشرية
بعد الحب

على مائدة ما
شيء يبتسم خلال كل نعاسات العالم
إنه وجه
لا يلمح أبدًا
ولا ينسى أبدًا
وجه يؤرجحه
ثلج الذكرى الذي لا ينتهي.

حاولت فرح البكاء لكن لم تجد الدموع، بعد ساعة من
انصرافه واصلتها رسالة من ثلاثة سطور يكرر فيها العبارات
ذاتها "يا ريت أشوفك تاني قريب، أنا موجود جنبك إلخ..
إلخ".

حذفته من تطبيق محادثات الواتسآب، ثم حذفت كل حساباته وحجبتها. قامت لتدخل صينية القهوة إلى المطبخ واهتمت على الأرض مفتاح السيارة الاحتياطي، التقطته بعصبية وهي تشعر بالندم على إدخاله إلى بيتها بعدما بنت حصناً مائلاً من ذكريات الماضي، أمسكت الورد الذي أحضره ورمته في سلة النفايات. أدخلت صينية القهوة إلى المطبخ ووضعت المفتاح في الدرج المجاور لسرير غرفة النوم، عادت إلى الصالة و أمسكت تليفونها، أرسلت لأصدقائها الجدد ومجموعتها الدورية، اتفقت معهم أن يلتقوا في منزلها في المساء، أخبرها بسيم أنه سيكون في جنازة عمه، لكنها ردت بأنها ستكون في المنزل إن أحب المرور عليها، كان لا يزال أمامها أربع ساعات قبل أن يأتي أصدقاؤها، فقررت الخروج وقص شعرها.

الفصل الخامس

على درب التبانة

ها هو بنيان ينهض من ركام الماضي. الموسيقى الراقصة
تبعث بصوت عالٍ من السيارة المنطلقة بسرعة تتجاوز 120
كيلومترًا في الساعة. نسيم عيناه على الطريق ويداه على مقود
القيادة ، وفرح تدندن مع الموسيقى.

خرجًا فجرًا، سأل نسيم فرح نروح فين، فقالت لناكل سمكًا
في الإسماعيلية ونحلي بمانجا. وهاهم على طريق الإسماعيلية
الذي تحفه مزارع الموالح والفواكه على الجانبين.

كانت السيارة ماركة "كيا/ kia" سوداء، وحينما سألتها نسيم
"من أين أحضرتها؟" قالت استعارتها من صديق مسافر خارج
البلد. السيارة خفيفة تحت قدميه، لم يعلم هل ذلك بسبب

طبيعة السيارات "الكيا" أم رفرقة القلب التي تطلق الفراشات في صدره منذ خروجهما من المدينة.

يبتعدان عن المذابح، عن حظر التجوال ليلاً، عن أحمد، عن الماضي، عن ذلك الينبوع الجاف، عن الغرباء الذين يطاردون الساحر مجدي.

حزن نسيم من جراء ما حصل لبيته، لكن الساحر مجدي قال لا داعي للمقاومة، انطلق الوحش، والمذبحة ستليها مذابح أخرى. انتهى زمن السحر وسيسود عصر العلم الجاهل.

أخبره مجدي أنه سيعود للحياة مع والدته أو على كنبه خاله. وحين استشاره نسيم "ماذا عني أنا؟ ماذا أفعل؟" نصحه: "سافر يا نسيم.. سافر وما ترجعش هنا ثاني، أنا لو كنت أقدر كنت سافرت. لكن الفرق بيني وبينك إن أيامي وسنيني وخالي حمول شايها على كتفي".

لكن نسيم لا يستطيع السفر خارج البلاد، فهو لا يزال طالباً في معهد المربوطية للتكنولوجيا المتقدمة، حيث يرسب كل عام، رافضاً التخرج حتى لا يُستدعى لأداء الخدمة العسكرية. لذا حين أحضرت له فرح السيارة واقترحت رحلة على الطريق، انفتح له باب جديد وسط جدار حصاره.

قالت فرح إنها تعرف فندقاً جميلاً وهادئاً في الإسماعيلية يمكنهما أن يتوجها إليه أولاً. هواء الإسماعيلية مُحمل برائحة الفخفخينا والبغدة. مجد تلك المدينة يعود إلى آلاف السنين، حين حملت اسم "هيربوليس" في العصر البطلمي.

مدينة الغلال والتجارة حيث اعتادوا تخزين البضائع فيها
لـلـالاتجاه إلى بلدان الشرق أو بلدان الغرب. بُيّت في الزمن
القديم كمدينة تجارية حرة، نقطة التقاء خطوط الشرق
والغرب. سوق يتشكل فيها المستقبل، ثم انتعشت أكثر مع
مول الرومان إلى مصر، وتحولت إلى مركز النخبة التجارية في
الامبراطورية الرومانية. هنا مارسوا أنشطتهم كلها بعيداً
من سلطة روما وقبضة الحاكم الروماني في الإسكندرية.

أقيمت الاحتفالات الباذخة، ونُظمت حركات الدراسة
والشعوذة العلمية بلا رقيب ولا سلطان، تراكمت الثروة في
مدن نخبها واتسعت فجوة التفاوت بين الطبقات. حدثت
ثورات صغيرة وتمردات كبيرة، قُمعت جميعها بعنف وصرامة.
في واحة خضراء تنبت فيها أشجار الفاكهة والمواالح. وبعد
دخول العرب أطلقوا عليها اسم قرية التمساح، وحينما أتم
الحديوي إسماعيل في القرن التاسع عشر حفر قناة السويس،
اختار ربوة خضراء عالية ستُعرف فيما بعد باسم عتبة الجسر،
لقيم عليها الاحتفالات الكونية بافتتاح قناة السويس، في تحية
تاريخية لنخبة المجتمع الروماني التي عاشت هنا في نعيم
الحرية المطلقة وملذات العلم والشعوذة.

في هذا الطريق، سار الخديوي وموكب إمبراطورة فرنسا
أوجيني، وإمبراطور النمسا، وأمير بروسيا، وأمراء هولندا
وأمراتها، وكوكبة من الجنرالات الكبار والأمراء الصغار. اليوم
سير عليه موكب فرح ونسيم نحو شاطئ البحر حيث فندق
المرجان. وصل الموكب وتقدم الاثنان في فرح باتجاه مكتب

الاستقبال، تعطل نسيم عند البوابة الأمنية حيث طلب منه حارس الأمن إخراج الموبايل والمفاتيح من جيبه، أما فرح فخلعت نظارتها الشمسية وقالت لموظف الاستقبال: "عايزين نحجز غرفة دبل لو سمحت".

"حمدالله على السلامة"، رحب موظف الاستقبال بها، وطلب بطاقة الهوية فأخرجتها. وصل نسيم فقالت له فرح "البطاقة" أخرج نسيم بطاقته، فحص موظف الاستقبال البطاقتين، ثم سألهما ممكن قسيمة الزواج؟

استيقظ نسيم وانتبه. فرح طلبت من الموظف حجز غرفة لزوجين. بالتأكيد سيرفض الموظف، أدرك نسيم أن الموقف تعقد كانت خطته طلب غرفتين مُتجاورتين، فالقوانين المصرية لا تسمح للمصريين بالنزول في غرفة واحدة إن لم يحملوا قسيمة زواج، في حين يُسمح بذلك للأجانب. فرح -المطلقة حديثاً- التي لم تتعرض لمثل هذه المواقف أو تواجه تلك الأسئلة، اندهشت من طلب الموظف، قلبت وجهها وخاطبته بحدة، لكن نسيم أشار لها أن تهدأ وتركه يحاول محاولة أخيرة.

توجه نسيم بالحديث لموظف الاستقبال ذي الشنب الأبيض الكث، والبقعة الصفراء على قميصه، قال "نريد غرفتين منفصلتين وليست غرفة واحدة، لأننا نسينا قسيمة الزواج". وضع موظف الاستقبال البطاقتين على المنضدة الرخامية، وهز رأسه قائلاً "للأسف لا يمكنني".

أقبلن نسيم بخسارة المعركة، حتى خطته الساذجة بأن
. . . افرا وهما يدعيان أنهما غريبان ينزلان في غرفتي نوم
.. همتين لم تكن لتنجح. انفجرت فرح غاضبة، "لماذا ترفض أن
.. حنا غرقاً رغم أنها متوافرة؟". لبس الموظف ابتسامة باردة
.. ل وجهه وقال "أنا آسف، هذه تعليمات شرطة السياحة".
ردت فرح: "تعليمات شرطة السياحة لو نزلنا في غرفة واحدة،
.. الآن نريد غرفتين منفصلتين". استمر الرجل في رده الآلي: "لا
- مع بنزول سيدات لوحدهن في غرف مستقلة".

رأى نسيم في وجه وشارب موظف الاستقبال كل الزبالة
.. الخبايا والقطران وسواد القلب، الذي يُعرفونه بالرجولة
.. الأخلاق والعادات المصرية، تمنى لو يبصق في وجهه، لكنه
.. اط فرح بذراعه محاولاً تهدئتها، وسحب حقيبتها وخرج
.. من الفندق.

فاد نسيم السيارة عائداً إلى الطريق ذاته الذي دخل منه
.. المدينة. ملح لافتة تشير إلى طريق "نفق الشهيد أحمد حمدي"
.. وانحرف باتجاهها. الشمس في منتصف السماء. الساعة تقترب
.. من الواحدة ظهراً. سألته فرح:

- أين سنذهب؟

"سوف نبتعد عن أرض الروث الخراب هذه". أخبرها أنه
.. من الأفضل الاتجاه إلى جنوب سيناء، حيث البحر، والجبال،
.. والسماء الزرقاء ونجومها الزاهرة. قال شواطئ طابا ونوبيع لا
.. يسأل فيها البدو -الذين يملكون "كامبات" هناك أو يديرونها-

والنمور لحجرتي | 121

عن قسيمة الزواج أو هويات، فهم باقون والهويات زائلة
أشرق وجه فرح بنور رباني حينما ذكر لها سيئا. قالت إنها
تعرف "كامب" جميل جدًا، وأسعاره معقولة. مدت يدها إلى
ساقه، ووضعتها على ركبته العارية أسفل الشورت، وقالت
"سوف يعجبك".

أشعلت فرح سيجارة وفتحت الشباك فدخل الهواء قويا.
طير خصلات شعرها القصير، نظرت في مرآة السيارة ثم نظرت
إلى نسيم. منذ قصت شعرها كشعره، وصبح الاثنان شعرهما
باللون ذاته، تداهما موجات متقلبة. وسيعلمون أي منقلب
سينقلبون. الكامب الذي تفكر فيه، هو أرض توارثها ثلاثة
أجيال، الجد منحوه بندقية وحفنة سكر وقالوا أنت مع
الإمبراطورية العثمانية، ثم مرت به سيارة عسكرية ذات نهار
وقالت الحرب العالمية انتهت، وحينما ولد ابنه العاشر مر بهم
رتل عسكري وقالوا مات الملك عاش الرئيس، ثم ما بعد ذلك،
أنتم تعرفونه، الجميع منقلب وعابر في سيئا، وهو ما يتناسب
مع الاضطراب الداخلي الغامض الذي يتنازع هذه الشخصيات
كأن تنظر فرح إلى سيئا فيستيقظ وحش في معدتها، وتود
أن تقبله.. أن تلتهمه، أن تأكل خديه المحمرين بفعل حراره
الطقس، شفته المفتوحتين قليلاً بسبب تركيزه في القيادة.
الحنه على شعره تكسبه طابعاً أنثوياً، وذقنه المحلوقة الناعمة،
التي تود أن تمضغها، ثم نظرت إلى وجهها في المرآة فاحتارت
أيهما أشهى، وجنتها أم وجنته. فقالت له:

تعرف، كان المفروض نقول للراجل إن احنا اخوات أصلاً.

بإدلا الحكايات عن سيناء لكن ما إن اقتربنا من نفق
" : هيد أحمد حمدي، حتى ركب الهم أحمد، فحالة الطوارئ
"المال، وعلى مدخل النفق الواصل بين إفريقيا وآسيا عابراً
"ال مياه قناة السويس. أخرج رخصة قيادته من محفظته
هداداً، ثم سأل فرح:

أين رخصة هذه السيارة؟

تغيرت ملامح فرح واصفرّ وجهها. قالت:

لا أعرف، لم يعطيني رخصة السيارة.

كانا في طابور التفتيش، بالتالي لم تكن هناك فائدة من
الراجع. لاحظ نسيم الرعب على وجه فرح، فانفجر ضاحكاً:
إنتي مالك؟ وشك اتغير وجاب ألوان كده ليه؟ هو
احنا سارقين العربية يعني؟

فتش في محفظته الجلدية المليئة بالأوراق والكروت حتى
"ر على رخصة سيارته القديمة، قال "بصي، إحنا نجرب طريقة
"ال ساحر مجدي، ونستخدم قدراتنا الخارقة، جيبني بطاقتك
"الشخصية. سأعطيه البطاقات مرة واحدة، ونشنته بخدعة
"حرية، إن عدينا خير وبركة، إن اكتشف أنها رخصة قديمة

والنمور لاجرتي | 123

لسيارة أخرى، أعتذر له وأقول إن الأمر اختلط علي وأخذتها بدلاً من الرخصة الثانية".

نظرت نحو السماء فوجدتها صافية والشمس قاسية، لكنها راهنت بثقة على قدراتها الخارقة في تغيير الظروف والطقس فتح نسيم النافذة وناول المفتش البطاقة والرخص، نفخت فرم مُتهددة، فهبت رياح ساخنة محملة بالأتربة، رفع المفتش يده ليحمي عينيه من الأتربة، لكن ذرة صغيرة دخلت في إحدى عينيه، رمش ثم دعك عينه مُحاولاً إخراجها، لكن تزايد الحرقان، فناول نسيم الرخص، وقال له "تفضل".

انطلق بطيئاً بالسيارة حتى لا يثير انتباه أحد، وما إن دخل النفق، حتى رفع صوت أغنية "الرولينغ ستونز". صَحِجْتُ فَرَمَ وَالْأَسْمَاكُ فِي الْقَنَاءِ رَقَصَتْ لِفَرَحَتِهَا، إِسْتَقْبَلَتْهُمَا شَمْسُ سَيْنَاءِ الدَّهْيِيَّةُ مَا إِنْ حَرَجَا مِنَ النَّفْقِ.

الأرض مفروشة بذهب الرمال، والجبال تلمع بالأزرق الفيروزي. أما جبال الهم، أحزان الطلاق والانفصال، الدموع المكبوتة بين الأب وابنه، الدماء التي تغرق شوارع مصر ورائحتها الزفرة، القاهرة التي يطفنون أنوارها بسبب الحر، الأهلية، أصوات الطائرات التي تدوي طوال الليل، جبهما الذي ينمو بطيئاً تحت حصار النميمة من طرف الأصدقاء، كل هذا وراءهم، سيناء تفتتح لهما كزهرة برية، تستعد لالتهام وجبتها الصباحية.

لم يدرك نسيم مدى حبه لفرح إلا بعد أول قبلة تبادلها
يوم روت له ما حدث في مذبحة الكوبري، بكت يومها في
حضنه، وحين اعترفت له وسط نهضة الدموع بأنها وأحمد على
شك الطلاق، خرجت منه كلمة "أحسن" بتلقائية، فضحكت
ثم بكت ثم ضحكت ثم بكت، وبين البكاء والضحك استمرت
موعها تنهمر وهي في حضنه، وحين زاد نحيبها، همس في أذنها
"أل شيء سيصبح على ما يرام"، وطبع قبلة خفيفة على أذنها،
ثم أخرى على رأسها، استنشق عير ورائحة شعرها فتوالت
المسات، رفعت وجهها إليه فالتقت الشفاه للمرة الأولى.

لا يمل نسيم من التغزل في شفتي فرح؛ شفتان ناعمتان
تلتتان بلا تفريط. حينما تقبله تناوله شفتها السفلية
مصها طويلاً، يغيب في ريقها ويدرك كم هو كاذب.

كذب نسيم على نفسه كثيراً منذ تعرف بفرح، لكن بعد
الك قبلة اعترف بكل الحقائق، بأنه أحبها منذ رآها مع
أحمد أول مرة، لكن حاجز السن بينهما وكونها زوجة لصديقه،
أل هذا جعله يستبعدها دائماً من تفكيره، كافح ليصرفها عن
ذهنه. أقنع نفسه أحياناً بأنه لا يحب فرح، لكنه يحسد أحمد
على علاقته بفرح، ويتمناها بدلاً من علاقاته السريعة. لكنه
إن ملولاً، ولا يسمح لأي من الفتيات اللاتي تعرف إليهن بأن
يترتب منه إلى هذا الحد. اعتقد نسيم أن الاستقرار الخارجي
الذي يبدو عليه أحمد هو السبب في تحسن قدرته الإنتاجية،
الآن بدلاً من البحث عن زواج مثل زواج أحمد، انتهى به الأمر
بالتصقاً بزوجة صديقه. رفض زيارتهما في منزلهما وتحجج ببعده

المسافة، ومع ذلك، في الأوقات التي لا يكون فيها مشغولاً يرسل إلى فرح يدعوها للمرور عليه. وحينما تأتي، تمنى دائماً ألا تعود لمنزلها، وبعد قبلتهما الأولى تمنى أن تكون القبلة منزلهما. غادرت فرح منزلها، وانهارت بنائية نسيم، ورغم كل القبلا، التي تبادلها ظل أحمد موجوداً في الخلفية، كشبح آثاره على عشرات التفاصيل التي تحيط بهما؛ في الموسيقى التي عرفهما عليها، في اختياراته للأماكن التي أصبحت أماكنهما المفضلة. شبكات علاقاته وأصدقائه التي شكلت دوائر معارفهما.

يُخَيَّل إلى نسيم أحياناً حينما ينظر في عيني فرح أنه يرى انعكاس صورة أحمد لا صورته هو، الأمر الذي دفعه إلى اتخاذ قرارات والقيام بتصرفات مُغايرة لطبيعته، لكنها أشياء يستحبا. أن يُقَدِّم عليها أحمد، وذلك لكي يظهر لفرح تميزه عن أحمد. ومن هذه التصرفات موافقته على صبغ شعره بالحنة مثلاً. فرح، والسفر فجأة على غير هدى ودون خطة محددة.

أمسك نسيم بيدها ورفع أصابعها المطلية باللون الوردي إلى شفتيه وقبلها. هنا في سيناء وهما على الطريق يعبران صحراء التيه التي تاهت فيها شعوب وقبائل لسنوات طويلة ومديدة، رأى نسيم السعادة كاحتمال، وبين الصحراء والجبل، بدا الزمكان مناسباً لولادة الاثنين من جديد، وعلى الطريق بسرعة 120 كيلومتراً في الساعة أيقن نسيم أن هذا ما سيكون

لا أضواء لتحجب نور النجوم.

على شاطئ مهجور أوقف نسيم السيارة على بعد أمتار
من الطريق، افترشا الرمال الناعمة. أعد حقيبة النوم، وتمدد
أهلهما، ثم استلقت فرح بجواره. لا قمر في السماء بعد، ومع
أنك أنارت النجوم والمجرات والكواكب الفضاء حولهما.

استلقت فرح على ذراعه.

فوقهما خيط من ضوء. عنقود من النجوم ممتد، مجرة
من التبانة تضيء سينا.

بين فينة وأخرى يلمع شهاب خافت، يحترق سريعاً فتهدف
منه "شوتنج ستار". ثم تطبع قبلة على شفتيه، التقط شفثها
السفلى الشهية، مصها مصة طويلة ثم عضها. أحاطها بذراعيه،
مد يده إلى بنطالها القطني الخفيف. أمسكت فرح يده
وهمست: "لا أنا مش متطمنة هنا، خايفة من الحشرات".
استمر في تقبيلها، التهم أذنيها ورقبتها فأحست بأعصابها
الدهي، لكن ظلت ممسكة بيده لتصدها عن الدخول تحت
الغطالها، تأوهت مبعدة رأسها عنه. قالت بجديّة: "بلاش بليز،
ألبنا أحسن لما نوصل بكره الكامب".

بدا الإحباط على وجه نسيم، فأحاطت وجهه بكفيها
وطأته قائلة: "ماتزعلش".

مش زعلان. أنا بس صعبان عليا الجو واللحظة البديعة
دي كلها تفوتنا.

- مافيش حاجة هتفوتنا، إحنا مع بعض ولسة في أول
الرحلة. وأنا فعلاً مش مرتاحة هنا وخايفة من
الحشرات والعقارب.

- يا فوفا يا روعي، حد يسيب الطبيعة الجميلة والسما
والنجوم ويخش ينام في العربية؟

- والأهم حد يسبك أنت؟

احتضنت جسده، ومدت يدها داخل بنطاله، أمسكت
قضييه وكان منتصباً بالفعل فأخذت تدلكه. احتضنها هو أكثر
شاعراً بصوت الموج يتردد صداه داخل جسدها، فترتفع الرغبة،
خلف السد.

- مش قلت مش مرتاحة؟ هتحريني معاكي - قال لها
ويده تقبض على كفها - طيب إنتي عايزة إيه دلوقتي؟

- صعبان علينا ما اقدرش أسيبه واقف كده، يجي لك،
blue balls.

قهقهت فتردد صدى الضحكة مع صوت الموج، قبضت على
قضييه حتى عصرته، ثم أرخت يدها، عصرت بيضاته بقوة
فتأوه بصوت خافت، ثم مشت بكفها على قضييه. ارتعش
وتدفق منيه مبللاً ملابسه الداخلية وبنطاله ويدها، أحس
بقطرة من العرق البارد تنزلق على طول عموده الفقري.
عضلاته التي تيبست طوال اليوم من الجلوس خلف مقود
القيادة تنبسط وترتخي. لم تتوقف القبلات الخفيفة المتبادلة.

ابن الاثنى عشر. النجوم تنبض على بعد ملايين السنين، والشهاب
احترق في السماء.

فتح نسيم عينيه فرأى نورًا فوقه نور وكاد يُغشى عليه.
رفع يده أمام عينيه ليقبهما من الضوء الساطع، ابتعد الضوء
منه فاستيقظت بقية حواسه. حاول أن يتذكر.. أين هو؟ ثم
انتبه إلى أنه لا يزال مضطجعًا في حقيبة النوم، خاطبه صوت:

.. أنت جيت هنا إزاي؟ وإيه اللي منيمك كدا؟

بدأت عيناه تستوعبان المشهد: مجندان يحمل أحدهما
مصباحًا كهربائيًا، وضع يده على عينيه مرة أخرى وخاطبهما:

.. جرى إيه يا دفعة؟ أنت عايز تعميني والا إيه؟

أبعد المجدد الضوء عنه، ففتح نسيم غطاء حقيبة النوم
ولهض واقفًا على قدميه، والمجدد الآخر يقول له "ممنوع اللي
أنت عامله ده، ممنوع التخيم هنا".

انتبه نسيم إلى أن فرح لم تكن نائمة بجواره، نظر حوله
فلم يجدها، انفجرت الهواجس والشكوك داخله، هل هربت
لفرح؟ أين ستهرب؟ هل أحست بقدوم المجددين فاختبأت؟
لكن لماذا لم توقظه؟ استمر المجدد الثرثار في طرح الأسئلة:

.. أنت كدا عملت لنا مشكلة، ولازم تيجي معنا تشوف
الضابط، ويشوف كنت بتعمل إيه؟ ويعمل محضر.

استعاد نسيم حديثه مع أحمد في الكافيه، وتعليق أحده
على تصرفه وخوفه من البودي جارادات في بار بوذا الصغير
مد يده في جيبه مخاطبًا المجندين:

- ضابط إيه بس يا دفعة؟ إحنا شباب زي بعض، وانا
كنت مسافر في إجازة والشمس نزلت عليا - ثم أشار
إلى السيارة- فقلت أركن وأفرد ضهري شوية على
الشمس تطلع وأكمل طريقي.

رفع المجند الثاني الكشاف نحوه وخاطبه:

- أنت كدا عملت لنا مشاكل، دا كويس إننا ماضربنا
نار، أنت عارف وضع البلد.

قاطع المجند الثاني قائلاً:

- أيوه احنا معنا تعليمات بضرب النار في حالات الاشتبا،
على طول، لولا إننا افتكرناك غرقان، والا ميت، لو كنا
صاحي وبتتحرك كنا قلنا إرهابي وضرنا نار!

تلقت نسيم حوله بحثًا عن فرح، تملكه فزع حاول إخفاءه
في ظلام الليل عن المجندين. ثم أخرج الورقة النقدية من
جيبه، وقال مخاطبًا المجند حامل الكشاف:

- إرهاب إيه يا صاحبي؟ ربنا يحفظكم ويحميكم، دوا
هما ساعتين نمتهم.

مد نسيم يده ليضع الورقة النقدية في جيب المجند، لكن
المجنّد أبعد يده قائلاً:

لا ياعم إيه اللي بتعمله ده؟ إحنا بتنفذ الأوامر.

إستنى بس يا عيد، معاك بطاقة يا أستاذ.

قال المجند الآخر.

أخرج نسيم محفظته من بنطاله، ومد يده ببطاقة الهوية
إلى المجند، تناولها منه المجند ووضعها أمام ضوء الكشاف
.. أله:

إنت كنت رايح فين يا أستاذ نسيم؟

كنت رايح ذهب.

لا يعرف نسيم لماذا كذب عليهما وقال ذهب، ربما بسبب
الامس داخلي، أو ربما هي القاعدة الشهيرة التي تنص على ألا
تدبر الحكومة أبدًا بالحقيقة. مرر المجند بطاقة نسيم لزميله،
ثم توجه إلى نسيم بالكلام:

- طيب أنت بقى لازم تلمّ الحاجات من هنا وتمشي
دلوقتى وإلا هتعمل لنا مشكلة.

رد نسيم:

- أمشي أروح فين يا دفعة في الليل دا؟ بعدين ما أنت
عارف حظر التجوال لو سايق على الطريق في الضلمة
وداخل على كمين، ممكن يتضرب عليا نار.

تدخل المجند الآخر وسأل نسيم:

- أنت تقرب للحاج محمد شكري؟

"ده يبقى جدي" رد نسيم وهو يحاول تبين ملامح المجن الذي فرد ابتسامه على وجهه، وأعاد له البطاقة قائلاً:

- مش تقول يا عم، دا إحنا بلديات اهوه. أنا محمد ابن الحاج عبد الله حواس.

لم يتذكر نسيم الحاج عبد الله حواس، لكن بادل المجن ابتسامه أوسع ورد عليه السلامات والتحيات. خاطب المجن زميله يا عم دا طلع بلدياتنا، وتبادل الثلاثة السلامات والتحيات، واتسعت دائرة المجاملات، ثم قال ابن الحاج عبد الله حواس:

- شوف يا أستاذ نسيم، كلها نص ساعة أصلاً والفهم يطلع، فأنا باقول تلم حاجاتك وتتحرك من هنا، علم ما توصل أقرب كمين هتكون الشمس طلعت والحظ ترتفع، لأن لو احنا سبنك، كمان عشر دقائق وهتعدي دورية ثانية، وهتعامل لك ولنا مشاكل.

وافق نسيم على اقتراحهما، عرض الورقة النقدية مرة أخرى، لكن ابن الحاج حواس أقسم على رفضها. انصرفا وتركاه، فتناول موبايله من حقيبة النوم، دقق النظر فيه فوجد أنه نام أكثر من خمس ساعات. مشى يمينا ثم مشى يسارا، رفع التليفون إلى أذنه طالباً رقم فرج، أتي صوت المجن، الآلي "الرقم الذي طلبته مغلق". برودة تسري على طول ظهره، برد الخوف والقلق الذي يلف الأمعاء حول نفسه، الاضطراب دفعه للاستمرار في المشي من اليمين نحو اليسار عله يعثر عليها، أو لعل الماء يتفجر من تحت قدميه كأم إسماعيل

١١٤ هـ فرع وخجل من نفسه، كيف اختفت فرح من جواره؟
حملها نهضت في منتصف نومها، وقررت المغادرة، فمشت على
السيارة بعيداً عن الرمال. جمع متعلقاتهما المتناثرة، حملها
واضعة نحو السيارة ليقودها ويمشي بحثاً عنها.

لف حقيبة النوم وحملها تحت إبطه وفي اليد الأخرى
حاجية المياه ومفتاح السيارة. عندما فتح باب السيارة وجد
هناك نائمة على الكنب الخلفية. أخذ نفساً عميقاً، وأخرج مع
هناك كل التوتر والخوف الذي اعتمل في صدره. انتبه لدمعة
سابت من عينه. ازداد خجله من نفسه. وضع حقيبة النوم
على الكرسي المجاور لمقعد القيادة، وأدار المحرك. انتهت فرح
بدمعة استيقظت وقالت:

- فيه إيه؟

مسح الدمعة عن وجنته، ثم التفت إليها قائلاً:

- صباح الخير، الفجر هنا.

الفصل السادس المن والسلوى

أن تتوه يعني أن تفقد إحداثيات المكان.. كذلك الهدف،
النالي تتبدد الغاية. باستمرار الدوران بحثًا عن عنصر من
الثلاثة (المكان، الهدف، الغاية) تزداد المتاهة اتساعًا وتعقيدًا،
١.م تنقلب من متاهة لها أبواب وحلّ إلى "تية".

في التيه تفقد المكان والزمان. يخبرنا الرب أن بني إسرائيل
أهوا في سيناء لمدة أربعين عامًا، لكن هل شعر التائهون بأنها
أربعون عامًا؟ أم أربعون قرنًا؟ أم يوم وبعض يوم؟

شرط التيه هو غياب الزمان والمكان وتبدد العناصر. الشمس
أشرق على جبال سيناء منذ آلاف السنين مثلما أشرقت اليوم،
لكن فرح لم تسطع تحديد إحداثيات اليوم، اسمه بين أيام

الأسبوع، أو تاريخه. وحين نظرت إلى شاشة الموبايل وجداً مُغلَقاً، أوصلته بالشاحن الموجود في السيارة، أضاءت شاشة. لكن ما من إشارة وبالتالي فالإحداثيات/ الزمان/ المكان التي يعرضها الموبايل تنتمي إلى آخر لحظة وآخر مكان فيه تغطت شبكة الموبايل.

نظرت حولها، نسيم يقود بحذر على طريق مزدوج بعمارة واحدة في كل اتجاه. يتلوى الطريق كثعبان. من الجانبين ترتفع جبال صخرية شاهقة. ضغطت فرح أزرار المسجل فخرج صوت فيروز. بعد دقائق خرجا بالسيارة من الوادي الجبلي الضيق إلى وادٍ أكثر اتساعاً. لم تعد فرح تتحمل، فطلبت منه التوقف لأنها تريد أن تتبول.

أوقف السيارة على جانب الطريق. خرجت فرح، اتجهت نحو نتوء صخري بعيد لتقضي حاجتها خلفه، صاح نسيم: - لازم تبعدني؟ ما أنا شفت كل حاجة.

دون أن تلتفت رفعت إصبعها الأوسط له. ابتسم وهو يراقب خطواتها ونسيم الصباح يحرك شعرها وبنطالها القطني.

تحب فرح التبول في الطبيعة، فحين كانت صغيرة أغرمها بأنشطة الكشافة وظلت عضواً عاملاً ونشطاً حتى دخولها الجامعة. كانوا يقيمون معسكرات في الشتاء على شواطئ العجمي للتدرب على تقنيات التخيم، وسافرت للمشاركة في مسابقات الكشافة العالمية في صغرها. شجعها والدها على هذا الأمر، بل صحبها معه في رحلات ومهمات عسكرية في

١٠. طفولتها. تذكر أنها قضت ثلاثة أيام في وحدة عسكرية
في الصحراء الغربية حين كانت في عمر العاشرة. كان وجودها
مألوفًا للوائح، لكنها تذكر جولاتها معه خارج المعسكر، في
النهار يعلمها كيفية قراءة التضاريس وتتبع الأثر، والتعرف على
أنواع النباتات الصحراوية، والاختباء في انتظار ظهور حيوانات
الصحراء، وفي الليل يعلمها كيفية قراءة النجوم.

والآن في تبولها مثنى الركبتين، احتضنت فرح فضاء الصحراء
السيح بعينيهما، بينما المياه الذهبية تنساب منها ومثانتها
الراح وترتضي، فتشعر بالصحراء والجبال والسماء تعانقها
المقابل، وتطلب منها أن تطمئن وتفضي بأسرارها.

لتنسي الهم، البدايات الجديدة دائمًا هي الأجمل. همست
الصحراء في أذن فرح.

بعدما تبولت ظلت جالسة مكانها حتى تتأكد من فراغ
مثانتها، لاحظت كيف تنتشر مساحات من المراعي العشبية
المغيرة، فالأمطار التي تسقط فوق السلسلة الجبلية، تتجمع
في قاع الوادي لتشكل بيئة صالحة لنمو الأعشاب والنباتات
البرية. ملحت شجرة عرعر مزدهرة، تذكرت كيف كان والدها
يهلي أوراقها ويضيف إليها العسل ويشربها يوميًا لعلاج آلام
الركلى، وللمساعدة في التخلص من الحصى التي تتجمع في
مجراه البولي. مدت فرح يدها إلى علبة المناديل التي تحملها،
أخرجت واحدًا مسحت وجففت به فرجها. نهضت، مشت

في اتجاه المساحة العشبية الصغيرة، وكلما اقتربت انبهرت * تنوعها.

بدأت الحديقة البرية كصيدلية مفتوحة نبتت في حضن الجبل. تعرفت على نباتات "الحرمل والععر"، وتحسست أوراق "السموة" التي تستخدم في خفض نسبة السكر في الدم. ثم أوراق "الحصى لبان" العلاج الناجح لالتهاب الحلق. ولاحظت أن بعض النباتات في حالة مزهرة يانعة، كما لم ترها من قبل. استمرت في المشي مسحورة بالروائح المتعددة، وانددهشت كيف تجمعت هذه الفصائل كلها بعضها بجوار بعض، ثم انتبهت إلى غدير مياه صغير ينساب بين صخور الجبال ويروي تلال البقعة.

اتجهت نحو الغدير فإذا بها تكتشف شقاً بين صخور الجبل يتسع بالكاد لشخص واحد. أطلقت برأسها داخله فراءً واديًا كبيرًا أخضر مليئًا بالنخيل ومختلف النباتات، وغدير الماء ينبع من الأوراق الخضراء الكثيفة لتلك الواحة النباتية، قبل أن تخطو نحو الداخل سمعت نسيم ينادي عليها. نزلت من السيارة حين تأخرت. لا تدري سببًا لذلك، لكنها قررت أن تخلق أجواء تثير في نفسه الأسئلة، وتقدم له تلك الواحة بصفتها اكتشافها السري، استدارت نحوه وقد وضعت إصبعها على شفيتها إشارة منها لئلا يرفع صوته، وباليدي الأخرى أشارت له "أن اقترب".

دنا فتدلى.

ولها الواحة متابعين مجرى الغدير، تفاديا الحشائش الطويلة
الأوراق الشائكة مثل معظم نباتات الصحراء، حتى وصلا
الواحة. شاهدا عشة بسيطة مهجورة. خلفها انتصب
سور مبني بالطوب والإسمنت تتجمع فيه المياه. طافت فرح
المكان وبدأت تستوعب أبعاده، فهناك ثلاث آبار قديمة، في
الواحة منها توجد ماسورة ضخمة موصولة بموتور مياه يعمل
الليل، يسحب المياه من البئر ليصبها في الحوض الذي يصل
الواحة إلى نحو عشرين متراً، وعرضه خمسة أمتار، تتجمع المياه
الواحة لتحوّله إلى ما يشبه حمام سباحة صغير. من الحوض
الواحة من ثلاث فتحات أسفل جداره الجنوبي يمكن
الواحة وفتحها بهويس معدني، لتشكل شبكة من قنوات الري
الصغيرة، تروي الأرض المزروعة التي تحيط بالواحة.

عرفت فرح بيدها من مياه الحوض، شمتهما فوجدتها بلا
الواحة، شربت منها فانسابت برداً وسلاماً داخلها. في الحوض
الواحة ثمار بلح ساقطة من النخيل. شاهدت نسيم قادماً
الواحة من الصدر من جولته التفقدية للواحة. فهمت خلعه للتي-
الواحة بأنه إشارة إلى خلوّ المكان، فخلعت هي الأخرى بنطالها
الواحة، ونزعت التي- شيرت الذي ترتديه، ولم تكن ترتدي
الواحة منه حمالة صدر لأنها خلعتها أمس قبل النوم. اتجه
الواحة نحوها وهو ينظر حوله خوفاً من وجود أحد ما في
الواحة، وحينما وصل إليها وجدها تجردت من ملابسها تماماً
الواحة في الحوض.

وضع نسيم ملابسه على حافة الحوض. سبحت فرح نحره،
فرأت أنه جمع في التي-شيرت الكثير من البلح الأحمر والأصفر،
وسباطة موز نصف مستوية. سأله نسيم:

- متأكدة إن مافيش حد هنا؟

هزت رأسها بثقة، فخلع ملابسه وقفز في المياه. غطس،
نسيم، سبح حتى نهاية الحوض ثم عاد إلى فرح التي وقف،
تقشر صباع موز، والمياه تصل لمنتصف صدرها. قبل أن يهم نسيم
بتناول بلحة، انحنى على صدر فرح وتناول حلمتها بفمه.

أبعدت صدرها ضاحكة، ثم منحته بدلاً من حلمتها
صباح الموز. أنعشتها المياه الباردة، وأيقظت الخلايا النائمة
مسحت عن قلب نسيم الخوف الذي سيطر عليه منذ داهمه
الجنديان، وبددت ظل أحمد المعلق فوقه. سأل فرح:

- إنتي كنتي تعرفي المكان ده؟

قصمت البلحة بأسنانها فانفلجت لنصفين، جاوبته: "آه".

تردد نسيم ثم سأله:

- جيتي هنا مع أحمد قبل كده؟

ابتلعت نصف البلحة وأخذت تمضغها ثم ردت "لا يا نسيم،
أنا عمري ما جيت هنا مع أي حد قبل كدا".

- أومال إنتي عارفة المكان دا إزاي؟

أشارت إلى لافتة خشبية على الأرض بجوار العشة، كُتب
أبها بالعربية والعبرية "واحة المن والسلوى".

قبل أن يسأل فرح سؤالاً آخر، غطست تحت المياه وسبحت
إلى الطرف الآخر من الحوض، وحين ظهرت استلقت على
ظهرها. اتجه نسيم نحوها، مد ذراعيه أسفل منها فعلق
ذراعيها حول رقبتة وقصت عليه:

- خرجوا مثلنا من مصر مجبرين، هرباً من التعفن في
السجون أو الذبح على الكباري باسم الملك، وباسم
الوطن. ضاقت عليهم الحدود فساروا لحدودها. رفضهم
الجميع، تركوهم يغرقون في البحر، ومن عافر منهم
ووصل إلى الشاطئ وُضع في معسكرات أنشئت على
عجل، محاطة بأسوار شائكة مكهربة، وتحرسها كلاب
معدلة وراثياً تشم لحم المهاجرين وتميزه عن لحم
السكان الأصليين، كلاب بأنياب طويلة وأعين حمراء
باستطاعتها أن تقتل على أساس الهوية، وعلى حسب
وضعك القانوني وورق إقامتك. مجموعة منهم قالت
مملكتي ليست في هذا العالم. لم يبحثوا عن وطن، بل
أرادوا عالمًا بلا أوطان ولا حدود. على أقدامهم ساروا
وتعاهدوا ألا يركبوا الفلك ولا تحملهم سوى أرجلهم.
طالت الرحلة والمسيرة قالت امرأة "لقد أخطأنا، لعننا
إن عدنا وطلبنا العفو والسماح من السلطان يجد لنا
مكانًا، حتى إن عاقبنا، فعقاب السلطان مؤقت، وبعدها
نخرج لنصبح من رعاياه، لنخدم الملك ونعمل على بناء

والنمور لحجرتي | 141

ملكوته الجديد". وفور أن نطقت بهذه الكلمات اتهمها الآخرون بالخيانة والتخلي عنهم.

هبط نسيم على شفيتها بقبلة طويلة، التقط لسانها، يده تسرح على جسدها، أبعدت رأسها عنه وسألته بجديّة:

- لو اختلفنا يا نونو هتقول عليا خاينة؟

هز رأسه نافيًا دون أن يفتح فمه. ضوء الشمس الذهبي بدأ يصبح أكثر لمعًا حاملاً الحرارة والحياة، تسلل من بين النخيل والأشجار التي تحيط بالحوض المرصود وارتمى على صفحة المياه، حيث يتهادى البلح وأمواج خفيفة مبعثها حركته جسد نسيم وفرح في عناقهما العائم، أكملت فرح:

- اختلافهم قادهم للخطيئة، قالوا لنتبع رأي الأغلبية فهكذا تكون الديمقراطية. قالت امرأة منهم، يدا الله فوق الجماعة. أحصوا الأصوات فكانت المفاجأة أن اختارت الأغلبية العودة إلى أرض فرعون، برروا ذلك بالحنين للوطن، قالوا نحب بلادنا، قالوا الملك قلبه رحيم وسيعفو عنا، ظنوا أن بإمكانهم الدخول متسللين والحياة بهويات جديدة وبذلك لن يعلم أحد حقيقتهم. أما الفئة التي رفضت العودة فقد أصيبت بالفزع بما أن كثيرًا منهم سبق أن دخلوا السجون، كما أن آثار التعذيب وأمراض الزنازين لا تزال عالقة على أجسادهم، والخوف ملاك رابض على أكتافهم.

نزلت فرح من فوق ذراع نسيم، سبحت ذراعين ثم عادت
سحوه. الشمس بذهبها، السكر الحلو في طعم البلح والموز
والفلة فرح، الانتصاب الذي داهمه، وتعلقه ببقية الحكاية
سعله يخطو في الماء مسحورًا نحوها. تعلقت به مرة أخرى
واحاطت وسطه بساقها. سار بها في الماء، وأكملت:

- الذين اختاروا العودة قاسوا في الطريق من العطش
والجوع والشمس. كانت هناك كتيبة ملكية تطاردهم،
لمحوا مضارب الكتيبة والعلم الجمهوري الوطني.
تشاوروا كيف يدخلون على الكتيبة الملكية مستسلمين
دون أن يثيروا فزع الكتيبة أو يستفزوا نزعاتهم الدفاعية
العدائية، خلع الرجال بوكسراتهم البيضاء ورفعوها
شارات استسلام، وقبل أن يخطوا خطوة واحدة
داهمتهم عاصفة ترابية، وحين انقشعت كانوا قد
تحولوا إلى قردة وخنازير. جذب قباع الخنازير وقهقهة
القردة جنود الكتيبة الملكية، اعتقد الجنود أنهم قطع
خنازير ضائع، ركبوا خيولهم وانطلقوا في موسم الصيد.

الفئة التي اختارت عدم العودة إلى الوطن، واصلت المسير.
ولجوا واديًا جبليًا، مر يومان ثم انتبهوا إلى أنهم عادوا إلى
المنطقة ذاتها، شكوا في الأمر فوضعوا علامة. بعد يومين آخرين
وجدوا أنفسهم في الموضوع ذات، فأيقنوا أنهم في متاهة. غضبوا
ونقموا على الإله، تمنوا لو لم يتمكن منهم الخوف وعادوا مع
أخوانهم إلى الوطن. لكن لو علمتم الغيب لاخترتم الواقع،
وجودهم في المتاهة هو ما حماهم وأخفاهم عن الكتيبة

الملكية التي تزودت بالطاقة والحماس بعد غنيمتها من الخنازير المشوية.

رفعها نسيم من كفليها، داعب عضوه المنتصب فرجها رقبته مثنية إلى الخلف، عيناها معلقتان بسعف النخل والسما الزرقاء الحانية. تداخلت الأعضاء وتوثق العناق، أكملت فرح بعد أربعين يومًا في المتاهة، بدت لهم مثل أربعين عامًا خرجوا ووجدوا أنفسهم هنا، ينبوع ماء يتفجر من الأرض. ويتنزل عليهم من الجبل، أنهارًا صغيرة، العسل والمن والسلوى.

قبلته، وببدها في الماء عدلت من وضع قضيبه، انزلت عليه. تأوهت، والأعضاء تنزلق. الأيادي تمسح الجسدين وتقبض على العضلات والدهون القليلة للجسدين الشابين. عينا فرح تنظران نحو السماء الزرقاء، شعرت بالهيجان ينبض خافتًا في عروقها، الرغبة تتجمع في جبهتها في المنتصف بين العينين، أغمضت عينيها وحاولت التركيز لتدفع بؤرة الرغبة نحو الأسفل. الأورجازم كما تصورت فرح طريقة عمله يبدأ من الرأس، كتلة تتكثف باستمرار الممارسة، ثم بالإزاحة الذهنية تنزلق على طول الظهر أو البطن نحو الكس. وأخيرًا كل شيء يجري كما يجب أن يكون. شعرت فرح باقترابها، أخيرًا سوف تصل لنشوتها، ثم اندلع الصوت:

- السلام عليكم.. معانا بناطيل وحظاظات، غوايش وحاجات زينة.

بددت طاقة فرح، واستيقظت من هيجانها متشبثة برقبة
... يم الذي عانقها أكثر كأنما بذراعيه سيحميها من تطفل
الموت. تلفت حوله، فرأى سيدتين بملابس بدوية، وكل واحدة
... هما تحمل بقجة كبيرة. همست فرح في أذنه "اطلع اشغلهم
... شان ألبس تياي". تناول نسيم بوكسره، واتجه إلى الطرف
... الأمر للحوض، بعيدًا عن أعين البدويتين، في حين غطست فرح
... أسها تحت الماء.

خرج نسيم من الحوض متقدمًا نحو ملابسه. أخرج المحفظة
... جيب بنطاله ثم ذهب إلى البدويتين عاريًا إلا من البوكسر.
... اولت فرح "تي-شيرت" نسيم الموضوع أسفل ما تبقى من
... ح، نشفت صدرها وكتفيها ثم تناولت قميصها وارترده.
... سناها تراقبان البدويتين. رغم انهماكهما في الفصال والبيع
... نسيم، لمحت عيني واحدة منهما ترصدتها. لم تتمكن من
... الكهن بطبيعة نظراتها لأن الاثنتين ترتديان البرقع، ولا تكشفان
... الا عن أعينهما. في تحد، خرجت فرح من الماء دون شيء يسترها
... سوى قميص، لا يغطي حتى نصف رديها. ببطء استعرضي
... ارتدت ملابسها الداخلية، ثم بنطالها القطني. كانت تلملم
... شعرها المبلل حين سمعت حفيف أوراق النباتات. التفتت نحو
... مصدر الصوت فهالتها المفاجأة، نمس مصري بفراء رصاصي
... بسارع ثعباني لا يتجاوز طوله المتر.

قفز الثعبان في الهواء محاولاً الفرار، لكن النمس انقض
... عليه بمخالبه ليثبته في الأرض ناشبًا أنيابه في رقبتة، متشبثًا
... بغنيمته التي تحاول الفرار يائسة من قبضة الموت المحتوم.

انتبه النمس لعيون فرح، فبادلها نظرة حيوانية خالية من أو
تعبير، ثم انسحب بخجله المعهود حاملاً غنيمته بين فكّيه
حجبت غيمة كبيرة الشمس وغطت الوادي حيث وا 4
المن والسلوى.

(على مائدة ما

شيء يبتسم خلال كل نعاسات العالم

إنه وجه

لا يلمح أبداً

ولا ينسى أبداً)

رأت فرح نسيم يتقدم نحوها حاملاً بنطالاً بدوياً أبيض.
وعقدًا من أصداف البحر. انقبض قلب فرح، رفعت ذراعها
إلى الغيمة محاولة إزاحتها لترى الشمس، لكن نبضة كهربائية
صعقتها، فعطست عطسة قوية انتفض لها جسدها، تبعت
العطسة عطسة ثانية، ثم ثالثة، نزلت البرابير من أنف فرح
فمدت يدها إلى بنطالها وأخرجت علبة المناديل وهي تحاول
مداراة وجهها عن نسيم في خجل، مسحت مخاطها، ثم رفعت
رأسها، وقبل أن ينطق نسيم قالت:

- لننصرف من هنا.

امتد الشرخ الناتج عن طلاق فرح عميقًا، ليفقد لها ثقتها
نفسها والعالم، وكذلك بالأفكار التي آمنت بها والمشاعر التي
لها موجودة. اعترفت فرح بينها وبين نفسها بأن كل ما
لمسته واعتقدت به خطأ.

الحب خطير يا سادة، الحب دمار وهلاك. بنّت فرح
سنانها وشبابها على إيمانها بالحب ووجدت في أحمد ذلك
الحب، لذا صنعت حياتها لتدور في فلك غرامها بأحمد. رفضت
الدراسة والمنح الدراسية للسفر إلى الخارج، بل وتوقفت عن
الدراسة، وتفرغت للعمل في مكانين مختلفين لكي تدعم أحمد
أدبًا حتى يتفرغ هو لإبداعه وفنه وتجاربه الموسيقية التي لم
يكن مجدية ماديًا. آمنت بحبها، وآمنت بما يصنعه أحمد، ثم
ذهب كل ذلك أدراج الرياح أو مع مياه السيوفون.

تحول أحمد من الموسيقى الإلكترونية المركبة، ليصنع الآن
معزوفات راقصة ونغمات لإعلانات ومسلسلات تلفزيونية
رديئة.

الحب وهم كبير، والعالم سلسلة من الأخطاء.

والزمن طيبب الجروح. تجاوزت فرح صدمة ما بعد
الطلاق، وبدلاً من الاستسلام للأفكار السلبية وكراهية العالم،
قررت استخدام معارفها التي تشربتها من الأدب والفلسفة
لتصوغ بنيانًا جديدًا. وبكي تستطيع أن تفكر وتقوم بمهمة نقد
الذات وتصحيح المسار وإعادة تهيئة البنيان، عليها أن تتخلص

أولاً من هذه الكآبة وتعيد التعرف إلى نفسها والعالم، واختارت بينها وبين نفسها عنواناً لهذه التجربة وهو "بلاهة الإرادة".

رسمت فرح منذ بداية الرحلة بسمة عريضة على وجهها، فحينما طردوا من الفندق في الإسماعيلية لم تسمح بتعكير صفو مزاجها. بتفاؤل قالت لنفسها: البحر والسعادة يوجدان في نهاية الطريق. بإرادة حديدية أصرت، إن لم تعثر على البحر والسعادة فستخلقهما.

احتاجت إلى نسيم معها لأنها خافت من شياطين وحدتها، وحينما عرفت بخبر تهدم بنايته وصار لا يملك الآن غيرها، توترت قليلاً خوفاً من تورطها في وعود ليست مستعدة لها، لكنها وجدت فيه -كعادته- خير صديق وأفضل رفيق.

تأملت وجهه وعيناه مسلطتان على الطريق، الهواء المنساب من نافذة السيارة يحرك خصلات شعره المصبوغة بالحنة الحمراء، مدت يدها نحو وجهه وداعبت بأصابعها وجنته، أدار وجهه إليها مبتسماً، أمسك يدها وطبع قبلة على أصابعها سألته:

- تعبت من السوافة؟

رد بسؤال:

- لسة كثير؟

- أعتقد ساعة.

اختارت فرح كامب الصخرة الحمراء، على ساحل البحر.

أخذنا طريقاً متعرجاً بين الجبال حتى لا يعبرنا بأي نقاط مفتيش. يمتد الكامب على شريط صخري متعرج يصل طوله إلى ألف متر، ويطل على خليج العقبة، لذا فالمياه راكدة، بلا أمواج، شفافة، تعج بالشعب المرجانية والأسماك الملونة. تفصل الكامب عن طريق السيارات هضبة صخرية حمراء اللون، صنوع عازلاً بين المقيم فيه والعالم في الخلف. أحد أسباب حب فرح لهذا المنتجع أن "مايكل" الألماني، مالك المكان، يرفض إصالح الكهرباء إلى مخيمه الطبيعي، فهم يعتمدون على مولد كهرباء يعمل لبضع ساعات في الليل.

الأكواخ والخوش التي يقيم فيها النزلاء تتوزع على بعد أمتار من الشاطئ. مصنوعة من الخشب الخفيف، السقف مغطى بجريد النخيل. أما الخوش فمبنية من القصب والبوص المحفف، سقفها هرمي مصنوع من جريد النخيل المصفوف على شكل نصف دائرة يغيب منتصفها، حيث تغطيه شبكة من الأسلاك لمنع تسلل الحشرات، وعبرها يمكن للنائم في الداخل أن يراقب النجوم، كذلك يسمح هذا التصميم بتجدد الهواء وتبريد الخوشة في حر الصيف.

"هذا المكان هو نعيم سيناء"، قالت فرح لنسيم وهما يقتربان، لكنها لم تخبره بالطبع أنه المكان ذاته الذي قضت فيه شهر عسلها مع أحمد.

على يسارهما يمتد البحر وعلى يمينهما تنبسط الصحراء والجبال، ثم يستدير الطريق ليمر بين جبلين، ومن اليسار يظهر ممر جانبي فوقه لافتة خشبية مكتوب عليها بالعبرية والإنجليزية Red Rock. هتفت فرح: "هنا"، فأدار المقود ودخلا في الممر حيث قابلتهما بوابة خشبية. ضرب نسيم زُمور السيارة، لكن لم يفتح الباب. توقعت فرح أن حارس البوابة ربما يكون نائماً أو غير موجود، نزلت ودفعت الباب بيدها فانفتح بسهولة. دخل نسيم مسرعاً بالسيارة، تظاهر أنه سيتك فرح، جرت خلف السيارة لكنه توقف، ضحكاتها ترتفع. تتظاهر بالغضب وهي تفتح الباب وتقول له "يا غلس". نسيم البحر غطاها برائحتة، اقترب منها وطبع قبلة على خدها. أمسكت وجهه وتبادلا قبلة بالشفاه تلامست فيها الأسنان. "حمدالله على السلامة" قالت له.

دخلا بالسيارة باتجاه الخوش الرئيسة، حيث يوجد موقف السيارات خلفها. الخوشة الرئيسة تحتوي على المطبخ وتنبسط أمامها مجموعة من الأرائك والوسائد، يستلقي عليها عدد من نزلاء الكامب في الظل اتقاءً لشمس العصاري. لاحظت فرح بعض التغيرات في المكان، والوجوه الجديدة. في شباك المطبخ الذي يطل على مجلس الخوشة الكبيرة، رأت شاباً أشقر الشعر، بعينين ملونتين، بجواره شاب مصري، يتحرك الاثنان بسلاسة، منهمكين في طهو الطعام.

توجهت للمطبخ وسألتهم إذا كان هناك غرف خالية. فأشاروا إلى المكتب في الزاوية الأخرى، حيث ثلاث المشروبات

الغازية والبيرة. رأت فرح روكسي ابنة مايكل صاحب الكامب،
والجهدت نحوها بابتسامة واسعة على شفيتها. نشأت بينها
ومن روكسي صداقة مرحلة منذ زيارتها الأولى هنا، حتى إنهما
أحياناً يتحدثان عبر الفيسبوك وتعلق كل واحدة على منشورات
الأخرى، لكن مع كل خطوة تخطوها باتجاه روكسي لاحظت
هذه النظرة الذاهلة في عينيها، وحين وصلت إليها فتحت فرح
أراعيها ترحب بصديقتها وتحتضنها، لكن عيني روكسي غشيتها
سوم ذاهلة، ويدها امتدت لتصافح فرح ببرود.

صدمت فرح، وابتضنت من هذا الاستقبال. لكنها صافحت
وكسي بكف يدها وتصنعت بروداً مماثلاً. لروكسي جسم
مهيف ووجه يضاوي حلو التقاطيع، شفتان رفيعتان وبشرة
أوجتها شمس سيناء. أشرق وجه روكسي كأنها استيقظت من
النوم حين ظهرت سيدة ترتدي مايوه أخضر من قطعة واحدة،
ونلف حول خصرها شالاً صيفياً أبيض اللون. بدت في نهاية
الأربعينات أو أوائل الخمسينات، تسير ملوحة بيدها يميناً
ويساراً، وتلقي السلام على الجمهور الأوروبي الجالس حتى
وصلت إلى المكتب، انحنى قليلاً وقبّلت روكسي على خدها ثم
أولت هي الحديث:

- حمدالله على السلامة، تحبوا الخوشة دي؟

وأشارت لخوشة قريبة من مكان الخوشة الرئيسة، لكن
فرح أشارت نحو أقصى نقطة في الكامب وقالت "لا أنا عايزة

الي في الآخر". قلبت السيدة الأربعينية ذات الصدر العامر وجهها، وقالت "آه الي عند آلة الزمن".

تدخل نسيم وقد جذبته الإغراء الوحشي في نظرة السيده الأربعينية وسألها:

- أنتم عندكم آلة زمن بجد؟

ردت وهي تفك الوشاح الأبيض عن وسطها ليظهر فخذاها بلون برونزي من البحر والشمس وتجيبه "طبعًا".

همت فرح بتوجيه سؤال لها، لكنها سبقتها قائلة "تحبوا تاكلوا الأول ولا تريحوا شوية؟". قالا "سنأكل أولاً ثم نذهب إلى الخوشة"، انتهزت فرح لحظة الصمت والسيدة الأربعينية تدون البيانات وسألتها:

- هو حضرتك شغالة هنا؟

رفعت السيدة الأربعينية وجهها يشكل الغضب ملامحه، وعينين تشتعلان بالحرائق. صُدمت فرح من الغضب في عينيها، توترت للحظة، لكن بدلاً من الخوف صمدت في وجه النظرات الغاضبة، وركبت على وجهها نظرة لا مبالية صامتة. توقف المشهد لثوانٍ شاملاً الأربعة بتوتر الترقب، ثم فجأة تبدلت ملامح الأربعينية إلى الابتسام وتطورت لقهقهة صاخبة. ردت وهي تحاول السيطرة على تعاقب ضحكاتها "أنا أشتغل؟ هاهاها... هنا؟ هاهاها..."

ابتسمت روکسي لضحکات الأربيعينية ذات المايوه الأخضر،
وإدخلت في الحديث بالإنجليزية قائلة "تشتغل هنا إيه؟ ماما
أرمة تحرس لنا المكان". وبلغة عربية مكسرة أضافت "هي
ارتتنا ونوراتنا". أعقبت جملتها بانحناء سريعة، أمالت جذعها
الذمعة، لتلامس قدم ماما كريمة، وتأخذ البركة بأصابعها من
أراب قدميها، ثم رفعت يدها إلى فمها وقبّلتها، وانتصبت
الاففة وقد عادت الابتسامة لوجهها.

كان العشاء عبارة عن طبق يحتوي على الكوسة بالبشاميل،
ومعه طبق أكبر من السلطة، وطبق أصغر من سلطة الطحينة.
لاحظ نسيم أن الجميع يأكل الطعام ذاته، وحين سأل فرح
أبّرت عن دهشتها، وقالت "في العادة يكون هناك طبقان أو
ثلاثة للاختيار من بينها، لكن يبدو أن الكثير من القواعد تغير".
بعد تناول الطعام، ذهبت فرح لتغسل يدها في الحمام
غلف الخوشة الرئيسة. غابت الشمس وحل الظلام، لكن في
الضوء الخافت شاهدت الحارس النوبي، أجهدت ذهنها لتذكر
اسمه، وفي النهاية نادى عليه "يا عم عبده"، التفت إليها
مبتسمًا رغم أن اسمه لم يكن عبده، وبعد السلامات، و"فينك
من زمان؟" سألته إن كان معه بانجو، قال لها "حبًا وكرامة من
العين دي قبل العين دي".

عادت فرح إلى الخوشة الرئيسة، فوجدت ماما كريمة غداً،
ملابسها وارتدت جلبابًا أبيض من الكتان الخفيف، يشفها
تفاصيل جسدها، ولا ترتدي شيئًا أسفل منه. جلست ماما كريمة
تحت مصباح ملون في زاوية من زوايا الخوشة، وفردت ساقيها
فاستلقت على ساقها اليمنى روكسي، وعلى اليسرى وضعت
فتاة أخرى رأسها، لم تتبين فرح ملامحها لأن ظهرها كان عازلاً
في مواجهتها، وشعرها ملموم، بينما ملأت ظهرها وشوم تصورها
مركبات ومعادلات كيميائية. وجلس حولهم من في الكاف
جميعًا في نصف حلقة، أعينهم وأذانهم مع ماما كريمة، الذين
تمسح بيديها شعر الفتاتين وتتحدث بصوت خافت، وبلغت
تتعرف عليها فرح، وإن ظنت أنها الألمانية.

بعدها تناولوا الطعام تمدد نسيم بجوارها، داعبه نسيم
الشاطئ فغفا نائمًا. فكرت فرح في التقدم نحو حلقة ماء
كريمة، لكن صوتًا داخلها أمرها أن تنسحب الآن، وتترك الأمر إلى
الصباح. أيقظت نسيم، وانسحبا نحو خوشتهما، يتكئ كلاهما
على الآخر.

مشيا متعانقين في ظلام المساء الذي لا تنيره سوى نجوم
السماء الزاهرة. الهواء البارد أنعشهما بعد رطوبة وحرارة
السفر، قالت إنها قابلت الحارس واتفقت معه أن يجلب لهما
بانجو غداً. نسيم، الذي كانت تلك أول زيارة له لهذا الكاف،
بل إلى هذا الجزء من سيناء، استغرب من بساطة الحصا
على المخدرات، فشرحت له أن كل هذا الشريط الممتد من طابا
إلى نويبع بعيد عن سيطرة الأمن، باستثناء الطريق العمومي.

١٠٠. ث. يمتلك البدو الشواطئ، ويؤجرونها، وبدلاً من الحكومة،
١٠١. يوفرون حراسة المنطقة وتأمينها، وتوفير مختلف الإمدادات
والخدمات.

أما ظهراً إلى الخلف ورفعت عينها إلى قبة السماء،
١٠٢. - ألتته: "شايف النجوم يا نسيم؟"

الجبال شاهدة. الجبال التي تمتد حتى تحت سطح الماء
١٠٣. والوادي، الذي يصل عمقه إلى أكثر من ألفي متر مشكلاً
١٠٤. حاج العقبة، حيث ممالك عامرة منذ ملايين السنين، وممالك
١٠٥. منذ ملايين السنين، لكن أثرها باقٍ على جدران الجبال
١٠٦. وان مختلفة، كل لون هو بصمة لعصر قديم، بصمة
١٠٧. مسوات زال وجودها، لكنها شكلت حلقة من حلقات متتالية
١٠٨. لوجودنا. أسلافنا البيولوجيون، أسماكنا وزواحفنا. الطبيعة
١٠٩. المشنة الفقيرة هي أمنا الحقيقية. من الشقاء نولد، ومن
١١٠. هذه التجربة ستولد فرح الجديدة.



t.me/qurssan



الفصل السابع

ماما كريمة سيدة العلوم

استيقظت فرح مُنتصف الليل. أحست بمثانتها تكاد تنفجر
من احتباس الماء. لزمتهما ثوانٍ لتتذكر أين هي.

نائمة على السرير، لا ترتدي سوى كلوتها القطني، وبجوارها
سليم عاريًا. ثم صوت الموج، ورائحة البحر. أغمضت عينيها
وهنت لو كانت فرس نهر، أو أروع من ذلك لو كانت مدينة
الأملة تحت البحر، كادت تنزلق في أحلامها أكثر، لكن ضغطت
مئانتها الممتلئة عليها، فقامت ببطء من السرير.

ارتدت قميصًا طويلًا يصل إلى الركبتين، بحثت عن موبايها
الضيء طريقها نحو الحمام، لم تعثر عليه، فنظرت من النافذة.
السماء صافية، تنيرها النجوم. والقمر رغم أنه لا يزال هلالاً

فإن وهجه الفضي يلقي سناه على الأرجاء كافة، حتى داه الخوشة المظلمة.

خرجت فرح. مشت على ضوء القمر. بين النوم والصبح بدأ جسدها يستفيق، أحست بصداع في نصف رأسها الأيمن. حاولت التنفس من أنفها، فوجدته مسدودًا. "اللعنة! الجيوب، الأنفية مرة أخرى." لم تكن هناك أي إضاءة في الكامب سور. مبنى الحمامات الذي تتم إنارته بمصابيح تعمل بالطاقة الشمسية. على أشعتها الخافتة تبوّلت فرح، وأحست بالانقباض في عضلات الجسد، وانطلاق الروح في فضاء الزمن الذي يده الإنسان المحصور بعد فك حصره.

في طريق عودتها إلى الخوشة، سرحت تتأمل السماء والنجوم حاولت تذكر أسماء النجوم وتشكيلاتها التي علمها لها والدها ثم سمعت همهمة، ورجلاً يتأوه. مَشَتْ فِي اتِّجَاهِ الضُّوءِ. وعلى ضوء القمر رأته. ذكر أربعيني، مربوط بحبل ثخم حول رقبتة، عاريًا، تجره فتاة لم تتبين ملامح وجهها، وخلاه فتاة أخرى. ميزت فرح تلك الفتاة لأنها رأتها في أثناء العشاء. وبدت لها بريئة وذات ابتسامة طفولية، لكنها الآن تحمل عبء عريضة، وكلما تلكأ الرجل في المشي -أو للدقة في الزحف- تهوى بالعصا على مؤخرته.

توقفوا عند عشة تتكون من أربعة جذوع تحمل سنانها من سعف النخل. ربطوا الرجل من يديه وقدميه إلى واحد من تلك الجذوع. اقتربت منهم فرح، وكلما اقتربت اتضح

ها تفاصيل أخرى من الصورة. فالرجل يتدلى من مؤخرته
 العارية ذيل من الفرو. "ديلدو" شرطي حشر في طيزه، بينما
 تدلى الجزء الباقي من الفرو خارجه. اتسعت الغرابة وبالتالي
 كما علمني الثَّقْرِيّ- الإثارة. انهمكت الفتاتان في ربط الرجل
 الخلة ثم انزعجت النحيفة من كل شيء، ففكته، وطلبت منه
 ان يقبل قدميها الحافيتين. ركع الرجل، فهوت عليه بما اتضح
 انه كبراج، انهمكت الفتاتان في ضرب الرجل المستلقي على الأرض
 وهو يطلب السماح والرحمة. ترددت فرح في موقفها، هل
 تارك؟ أم تسأل؟ شيء ما حركه المشهد بداخلها لم تستطع
 ان قبل. توقفت على بعد خطوات، وفي لحظة ما، رفع الرجل
 رأسه، فعلق عيناه بعيني فرح، فانتفض واقفًا كأنما يوشك
 على الهجوم عليها. لكن ذات الجسد الممتلئ سحبت من
 الحبل المربوط بقدمه فهوى على وجهه، وعيناه مسلطتان على
 مرح. أطلق خوارًا غاضبًا في اتجاهها. كانت عيناه تشعان بلون
 احمر. لم يكن بؤبؤ عينيه مُستديرًا كبقية البشر بل بيضاويًا
 رفيعًا أشبه بأعين القطط. قفزت فرح إلى الخلف مرتاعة من
 المراته الوحشية، في حين خاطبتها الفتاة النحيفة بالإنجليزية.
 "إنك تثيرين جنونه، ابتعدي من هنا!".

تراجع فرح، وعادت نحو خوشتها في آخر حدود الكامب،
 اني انتصبت بجوارها آلة الزمن، وهي عبارة عن نصف قبة
 سماوية بقطر عشرة أمتار، مصنوعة من أسطوانات خشبية
 الواحدة منها قطرها لا يتجاوز النصف سنتيمتر، بعضها مربوط

ببعض بوصلات معدنية، لتشكيل دائرة مُنضبطة ترتفع مكوا ه
هيكل قبة، مفتوحة على السماء.

خلعت فرح قميصها وتمددت على السرير بجوار نسوم
الذي أيقظته حركتها، فالتفت نائمًا وعانقها، لكنها تملصت م
ذراعيه مبتعدة عنه. كان الجو حارًا، ولم تطق أن يلمسها أح
ما شاهدته أثار اضطرابها، لكنها تنبهت أيضًا إلى شيء غام
منتظم، إلى خلل لا يمكن تعينه في المكان. ربما غياب ما ي
صاحب المكان وأبو روكسي السبب، فمشهد مثل ما رآته قد
قليل، لم يكن يسمح بحدوثه.

دون أن تكمل خيط أفكارها هوت فرح في النوم.

منطق فرح الحكيم في استقبال العالم وفهمه ينهض علم
مصطبة اسمها "الموسوعة". الموسوعة بالمعنى الفلسفي هي
سمة عصرنا، وسمة من نصفهم بالمتعلمين المستنيرين م
حولنا. جلب بابا إسماعيل الحكيم لفروحة الصغيرة عشرا
الموسوعات المصورة البسيطة، والمناسبة لعمرها. بعدها شغف
فرح دائمًا بالموسوعات. وحين عرفت الإنترنت في مراهقتها
ساهمت بحماس في تحرير النسخة العربية من الموسوعة الحر
ويكيبيديا، بل شاركت في تنظيم المؤتمر الذي استضافته مكتب
الإسكندرية لويكيبيديا، وكانت مساهمتها في تنظيم هذا المؤتمر
هي ما فتح عالمها على فيض متنوع من البشر والتوجهات،

السياسية المختلفة. وقفت مندهشة حينما أبدت مجموعة من أصدقاء المكتبة وأصحابها اعتراضًا على المؤتمر لأن هناك انبعاثًا سيشاركون فيه.

نصرت فرح أن المعرفة والعلم والأدب والفنون منتجات إنسانية تجمع الجميع؛ أنهار صغيرة تصب في نهر واحد في النهاية. أما السياسة فلأنها وقتية، ومشكلاتها مهما تعقدت، لا يمكن أن ندعها تحدد مسارات هذه الأنهار. بل رأيت فرح الشاب، التي لم يتجاوز عمرها في ذلك الوقت العشرين عامًا، أن حوض البحر المتوسط يشكل فيضًا لتلاقي الثقافات والحضارات، ولا يمكننا مقاطعة واقتطاع جزء من مساهمة ذاته، لأن هذا في رأيها يزيد الأمور السياسية تعقيدًا، ويؤخر الحلول من سعينا نحو التقدم، ولإصلاح مشكلاتنا في هذا الحوض المنكوب. جاهرت بهذه الآراء، فتم التمر عليها، والسخرية منها، والتنكيل بها، من أصدقائها كلهم الذين انسببتهم بعد عناء وسنوات من المشاركة في فعاليات مكتبة الإسكندرية.

كانت تواجهها صعوبة في التعرف إلى الآخرين طوال الوقت، ومن أجل مواجهة هذه المشكلة استخدمت منهج الموسوعة، إذ قرأت في تلك الفترة الكثير عن علوم التواصل ولغة الجسد والإفناع، حتى إنها وصلت إلى الديالكتيك ومناهج المادية الحديثة. وظفت كل هذه المعارف في اكتساب الأصدقاء والتأثير بهم، وهي أساليب بسيطة، بدايةً من النظر والابتسام في

عيني من تحادته، وحتى تشكيك الصديقة في إخلاص الأصدقاء.
الأخرين كلهم، وبالتالي تزداد التصاقًا وتمسكًا بفروحة.

تعرفت علي السياسة وتناقضاتها، من خلال أزمة مؤتمر
مكتبة الإسكندرية. والدها الضابط في الجيش دعم مشاركتها.
لكنه أوصاها بتجنب الإسرائيليين. قال "لا شيء يدعو للقلق لأن
المؤتمر كله تحت إشرافنا"، طبعًا لم تفهم فرح "نا" تلك إلا
بعد سنوات، حين تعرفت على الطبيعة العسكرية والمخابراتية
للدولة المصرية، والتي شكل والدها جزءًا منها. أما بخصوص
موقف أصدقائها فشرح لها والدها أن القافلة تسير والكلاب
تنبح، وأنه لتفادي نباح الكلاب، من الأفضل الاحتفاظ بالمواقف
السياسية للفرد طي الكتمان، لأن إعلان الموقف السياسي قد
يجذب الذباب والكلاب.

اكتشفت فرح مع دخولها الجامعة أن "الموسوعة" لا تصلح
دليلاً في الحياة، أو على الأقل ليست الدليل الوحيد. تقدم لنا
الموسوعة كل ما يعرفه الجميع عن السياسة، التكنولوجيا، الفن،
الاختلاف الجنسي، التنوع البيولوجي، وغيرها من مصفوفات في
عبارات وتصنيفات وأشكال محددة. لكن في هامش الموسوعة
ترسب عوالق غامضة التكوين. كل ما يتأرجح بين ربما نعم،
وربما لا. كل ما هو في حالة صراع لا نهائي مع قاعدة الاقرار.

مثلًا تمدنا القاعدة المعرفية في عصرنا بكل ما نريد معرفتنا،
عن تاريخ الأديان وتصورات الله في الماضي واللحظة الراهنة.
لكنها لا تجيب عن السؤال الأهم: هل الله موجود أم لا؟ تخبرنا

كذلك عن تفاصيل الأعضاء الجنسية، كيف يحدث الاشتهااء ونصل إلى النشوة، لكنها لا تخبرنا عن ميولنا وعمما يمكن أن نشتهيها. كل هذا الأسئلة وغيرها من رواسب القاع، تركتها فرح بلا إجابة. تهربت منها حتى التقت أحمد طالب.

قوة أحمد طالب التي بهرت فرح، هي قدرته على اتخاذ القرارات دون أي معرفة موسوعية ودون مرجعية، بل بالحدس، بالقلب الذي أقنعها أنه أصدق من العقل. يتمشيان في الميدان الممتلئ بالمتظاهرين والمعتصمين الذين يخالف وجودهم في هذا البرد كل منطق وكل معرفة موسوعية، فيتملكهما الحماس، ورغم عدم اقتناعها بالكثير من الشعارات، تهتف باندفاع معهم ومع أحمد، يقول لها أحمد "شايقة حب الجماهير يا فرح؟" وترد عليه "أحبك، ولتحترق كل الموسوعات".

كل ما أنفقه العميد المتقاعد إسماعيل الحكيم على تربية ابنته المفضلة من تعليم وموسوعات وفضيلة وانضباط عسكري، انهار على يد ولا منطق أحمد. وقفت ضد أسرتها وأصرت على الزواج به بلا منطق، تمسكت به، لأنها رأت في حبهما أفقًا لتصور جديد غامض عن عالم مغاير لما عرفته. ظنت أنها في هذا العالم ستجد السلام والسكينة والسعادة، لكن انهار كل هذا البنيان وتبين أنه لم يكن سوى كذبة.

ذهب نسيم إلى شباك المطبخ حاملاً الصينية وفوقها الشاي والقهوة، ثم اتجه نحو فرح التي تستلقي بالمياه البيضاء فوق كرسي شاطئ. لاحظ نسيم رجلاً نحيفاً أبيض الشعر يتحدث مع فرح، وينحني بجذعه معذراً حتى كاد يلمس الأرض، لم يستطع نسيم سماع أو تخمين ما يقوله الرجل، لكنه استغرب لغة جسده الخائفة التي تعبر بكل أعضائه عن أسف شديد، وحين اقترب نسيم حاملاً الصينية، تراجع الرجل بظهره محاولاً ألا يعطي ظهره لفرح أثناء انصرافه، وحين وصل نسيم لها كان قد ابتعد.

وضع نسيم صينية الشاي على الرمال، ناولها كوب الشاي الأحمر وصب من "الكنكة" قهوته. سألتها:

- مين الراجل دا؟

أخذت رشفة من الكوب. وردت قائلة:

- كلب من الكلاب اللي عايزين يبقوا خدامين تحت رجلياً، وكان جاي يعتذر.

أخبرها ذات مرة عن الجروبات ومجموعات الفيسبوك التي تحمل عناوين "كلاب رجلين نرمن الفقي"، أو "خدامين الملكة ماري" وغيرها من جروبات محبي الممارسات الفيتشية والمازوخية، عبّر لها عن دهشته من استخدام لفظ الكلاب كرمز مازوخي، لأن الكلاب في رأيه حيوانات قوية ووفية، وليست مازوخية ولن تقبل بتعذيب أي شخص لها، فالكلاب ودية حينما تكون أنت ودية لها، لكن إن لم تكن كذلك وأذيتها

ستنبح وتغضب وتقاوم. حينها ضحكت فرح بشدة من تحليله،
وقالت: "لكن هذا بالضبط ما يبحثون عنه، سيد وفي لهم".

لم يرد نسيم أن يحرج نفسه في النقاش معها، شعر أنها
حاولت مناغشته بتذكيره بحديثهما القديم عن الكلاب، تناسى
مسألة الرجل وغير الحديث قائلاً إنه طلب الفطور لكن
ليس لديهم مربي، لذا استبدل بها العسل. قاطعته فرح وهي
لمرك أنفها: "أنا مش عارفة أفكر في الأكل أصلاً، جيوبى الأنفية
فاشخاني، ومصدعة، ومخلياني مش عارفة أتتفس".

مضى النهار كأجمل ما يكون، فتحت سينا لهما أبواب
عيمها. السماء صافية زرقاء، والبحر يعكس زرقها. نزلا إلى
الماء، والأسماك الملونة في منتهى النشاط. ألوان الشعب المرجانية
مشعة ومزهرة مثل حديقة على جدران متحف للفن الحديث.
الشمس دافئة، لا حارة لاسعة ولا مائعة اللون والطعم. كل شيء
مثالي. ملذات سينا وفيتاميناتها تخللت بشرتهما ومسحت كل
آلام القاهرة والمذابح والثورات عنهما.

خرجت فرح من المياه عند الظهر، بينما استمر نسيم في
البلبطة. جيوبها الأنفية مسدودة وتعاني مع كل نَفَس. ذهبت
إلى المطبخ لتسألهم إن كان لديهم أي أدوية للأنف. وجدت سيدة
شقراء الشعر منهمكة في غسل الأطباق وأواني الطعام، سألتها
فرح عن حقيبة الإسعافات الأولية، هزت الست رأسها كأنها لم
تفهم، فكرت فرح في أنها تبدو أجنبية فخاطبتها بالإنجليزية.
ردت عليها السيدة المبجلة بالعرق والصابون:

Entschuldigung, ich kann kein Englisch

لم تفهم فرح ما تقوله الشقراء، تلفتت حولها فلمحت روكس جالسة مع ماما كريمة تحت عشة على الشاطئ، تقدمت نحوهما. كررت طلبها وسألت إن كانوا سيرسلون أحدًا لشراء طلبات اليوم من المدينة ويمكن أن يجلب لها دواءً للجيوب الأنفية. سألتها ماما كريمة بالإنجليزية مِمَّ تعاني، وكانت ماما كريمة تجلس على الأرض وفي حجرها مجلد ضخّم تقرأ فيه وصفت فرح الأعراض، فطلبت منها أن تجلس أمامها، فجلست، مدت ماما كريمة إصبعها إلى حنجرة فرح، وطلبت منها أن تقول "آي". ثم أن ترفع ذراعيها قليلاً ووضعت إصبعها تحت إبطها الأيسر، لم تفهم فرح ما يحدث، لكن ماما كريمة شرحت لها بالعربية الفصحى أنها تبحث عن الغدة الليمفاوية، وأمرتها أن تميل برأسها إلى الخلف. قبضت على أنف فرح بيد وبالأخرى ضغطت على عقدة صغيرة تحت إبطها. أحسبت فرح بألم من ضغطتها، فتأوهت. رفعت ماما كريمة يديها عن فرح، أخذت فرح شهيقًا قويًا، فتدفق الأكسجين ونسيم البحر. وضوء الشمس، وألوان الرمال والجبال الذهبية داخلها.

ابتسمت فرح ابتسامة عريضة وشكرت ماما كريمة، فشرحت لها بالعربية أن المشكلة بسيطة لكنها مزمنة، ستظل تعاني من الصداع وانسداد الجيوب الأنفية وستظل تستهلك الكثير من الأدوية. حذرتها كذلك من أدوية الحساسية، والإدمان عليها صحيح أنها تفك انسداد الشعيرات الدموية، لكن مع استمرار

ناولها قد يتضاعف حجم المشكلة. ثم اقترحت عليها إن هي أرادت حل المشكلة نهائياً، أن تزرع شعيرات دموية جديدة.

فرح التي درست العلاج الطبيعي، وتعرف تركيب وتشريح جسد الإنسان، اندهشت من الربط بين الغدد الليمفاوية نحت الإبط وانسداد الشعيرات الدموية في الأنف، واستغربت أكثر اقتراح الزراعة، فسألت ماما كريمة "زراعة شعيرات أنفية جديدة؟"

بثقة ردت ماما كريمة: "طبعا، التكنولوجيا موجودة لكنها ليست متاحة للجميع، بإمكانني أن أدلك أين يمكنك فعل ذلك".

استفسرت منها فرح عن تخصصها، فقالت لها ماما كريمة إنها أستاذة في تخصص حديث، يعرف بـ"الطب الاندماجي/ Fusion medicine" وهو مجال يهدف إلى المزج بين الطب التشرحي، والطب التقليدي القديم، والطب المستقبلي الممنوع.

لم تحد ماما كريمة بعينيها عن وجه فرح وهي تحادثها. شرحت لها.. للأسف -ونظراً إلى طبيعة المجتمعات الذكورية، والأنظمة الدولية التي تحاول الحفاظ على الهياكل الاجتماعية- فالكثير من الإنجازات الطبيعية المتاحة لنا، والمجالات العلمية المفتوحة، يتم إغلاقها بدواعي الأخلاق، والدين، والفلسفات السياسية المتعددة. لذا، ازدهرت عيادات ومدارس الطب المستقبلي في مناطق مختلفة من أنحاء العالم، حيث يمارسون أبحاثهم ويواصلون اكتشافاتهم في عزلة تامة، بعيداً عن

مؤسسات الطب الرسمية والشرعية، ودون رعاية الأنظمة السياسية.

حديث ماما كريمة مزيج من العلم والسياسة، ومع الكلمة تشعر فرح بغشاوة تنزاح عن عينيها. بسطت ماما كريمة أفكارها وضربت مثلاً لها بمسألة الاستنساخ، فاستنساخ البشر متاح منذ عقود طويلة، بل أصبح حقيقة، وقمنا - كانت ماما كريمة تستخدم ضمير المتكلم دائماً في حديثها - بعشرات عمليات الاستنساخ البشرية. لكن المجتمعات الإنسانية والأنظمة المعاصرة غير مستعدة لهذه التكنولوجيا. فإن انتشرت عمليات الاستنساخ البشري، ستنتهي الضرورة البيولوجية الحيوية للذكور وستنتج عن تخليق البشر الجدد أشكال أخرى من التركيب الاجتماعي غير الشكل المعروف للعائلة، ناهيك بإمكانية إنتاج بشر تختلف تركيباتهم الجينية عن البشر الحاليين، وأكبر قدرة على التكيف مع تغيرات الطبيعة ومعطيات العصر والتكنولوجيا.

اندمجت فرح، وتوالت أسئلتها، وتوالت إجابات ماما كريمة، سألتها ماما كريمة عن حياتها السابقة وما تفعله، وحين أخبرتها بتخصصها عرضت عليها ماما كريمة البقاء معهم هذا "هنا فين؟" سألت فرح.

- هنا، في هذا الكامب، أنا أطمح أن يكون هذا المكان نواة لشكل اجتماعي جديد. كما رأيت وعاصرت، بنفسك فيها هي الثورة تفشل مثل كل الثورات، وهذا

هي العقول النبيهة يأكلها الإحباط والاكتئاب، محاصرة بعوامل القهر والتخلف الاجتماعي والسلطوي. مثلك أنت وصديقك، يمر علينا هنا الكثير من الهاربين مما يحدث في القاهرة أو إسرائيل أو أماكن أخرى. مهاجرون إلى المستقبل لا وطن لهم في هذه الأرض، ربما معاً يمكن أن نصنع شيئاً ونجد سبيلاً.

- لكن ماذا سأفعل هنا؟

- يمكنك أن تعلمي معنا، وتقدمي جلسات مساج وعلاج طبيعي، وبالتالي يكون لديك مصدر دخل، وبما أنك ستكونين من فريق العمل في "الكامب" فسوف لك الإقامة والطعام مجاناً.

أدارت فرح رأسها متطلعة نحو ذهاب الجبال ورمالها ونحو زرق البحر والسماء. الأجساد البرونزية اللامعة انتشر بعضها في البحر وبعضها في البر. احتاجت لعيون أخرى حتى تستطيع أن تحتوى كل هذا الجمال بنظرة واحدة. ثم تذكرت القاهرة فانقبض قلبها.

في الليل، الفتيات يرقصن. فُرشت الأبسطة ووضعت الوسائد. تعلق الجميع في دائرة واسعة، أضاءتها شموع موضوعة في زجاجات مملوءة لنصفها بالرمال، لكي تحمي لهيب الشمعة من الريح. تعددت الآلات الموسيقية بين طبول شرقية

والنمور لجرتي | 171

ودفوف، وعود وجيتار، بل وحتى ناي. الكل يرتجل ويغني الأغاني خليجية، وأحياناً تقترب من إيقاعات الريجي. السجال، والجوينتات تُلفّ، وزجاجات البيرة والمشروبات الكحولية تدور عليهم. الألفة والفرح والمزاج شكلوا سحابة ظللت سماءهم، وفوقها أضواء الهلال بنور خافت تاركاً المساحة الكبرى لمصابيح النجوم، التي تجمعت في اللهب الفضي لحزام نجوم درب التبانة.

ماما كريمة مُبتسمة وسعيدة بالجمع كله، وكلما نظرت إليها فرح وجدتها تبادلها النظرات والابتسامات. في نظرة ماما كريمة دعوة مفتوحة إلى الجانب الآخر للقمير.

(شفاه نادرة مختصرة)

تفتح لتدع جاسوساً يمر

وهو متخفٌ في فرقة عازفة)

روكسي ترقص وتتعثّر نتيجة سكرها، اقتربت من ماما كريمة في ما يشبه رقصة الإغواء، لكن توازنها اختل في لحظة ما، لتسقط في حجر ماما كريمة، التي احتضنتها وأخذت تهدئ من حماسها.

تعلقت عينا فرح بما يدور بينهما، وعلى الضوء الخافت للنجوم والشموع لمعت عينا ماما كريمة وهي تخترقها، ودون أن تحيد بنظراتها عن فرح، تناولت شفتي روكسي وقبلتهما.

راقب نسيم بطرف عينه، وحين اندلعت قبلة ماما كريمة
، وكسي، انتبه لفرح وهي مندمجة في التهام المشهد بعينيها،
: هر بالتهديد، ثم بالاستثارة. تحدثت فرح طوال النهار عن
. اما كريمة، وكيف عالجت انسداد جيوبها الأنفية، والعرض
الذي قدمته لها بالبقاء والحياة والعمل معهم.

تلقى نسيم حديث فرح بابتسامة تدعي الثقة، لكنه خاف
من العرض. في البداية قال لفرح "ولم لا؟ يمكننا البقاء هنا، إلى
الأبد، أنا أيضًا لا أرغب في العودة".

جاوبته بأن المستقبل لا يشغل بالها الآن، ولا ترغب في اتخاذ
أي قرارات، كل ما تريده هو التشبع باللحظة كاملة. بدا له
أن فرح مهتمة بماما كريمة أكثر من خطط العمل. وحينما رأى
ألمتها لروكسي، تأكدت شكوكه "ماما كريمة ليزبو"، فتحولت
إلى ورأى منافس وخاف من المواجهة، فتظاهر بالتشاؤم، ثم قال:
- أنا تعبت وصدعت من المزيك، ما تيجي نمشي ونروح
خوشتنا.

أشارت فرح لزجاجة البيرة في يدها وقالت "طيب، أخلص
الإزاة".

نهضت واقفة وزجاجة البيرة في يدها، تتمايل على صوت
المغني البدوي، يغني على نغمات العود أغنية عبد الله رشاد
ونوال. سكت الهواء، وانسحب الجميع من حلبة الرقص.
توقفت الآلات كلها، لم يكن هناك سوى صوت العود بمصاحبة
نقرات الدف، وصوت شجي يردد:

"أنت عارف بالحبيب..

إن عالمنا غريب

والهوى قسمة ونصيب

وهذه الدنيا عجيبة

كان ودي نلتقي..."

أبدًا لم تحسب فرح نفسها راقصة جيدة، لكن في هذا المساء،
وهي ترتدي فستانًا قطنيًا أبيض وقصيرًا، وافية على الأيسر،
التي فرشت فوق الرمال، حركت الموسيقى أعضائها دورًا
إرادتها، بالحرية تخرج إيقاعات وحركات بكر من جسدها.
مزيج من الرقص الخليجي والمصري، وحينما وصل المغني إلى
المقطع:

"كيف تقولي لي يكون

حبنا بس بالعيون

اطلبي عمري يهون

والقمر عندك أجيبه..."

قامت ماما كريمة من مكانها، وبخطوات راقصة اقتربت
من مدار فرح. الشعري اليمانية من أسطح النجوم في السماء.
وتمكن ملاحظته في اتجاه كوكبة الكلب الكبير. هذا النجم

اللامع عبارة عن نجمين، الشعري اليمانية "أ" وكتلتها ضعف
الشمس، والشعري اليمانية "ب" وهو نجم قزم.

يدور النجمان حول مركز ثقلهما خلال دورة مقدارها 50
سنة. نمران يطارد كل منهما الآخر، ثمور لم يدعها أحد فانغمست
في رقصة حب كونية، وكما هي حال نجم ثنائي يدور كل من
النجمين في مدار بيضاوي حول مركز الثقل. ونظرًا إلى أن كتلة
الشعري اليمانية "أ" أكبر من ضعف كتلة الشعري اليمانية "ب"
فمركز الثقل قريب منه.

تطور نظام الشعري اليمانية ألف وباء منذ نحو 240 مليون
سنة، حيث كوّننا نظامًا نجميًا ثنائيًا.

الشعري اليمانية باء نجم كبير تبلغ كتلته 5 أضعاف
كتلة شمسنا الشموسة، ولمعانه ضعف لمعان شمسنا 630
مرة، وهو بذلك أكبر في كتلته من الشعري اليمانية ألف.
وبسبب كتلته الكبيرة فقد جرى فيه الاندماج النووي بمعدل
متسارع، بحيث استهلك الشعري اليمانية "ب" معظم كتلته
وحوّله إلى الهيليوم خلال الـ100 مليون سنة الأولى من عمره.
وانتقلت منطقة التفاعل فيه إلى الغلاف الغازي الذي يحيط
بقلب الشعري اليمانية باء، وانتفخ وصار عملاقًا أحمر. ثم
قل اندماج الهيدروجين واستهلاكه، فقلت بالتالي طاقته وبدأ
الشعري اليمانية "ب" يحول الهيليوم إلى كربون وأكسجين عن
طريق تفاعل ألفا الثلاثي.

فقد غلافه الخارجي، ضعفت القوى الرابطة بينهما بسبب
الرياح النجمية الشديدة، وفقد بذلك نحو 5/4 من كتلته، ولم
يتبقّ منه سوى القلب المكون من الكربون والأكسجين، شارفاً
الطاقة الصادرة منه على الانتهاء. ونظراً إلى أن المكونات في
قلبه متأيّنة تماماً وتوازنه الداخلي غير مستقر بسبب افتقار
الضغط الداخلي، فأنوية ذراته احتاجت إلى حجم أصغر، لئلا
تقلص قلب النجم، وبدأت مقاومة ضغط انفطار الإلكترونات،
لمنع استمرار تقلص قلب النجم. واستمر الشعري اليمانية "الشمس"
يبرد منذ نحو 124 مليون سنة. هكذا كانت رقصة فرح وماء
كريمة، حتى وصل المغني إلى مقطع:

"كل واحد في طريق

والهوى أشواك وحريق

قلبي محتاج لصديق

للأسف ضايع نصيبه"

حينها قام نسيم من مكانه لينضم إلى الراقصتين، أثار
الاضطراب وأخل برقصة ماما كريمة وفرح، لكن عشوائيه
شجعت الآخرين على الالتحاق بحلبة الرقص، فتحول مشهد
رقصة النجمين إلى أي هبل. سرّع عازف العود من عزفه، ورفع
ضارب الدف من صوت نقراته ليتماشى مع التهييل الساند
وسخونة الرقص الجماعي، وفي الزحام دخلت روكسي لترقص
وتستعوذ على ماما كريمة مرة أخرى، بينما سحب نسيم
فرح من خصرها وأحاطها بذراعيه. تمايل جسدهما مع جنور.

الموسيقى، قبلها وقال إنه يريد لها الآن وفورًا. فرح الغائبة في
السديم النجمي، والحب يفيض من جسدها، ردت عليه "وأنا
أمان.."

ابتعدا عن دائرة السمر والصخب واتجها إلى خوشتهما.

اقتربت فرح من الخوشة، فذهب بصرها إلى قبة آلة الزمن،
التي فُرشت بالوسائد والأبسطة في منتصفها.

دخلتها، ولحق بها نسيم. تمددت على ظهرها، فرأت كواكب
النجوم الزاهرة. يقسم هيكل قبة آلة الزمن مشهد السماء
إلى مثلثات يتعامد بعضها على بعض. تمدد نسيم بجوار فرح
مامنًا. صوت موج البحر الهادئ شملهما بسكينة أحاطت
بهما كفقاعة، بينما تباعد صوت الموسيقى الآتي من مجموعة
السهاري. رفع نسيم إصبعه للسماء وأخذ يحركه من نجمه إلى
أخرى، سألته فرح:

- بتعمل إيه؟

- بارسم، باوضل النجوم ببعضها.

ضحكت فرح، علت ضحكتها وتدفق الضحك دون أن تتمكن
من السيطرة عليه.

- يا سلام، إيه اللي قلته وبيضحك قوي كده؟

لن يفيد الحديث يا صغيري، مثلما لن تفيد الخطوط
الوهمية التي توصل بها ما بين النجوم. المسافة التي تتخيلها
بين النجوم ليست خطأ يمكن رسمه، بل هي إزاحة في الزمن.

واللمور لحجرتي | 177

الزمن ليس ما هو خلفنا ولا ما سيأتي، بل هو السماء التي تنظر إليها وتنظر إلينا.

هدأت ضحكات فرح، ودفنت رأسها في صدر نسيم. آله الزمن تسافر بنا في الزمن عبر قطعها لتلك المسافات في الزمكان، الذي لا تطأه أقدامنا ويتمدد في أذهاننا.

في آلة الزمن تعانق الاثنان، تبادلوا القبل، سال اللعب، امتطته فرح، طوحت رأسها للخلف لتبصر السماء المبسوطة، بينما أحاط نسيم بخصرها وعيناه مصوبتان إلى الأعلى، أشارت بإصبعها: "نسيم انظر".

لمع في السماء شهاب طويل بذيل أخضر، احترق في بطن غريب حتى أضاء المكان من حولهما. رزع نسيم عضوه في عمقها. لمع شهاب آخر هذه المرة بذيل أزرق، همست فرح واحد كمان، أضاء آخر بلون أحمر، توالت زخات الشهب. في نشوة الجنس، اشتعلت النجوم ولمعت في أعينهما، ثم انحسر الضوء وغيض الماء وقُضِيَ الأفر، وللمرة الأولى بلغت فرح الأورجازم مع نسيم، وهي ترفع يديها لتقبض على النجوم انفجرت السعادة بداخلها، وتحررت من الروح الخبيثة التي لطالما امتصتها، منحت هذه الروح اسم أحمد.

انتبه نسيم أنه وصل داخل فرح دون كاندوم، شعر بها تنبض مع نبضه. على غير العادة لم تقم فرح أو تبعده، بل نامت على صدره، الضوء يتساقط شظايا من السماء، واللبن

نفوح رائحته من أعضائهما، والسبات لذيذ، فناما في غفوة ما بعد الحب.

قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم. بإنجليزية ثقيلة اخترق الصوت فراشهما السماوي. رفعت فرح رأسها فرأت كشافًا ضوئيًا، أدارت رأسها إلى الجهة الأخرى من الأفق حيث يلتقي البحر بالسماء. طيف من ألوان الشفق البرتقالية يشع ألقًا استعدادًا لشروق الشمس. كرر الصوت السؤال بإنجليزية ثقيلة، "ما رقم غرفتكما؟ هل تقيمان هنا؟"

احتاجت عينا فرح إلى لحظات لتتأقلم مع تنويعات الضوء، في حين يستوعب عقلها الموقف، ثم أدركت أنه مايكل والد روكسي وصاحب الكامب، ردت عليه بالإنجليزية "مايكل، صباح الخير، نعم نحن الخوشة رقم 2، ما الذي يحدث؟"

أزاح مايكل الكشاف وبرطم بالألمانية، أدار ظهره لهما وابتعد خطوتين، ثم عاد إليها مرة أخرى. انتهت فرح أنها عارية فبحثت عن أي ملابس أو أوراق لتخفف بها عريها، ألقى صوت مايكل بعريية ملحونة "أغلقنا، أنا آسف يجب أن تنصرفا.. المكان مغلق" ثم استدار مغادرًا.

نظرت فرح لنسيم النائم في وداعة الملائكة، أدارت رأسها حولها. شيء ما لم يكن مثلما كان. تفاصيل الكامب تبدو كما هي لكن كأنها مرت عاصفة هزت أركانه. رفعت رأسها إلى السماء فرأت القمر بدرًا كيف صار هلال الأمس بدرًا؟

ارتدت ملابسها وتركت نسيم نائماً، تبعت مايكل نحو
"الخوشة الرئيسة". كانت هناك خوش متهدمة، والفراغ
والخراب يتجولان في المكان. ذهبت فرح إلى حيث كانت جلسة
السمر أمس، فلم تجد أي أثر للجلسة. برزت أشعة الشمس
الأولى من خلف البحر، رفعت فرح رأسها إلى السماء، القمر لا
يزال بدرًا. نظرت إلى قلبها فوجدته أبيض غسل من الدنس
والتأمت جروح الماضي، ذهب الحزن وابتل الظمأ، فعلمت أن
ما مضى انزاح.

الفصل الثامن

قصر من المجازات

حينما انفصلت فريدة سعيد عن إسماعيل والد نسيم، دهورت الحالة النفسية لابنها. دخل عليها غرفتها وارتمى في حضنها، ثم سألها "متى سيعودون إلى المنزل مع بابا؟" احتضنته وقبلت وجهه وقالت: "صدقني كل اللي حصل دا مصلحتك، وعملته علشانك، وبكرة لما تكبر هتفهم".

ما فهمه نسيم الصغير، أنها قصدت التأكيد على أن تلك حياة الكبار، وأنه يومًا ما سيكبر ويمارس الحياة نفسها، وبالتالي سيفهم ما فعلته أمه، فازداد اكتنابه. وحين دخل مرحلة المراهقة قرر التمرد على العالم وقوانينه، لذا صمم على الزواج

من أول حب في حياته، كتحذُّ ضد أمه، ضد حياة الكبار، ضد
الفراق والحزن الدائم.

ثم اكتشف حماقته، وأن الحياة أوسع وأكثر تنوعًا
تصور. فتوقف عن محاولة الفهم أو التفسير، وعزل نفسه
توقع المستقبل أو التخطيط له، مستمتعًا بالحاضر ومنغمسًا
فيه.

تعلمون بالتأكيد أن هذه التفاصيل لا يمكن لأي شخص
تحليلها، يحتاج الأمر إلى روائي، فهو من يمتلك السلطة والمعرفة
ليخبركم أن كل ما سبق تسبب في رد فعل نسيم غير المبال
حين سألته فرح وهما يتحركان من الكامب: "هل لاحظت
شيئًا؟". فرد:

-لا، أنا كنت زهقت من المكان.

بإيمان موسوعي رسخته التجربة العملية. أيقنت فرح بأنهما
سافرا في أثناء نومهما في آلة الزمن، وإلا فكيف دخلا والقمر
هلال وخرجا وقد صار بدرًا. أمام غرابة اكتشافها بدا لها
نسيم بليدًا، وهو في الحقيقة كان ناتجًا عن تركيزه في اللحظة
الحاضرة وهروبه مما قد يعكرها.. قلقه من استحواذ ما
كريمة على فرح، لا ملاحظة الفرق بين الهلال والبدر.

انفتحت هوة أشبه بفجوة سوداء أمام عيني فرح وابتلع
نسيم. وتساءلت بينها وبين نفسها: ما الذي تفعله بصحب
هذا الولد؟

في أثناء خروجهما من بوابة الكامب، ظهر الحارس النووي
ارفع الحاجز وفتح الباب لهما. أوقف نسيم السيارة، ثم سأل
م عبده وهو يعطيه ورقة بعشرين جنيهاً:

- باقول لك يا عم عبده، هم الجماعة الأجنب والست
الدكتورة اللي شعرها أحمر مشوا إمتى؟

- الجماعة بتوع ماما كريمة؟

- أيوه، الله ينور عليك.

- لا.. ما مشوا من زمان دول، ليهم بتاع شهرين وشوية.

- والله؟

- آه والله.

- تسلم.

- الله يسلمك، توصلوا بالسلامة.

ضغط نسيم على البنزين، والتفت مخاطباً فرح "حاجة
لغريبة، مش كدا؟"

تصنعت البلاهة، وقالت مستفسرة "خير؟" جاوبها "جماعة
ماما كريمة كانوا سهرانين معنا أمس، إزاي نقوم فلا نجد أحداً
منهم؟ معقول مشوا من شهر".

قررت فرح أنها لن تخبره باستنتاجها، على الأقل ليس الآن،
سوف تتركه يستعرض التفسيرات الممكنة، لعله يخيب ظنها.

الشمس ساطعة. الهواء ساخن. جلد كرسي السيارة يلسع فرج. ما إن أمسكا الإسفلت، حتى أشعل نسيم سيجارة و. م النافذة رغم أن التكييف شغال. قبل أن تشكو فرج وتعلم بسبب الحر، قال:

- واضح المخدرات اللي خدناها امبارح كانت قور 4 لدرجة إن الزمن اتلخبط في مخنا.
- ثم ضحك في استظراف وبلاهة، لكن فرج لم تضحك.

- الروائي لا يقدم لحمًا ودمًا، فهذه مهمة الجزار.
- الروائي لا يعكس الواقع، فهذه ليست مهمة أحد.
- الروائي، عبر ثغرة، يخلق شيئًا لا يجري حسب المتوقَّع.
- الرواية لا تخلق تواصلًا بين القارئ والعالم، فهذه مهام الشعير.
- الرواية فن حقبى مرتبط بتطور الصناعة الحديث والطباعة. بانتهاء تلك الحقبة احترامًا للأرواح القدية من الواجب أن تختفي الرواية، مثلما اختفت الملاحم الشعبية والسير الشعبية.
- كل كتابة لها شكل، هي عرضة للاضمحلال بتغير الظروف والشروط الإنتاجية التي أدت إلى ظهورها الشكل.

كل كتابة لها شكل إلا "النصوص المقدسة" و"الأبحاث".
النص الديني يقدم ذاته من موقع فوق الأدب، فهو
كلام الله. أما البحث فهو "كلام" يبحث عن معنى وبلاغة
خاصة. قد يحدث أن يستعمل البحث ألفاظاً متعاملة،
ومفاهيم منحوتة، من أجل إقامة معرفة خاصة، لكن
لا يقبل البحث بنوع أدبي.

ستكتب الآلة.. الموسيقى، والمسلسلات، وستنتج مواد
بصرية مربوطة بأكاذيب وحيل الدراما. حينها ستحتل
الرواية إلى تجلطات مخلوطة بعصارة المعدة، وستلفظها
الحضارة إلى المتاحف والأرشيفات، مثلما يتقيأ طفل
صغير تنهار معدته.

كتبت فرح بنود هذا البيان على ظهر الترجمة العربية
لرواية "اعترافات منتصف الليل" لجورج ديهامل، التي تعيد
فراءتها برغبة غامضة لم تعرف سببها في البداية، لكن بعدما
أثبتت البيان، أدركت ما تريد أن تفعله.

لكم الأشياء كلها، ولها حياة منقوشة على جدران المعابد.
ستنظر فرح إلى المستقبل، وترغب في خلود مثل تلك النقوش
على الجدران والأعمدة الثابتة منذ آلاف السنين. رأت نفسها
أخرج من المستشفى العسكري، إلى دوائر أوسع، تخطب
وتحاضر بالعربية والإنجليزية، تسحر مُستمعيها وتنسج
مجازات باهرة تجذبهم كالمغناطيس، فيتبعونها كيوم اتبعت
الفئران الناي.

ساروا بالسيارة بضعة أميال، قرصهم جوع الصباح، فدخا أول مكان صادفهم. مطعم كوري دون إفطار كوري، طلبا الفوا والبيض وطبق سلطة. وبروية ارتشفت فرح الشاي وهو تكتب أول بياناتها النقدية، في حين انهمك نسيم في الحديث مع صاحب المكان المصري، عن سبب وجود مطعم كوري في صحراء وجبال سيناء.

أنهت فرح شرب الشاي، دفعا الحساب، قررا الذهاب إلى دهب. تعرف فرح صديقة هناك لديها منزل واسع تسمى بعض الغرف فيه، ولن تمنع إقامتهما معاً في الغرفة ذاتها الدماء على الإسفلت، الثورات المؤودة، الحب المغدور كل هذه مواضع وأبواب يمكن النفاذ منها إلى فضاء أرحم والكتابة عنها بعد هضمها واستيعابها. ظنت فرح في نفسها القوة على هضم كل ما مر بها وما تمر به، لكي تشيد قديراً من المجازات يبهز الناظر ويخطف إرادته.

عند الظهرية وصلا إلى دهب، الشوارع خالية، الكلاب تستلقي في الظل. شهية فرح مفتوحة، ذهبا إلى منزل صديقتها ومنحتها غرفة فوق السطح تطل على البحر مباشرة، ثم قالت فرح: "أنا جعانة لدرجة إنى قادرة على التهام العالم"

بعد الطعام، تمشياً على طول الشاطئ الصخري لدهب، لاحظنا انتشار الشرطة بكثافة وإغلاق الكثير من المحلات.

والأماكن بالشمع الأحمر. عادا لغرفتهما وناما قيلولته هادئة،
١٠ اول نسيم نزع ملابسها وممارسة الجنس معها، لكنها صدمته
الطيف، ثم استيقظ ليجدها ترتدي ثيابها وتترين أمام المرأة.
١١. أنها ترغب في الرقص وسألته إن كان يود الانضمام إليها.
١٢. هش نسيم من سؤالها، لكنه تأقلم مع تقلبات مزاجها،
١٣. ر هذا بلخبطة تجربة الطلاق على مشاعرها، وحله الدائم
الاصر والإصرار والإرادة، لذا قام من فوره ليستعد.

رقصت فرح مع الطول واللون والحرية، حضر نسيم
١٤. امها، لكن جسدها المندمج مع الموسيقى يرقص لثلاثي الطول
واللون والحرية فقط. شعرت بالتناغم مع إرادتها الجديدة.
١٥. انضنت نسيم كثيرا في أثناء الرقص فبلل عرقها التي-شيرت
الذي يرتديه. وكانت هي في شورت جينز، وتي-شيرت أسود
١٦. ايه صورة ديفيد بوي.

اتجه نسيم إلى دورة المياه، وحين عاد وجدها تتحدث مع
السين أجانب، عرفته عليهما، لكن لم يلتقط اسميهما بسبب
الصخب العالي في المكان. لم يكن الحضور كثيفا، وانتهت الليلة
مبكرا بخفوت الموسيقى، وتحولها من أنغام الهيب هوب
الراقصة إلى إيقاعات الجاز الليلية.

خرجا من البار ويدهما متعانقتان. مرا باثنين من أمناء
الشرطة بأعين تلمع وتبخلق في الظلام كما كلاب السكك. ما
إن ابتعدا عن مجال رؤيتهما حتى عبّر نسيم عن استغرابه
من كثافة وجود الشرطة، فقالت فرح إن ديفيد الإنجليزي،

صاحب البار الذي تحدثت معه، أخبرها أن الشرطة تضيّق على السياح والأماكن السياحية في المدينة، لأن لديهم تعليمات بتخريب المدينة. شرح لها ديفيد أن ما يحدث يهدف إلى تمهيد الأرض لتوسعات الإقليم الجديد ومدينة الألف مُعجزة، ثم أمسكت يد نسيم، ونظرت في عينيه، أوشكت أن تقول شيئاً، لكن موبيلها رن فتركت كفه.

لم يلمح نسيم اسم المتصل حين ظهر على الشاشة، لذا لاحظ ملامح الاندهاش على وجهها. ردت فرح وهي واقفة بجواره دون أن تباعد.

- ألو.

- ألو.. مساء الخير يا دكتورة فرح، آسف لو باتصل وقت غير مناسب.

- لا عادي، إزيك يا فريد بيه؟ خير؟

- الحقيقة أنا متصل لأن الحالة طارئة، آلام الظهر رجعت لي أمس، حاولت الاستعانة بأخصائي علاج طبيعي هنا، وعملت جلسة وبقيت أحسن شوية، لكن الوضع ليس سيئ، ودلوقتي مش قادر أحرك رقبتني. كنت عايز أسأل لو ممكن تيجي لي، أرجوكي الحالة حرجة وطارئة جداً.

- سلامتك ألف سلامة يا فريد بيه، الحقيقة أنا حالاً مش في القاهرة، أنا في دهب.

- بجد؟ طيب دا هايل. فيه بكرة الصبح طيارة خاصة لصديق ليا هتكون في شرم الشيخ، لو وقتك يسمح ممكن تجيبك عندي هنا. أنا في "نيوم" في شغل، إنتي جيتي هنا قبل كده؟

- هو الحقيقة أنا في إجازة يا فريد بيه، وكمان معايا صديق هنا ما اقدرش أسيبه لوحده.

- إنتي وأصدقائك ضيوفي، صدقيني المكان هنا معمول لأمثالك. إنتي عارفة إنه مش مفتوح لأي حد لسة، هتكون فرصة تشوفي المكان، وتساعدينني في حل مشكلتي، لأنني مش واثق في أي حد من الأخصائيين الموجودين، وبعدها ممكن تقضي إجازتك هنا، وعلى حسابي كمان.

في ذهنها أجرت فرح عشرات الحسابات المتداخلة، المفككة والمترابطة، لكنها لم تؤدِ إلى أي نتيجة. ثم تذكرت أنها في رحلة إلى الطريق بلا هدف كرواية لجاك كيرواك، ودون أن تستشير أو تسأل نسيم اتخذت القرار.

لم يسأل نسيم أو يفكر كثيراً من أين أتت فرح بالسيارة. وبالتالي لم يهتم بالسؤال عن مصدر الطائرة. تحمس للسفر بطائرة خاصة، والذهاب إلى مكان مجهول لم يسمع به من قبل مثل "نيوم".

أرجعت فرح الكرسي إلى الخلف، ووضعت قدميها على
تابلوه السيارة. غنى الاثنان مع عمرو دياب، والسيارة السوداء
ماركة كيا kيا الكورية تقطع الطريق نحو مطار شرم الشيخ،
بسرعة تتجاوز 120 كيلومترًا في الساعة.

حين وصلا إلى ساحة الانتظار في مطار شرم الشيخ، سألتها
نسيم: "ماذا سنفعل بالسيارة؟".

قالت: "لن نحتاج إليها، اتركها مع المفتاح في ساحة
الانتظار".

استغرب اقتراحها وسألها: "كيف نتركها مع المفتاح؟"، تناولت
المفتاح منه ووضعتة على التابلوه ليكون واضحًا للعيان، ثم
أغلقت أبواب السيارة دون أن تقفل القفل، وهزت كتفيها ثم
استدارت وهي تجر حقيبتها.

علقت قائلة: "صاحبها أو صاحب النصيب سوف يأخذها".

الفصل التاسع

الطموح الأعمى

1

فتح أحمد عينيه تحت الدش فدخل الصابون فيهما. أخرج رأسه من تحت الماء، دعك عينيه بيده، أعاد رأسه تحت الماء رافعًا وجهه إلى أعلى، فاتحًا عينيه ليستقبل قطرات الماء بلها تغسل الصابون والشامبو الذي دخل فيهما. فجأة تذكر أن "الواتساب" مفتوح على الكمبيوتر في غرفة الاستديو، وفرح بمنها أن ترى الرسائل المتبادلة بينه وبين مي أثناء نقلها الموسيقى. بحماسة الذكور الواثقين بعبء كل من حولهم، طمأن نفسه "هذا مستحيل" ومضى يكمل استحمامه.

خرج من الحمام كخروف منفوش اللية، يرتدي بوكسه أحمر، في يده المشط يصفف شعره، ويصفر بشفتيه لحن "لامارسييز". ذهب إلى غرفة النوم فلم يجد فرح، ذهب إلى الغرفة الثانية التي استولى عليها منفرداً وحولها لاستديو. فوجد فرح جالسة إلى الكمبيوتر، تتصفح محادثاته مع مي على الواتساب المفتوح على الكمبيوتر.

رفعت فرح وجهها لم يعرفه، أفزعه الفراغ في عينيها. وقبل أن يفتح فمه أخذت تلطم على وجهها. دفعت كرسي المكتب إلى الخلف، نهضت ويدها تقذف كل ما تطاله، رمت سماها موضوعة على طاولة المكتب فهوت على الأرض متحطمة، وهي تصرخ "ليه... ليه... أنا ما استاهلش منك كدا. حرام عليك".

2

في الرسائل يتغزل أحمد في شفتي مي، في عينيها، في جسدها. يشرح ويفصل حبه وما يرغب أن يفعله فيها. في المقابل ترسل مي صورها بالمايوه على الشاطئ، أو صورتها وهي في حمام فندق ما بقميص مفتوح حتى سرتها. وكان أحمد يكرر حبها ويكرر أمنيته أن يعيش معها، ومي تخبره أنه المخدرات التي تحيا عليها.

لأجل هذه العبارات تكسر قلب فرح لشظايا. زعقت، شدت شعرها، ضربت الأثاث، جذبت السلوك الكهربائية التي مالتها يديها، صرخت وتطاير الرذاذ من فمها في كل مكان. بعد هذا الألم. لم تستطع النظر لوجه أحمد، كانت تتألم لما نظرت إليه. تركت المنزل وانتقلت للإقامة لدى صديقتها. طلبت أن ينفصلاً مؤقتاً لكي يتمكننا من التفكير وإعادة النظر في علاقتهما.

لم يفكر أحمد، لأنه لم يرَ أن هناك ما يستلزم التفكير من ابنه، بل ظن أن فرح هي من يحتاج إلى التفكير حتى تقتنع ، لا يريد، لكن فرح لم تقتنع، ولم يفهم أحمد لماذا لا يريد العالم طاعته.

رغباته بسيطة، شرحها بأكثر من أسلوب لفرح، فهي ستظل إلى الأبد الزوجة والصديقة والرفيقة، لكنه يحتاج إلى علاقته هي في هذه المرحلة لما تمنحه له من إلهام، لتلك الكيمياء التي تتولد بينهما في أثناء العمل، لفرص الأبواب الكثيرة التي افتحتها له.

3

تماهياً مع نماذج النجاح الفني التجارية التي بدأ في تبنيها منذ معرفته بمي، قرر إعادة تشكيل جسده تمهيداً للمشى احبت أضواء النجومية.

يذهب إلى الجيم بانتظام، يختار بعناية ما يتناوله، مع مكملاته الغذائية.

التقى فرح بعد ثلاثة أسابيع من مغادرتها المنزل، نظرت في عينيه بكل رجاء وأخبرته انكسرت يا حبيبي، فهل أنت حبيبي؟ أرني برهان ربك.

أخذ أحمد يتحدث، ويدور، ويصول، ويجول، يضحكها، ويبيكيها، يركز نظرات عينيه في عينها، يضع يده على خده، يمد كفه ليتلمس أصابعها. وبعد ساعتين من الحديث المتواصل. وهما جالسين في ذلك البار القديم، سألته فرح مباشرة، ماذا سيفعل في علاقته بمي وهل قطع علاقته بها؟

قال أحمد "لا" مترددة. فورًا تخيلت فرح نفسها تقوم بمشهد درامي تصرخ فيه وتسبه، ثم تنهض من مكانها. وتنصرف مغادرة، لكنها ظلت صامتة وتكاسلت حتى أن تقول له "كس أمك يا حبيبي".

4

إنه هنا على الكنبة منذ 20 ساعة لم يغادرها إلا إلى الحمام نام واستيقظ، أكل وشرب، بكى، وضرب عشرة. نظر حوله فوجأ علبه بيتزا فارغة، كيسًا بلاستيكيًا يحتوى بقايا وجبة البرج، التي طلبها صباحًا. والآن يشعر بأنه وقت الكاكا. أجل دخوا. الحمام من أجل الشخاخ، فتجمعت الشخة في أمعائه وملأته.

وأصبحت ضاغطة على أحشاء معدته، فاستسلم أخيراً ودخل الحمام، لتنتلق سيمفونية الآهات من فمه والدماء من مؤخرته.

بعد فترة من المواظبة على "الجيم" اشتكى أحمد لمدربه ، طء نمو عضلاته، فوصف له برنامجًا من المكملات الغذائية معظمها من مشتقات البروتين. نتيجة لهذا بدأ يتبرز قلايظ ضراء ناشفة، كما عانى من الإمساك الشديد، فاستخدم الشطافة واندفاع المياه المسلطة على مؤخرته كوسيلة لتدليك الشرج ،له، لتسهيل عملية خروج القلوط.

لاحظ في إحدى المرات خروج الخراء من طيزه مُختلطًا الكثير من الدماء. فزع مثل أي نجم صاعد يخاف على صحته. ار طبيبًا في اليوم الذي يسبق زيارته لفرح في منزلها الجديد. طلب الطبيب منه النوم على جانبه، وضم ركبتيه لصدرة. ارحدى قفازات طبية، وأدخل إصبعين في شرج أحمد فصرخ منأؤها. طمأنه الطبيب وقال الأمر بسيط، مجرد شرح شرطي. شرح الطبيب أن الشرخ عبارة عن جرح داخل الشرج، لذا فعند التبول يجبر البول الشرج على التمدد فيفتح الشرخ مرة أخرى، وينزف الجرح.

سأله أحمد عن سبب الإصابة، فأخبره الطبيب "لا شيء محددًا، لكن غالبًا السن والنظام الغذائي"، ثم سأله إن كان حث من تناول البروتين أو المكملات الغذائية، فقال نعم.

هز الطبيب رأسه أسفًا، أخبره أن تلك المكملات، خصوصًا البروتين، تؤثر في أداء القولون والأمعاء، وعلى الأرجح هي السبب في إصابته بالإمساك، ما أدى إلى إصابته بالشرخ.

نصحه الطبيب بتغيير نظامه الغذائي، وتقليل الكربوهيدرات والبروتين وتناول مزيد من الخضراوات والزيادي والشوفان والأغذية الغنية بالألياف، كما وصف له عددًا من المرهم لتسكين حرقان الطيز ولمساعدة الشرخ على الالتئام، لكر، انشغل أحمد بقاء فرح، ثم عاد من اللقاء مضطربًا واستسأم للكعبة ونسي أمر الدواء والشرخ الشرجي، والآن حين ملأ الخراء أمعاءه وحن وقت الحمام ندم لأنه لم يشترِ الدواء.

دخل الحمام وعانى في الشخة، وحين انتهى ظل الحرقان نازًا في طيزه، حاول الجلوس لكن استمر الألم في التصاعد، اتصل بالصيدلية وطلب الدواء لكن لم يكن المرهم متوافرًا لديهم، فقرر ارتداء ملابس و الخروج بحثًا عن المرهم.

حل المساء وأدرك أحمد أن اليوم مضى دون أن يرى الشمس، فزاد شعوره بالوحدة. وحن حين لم يجد سيارته الجديدة الكيا السوداء، بل وجد سيارة هوندا بيضاء تقف في المكان الذي يتذكر أنه ترك فيه سيارته. تمشى على طول الشارع من تلك الجهة، ثم من الجهة الأخرى ظنًا أنه ربما اختلط عليه الأمر، وركن السيارة في مكان آخر، لكنه لم يجدها.

ثم أيقن بحقيقة ما حدث، لقد سُرقت سيارته.

5

بينما هو يقترب من قسم الشرطة، تذكر نكتة قالتها فرح، لعرض شخص ذات مرة للسرقة في القطار، فذهب إلى ضابط الشرطة في المحطة وقال "سرقوا حقيبتني من فوق رأسي". الضابط رأى فيه مغفلاً دُعُفًا فقال له "حاضر من عينيا هاجيبها لك من تحت الأرض". خرج الرجل من محطة القطار فرأى عمالاً يحفرون بهمة ونشاط، هرول باتجاههم ووقف مشجعاً، "الهمة يا رجاله هي بجلد أسود ولها سوستة".

6

تجاوز البوابة الرئيسة للقسم، فوجد نفسه في ساحة واسعة وأمامه أكثر من مبنى وباب، وهو لا يعرف إلى أين يتجه.

نادى عليه أمين شرطة "خير يا أستاذ رايح فين؟". فقال إن سيارته سُرقَت ويرغب في عمل بلاغ ومحضر، ابتسم الأمين ساخرًا "محضر مرة واحدة؟". أشار إلى باب مفتوح في الدور الأرضي وأكمل: "طيب يا سيدي شايف الباب دا؟ خش جوا هتلاقي ضابط وأمين شرطة اسمه عم السحار، روح له وهيكتب لك أحلى محضر، وبعد ما تخلص لو احتجت لأي حاجة تعالي لي هنا".

ولج أحمد من الباب فرأى قاعة واسعة، في زاوية منها ففص حديدي وقفت داخله مجموعة متباينة من المقبوض

عليهم. وفي مواجهة الباب يوجد مكتب ودولاب، وكروسي يجلس خلفه أمين شرطة وضابط شاب أصلع برتبة ملازم.

تقدم أحمد إلى المكتب متجاوزاً ثلاثة واقفين أمامه، وسأل الضابط وأمين الشرطة خلف المكتب، "لو سمحت، أمين الشرطة عم السحار موجود؟".

رفع أمين الشرطة رأسه عن الورقة التي يكتب فيها، ونظر إلى أحمد ثم عاد لورقته مستكماً عمله. أما الضابط الذي كان يلعب في موبايله، فرمى الموبايل على الطاولة، وقلب سحنته مخاطباً أحمد بصوت مرتفع:

- طيب إذا مش عاجبك الناس اللي واقفين وقاعدين مستنيين دورهم، على الأقل احترمني أنا، مش فيه طابور قصادك؟ وإيه عم السحار دا كمان؟ إنت جاي عايز إيه؟

ارتبك أحمد، وابتلع الإهانة، وقال لنفسه "إن كان لك عند الكلب حاجة قول له يا سيدي"، فاعتذر للضابط قائلاً "سوري"، وبتلجلجاً أوضح أنه أتى لعمل بلاغ عن سرقة سيارته. سأله الضابط:

- نوعها إيه عربيتك؟

- كيا سيراتو.

- طيب اقعد هنا ما دامت كيا.

وأشار إلى مكان فارغ على المصطبة بجوار القفص الحديدي.

ما إن جلس أحمد على المصطبة، حتى عاوده حرقان الطيز. تخيل الجدار الداخلي لأمعائه "ينشرح" وتنز الدماء منه. حاول صرف الصورة عن ذهنه، فتذكر ذكرى بعيدة.

كان قد مر على وجوده في القاهرة شهر واحد، يتمشى محاذة سور المتحف المصري، حاملاً الجيتار بفخر حينما أوقفه أمين شرطة وقال له، تعالي كلم البيه الضابط.

نظر حوله ولم يكن هناك أي ضابط. لكن أمين الشرطة لم يترك له مجالاً للتردد، وجذبه من ذراعه. أدخله من باب صغير في سور المتحف، أوقفه في غرفة ضيقة أمام اثنين من الضباط. سأله أحدهم عن بطاقته الشخصية، فأخرجها. تفحصها الضابط ثم سأله ما الذي يفعله في القاهرة وهو من الزقازيق. فقال إنه يعمل في محل أدوات موسيقية. علق الضابط الثاني ساخرًا والجيتار اللي على كتفك دا رايح تبيعه والا بتعرف تلعب عليه، فقال إنه جيتاره ويجيد العزف عليه. قاطعه الضابط الأول وسأله إن كان معه ما يثبت ملكيته للجيتار، فقال لا، حينها أخبره الضابط في هذه الحالة سنصادر الجيتار، وطلب منه تسليم الجيتار للأمين. رفض أحمد تسليم الجيتار. شخط فيه الضابط وهدده قائلاً:

- شكلك ابن ناس، سلم الجيتار ونسيبك بدل ما ناخذك على القسم وتبهدل.

رفض أحمد، وكانت تلك أول مواجهة له مع السلطة، فتلجج الكلام في حلقه: "لا، دا جيتاري، أنا حوّشت علشانه، الفاتورة لي الزقازيق". قاطع الضابط ثرثرته غير المترابطة وقال له:

- خلاص، خلاص، مش أنت من الزقازيق وعامل لي فيه
فنان من بلد عبد الحليم حافظ؟ غني لنا حاجة بقى

لمعت عينا أحمد، فهذه منطقة نفوذه، وبصوته يمكن أن يسحرهم ويملك قلوبهم، فتح فمه وأخذ نفساً عميقاً، ثم أخرج الهواء. حرك فكيه لكن لم يخرج أي صوت. أصيب بالخرس ولم يفهم كيف اختفى صوته. هوت صفة أمين الشرطة على قفاه.

قضى ليلته في القسم بعدما ضربه أمين الشرطة. حضرت السيدة فريدة ومعها محاميها الخاص ثاني يوم في النيابة إذ أفرج عنه، والمدعش أنه استعاد الجيتار سليماً حين عاد إلى القسم ليكمل إجراءات خروجه وإخلاء السبيل.

حسم هذا اليوم قراره تأجيل خططه في الغناء، فإن كان بإمكان صوته أن يخونه هكذا، فالأمر إذًا لا يعول عليه.

8

أخيراً نادى الضابط على أحمد. سأله عايز السحار ليه. قال إنه جاء ليبلغ عن سرقة سيارته، وأمين الشرطة أخبره أن يسأل عن السحار. فسأله الضابط وأنت دلوقتى عايز السحار والا

عايز تعمل بلاغ. فقال إنه لا يعلم من هو السحار، وإنما أتى ليلغ عن سرقة سيارته. رد الضابط:

- تمام.. تمام.

ثم قام من خلف المكتب، وأشار إلى الأمين الذي يجلس بجواره وقال له: "شوف بقى يا عم السحار الأفندي عايز يبلغ عن إيه، أنا طالع أعمل تليفون".

خرج الضابط، فأشار الأمين لأحمد أن يجلس. ملامحه في منتصف الأربعينات، بشرته سمراء وشاربه أبيض، وعلى عكس الضابط بدا بشوشاً وهو يرحب بأحمد، ثم شرح له بود النظام قائلاً: "أنت شكلك ابن ناس يا أستاذ، ومش حمل بهدلة، شوف، الخلاصة أنت قصادك حلين، الأول أكتب لك البلاغ وأعطيك رقمه، وعليك تتابع مع النيابة والأجهزة المختصة يمكن يلاقوا عربيتك. الحل الثاني أبسط ويكلفك 600 جنيه، وعربيتك ترجع لك في يومين ثلاثة بالكثير، لكن من غير بلاغات ولا صداع ولا وجع دماغ.. تختار إيه؟".

بالطبع اختار أحمد الحل الثاني، فقال له الأمين إن كل ما يجب عليه فعله، أن يخرج الآن ويعود إلى أمين الشرطة الذي قابله على مدخل القسم واسمه صبري صبرك، ثم كرر الاسم وسأله: "اسمه إيه؟".

رد خلف السحار: "صبري صبرك".

تردد في الانصراف دون تحرير محضر، لكن الأمين شجعه قائلاً إن المحاضر موجودة والقسم لن يطير، ويمكنه أن يأتي في أي وقت لكتابة البلاغ الذي يريده. انصاع أحمد في النهاية وخرج عائداً إلى أمين البوابة.

9

أعجب أحمد بجملة الأمين السحار "شكلك ابن ناس". لأنه، بذل طوال حياته مجهوداً كبيراً ليصبح ابن ناس.

أتى أحمد من مدينة الزقازيق، المدينة التي أخرجت أشهر يتامى مصر، عبد الحليم حافظ، وأحمد زكي. حلم دائماً بمستقبل من الشهرة والثراء مثلهما، مستقبلاً يتحول فيه إلى أيقونة يحبها الجميع، يعطفون عليه، يبكي أمامهم فيكون، وحينما يصفقون له يبكي وينحني تقديراً.

تخيل جماهير عريضة تطارده، يفرقها بالمحن فتغرقه بالهستيريا. وقع في غرام الموسيقى. كان مراهقاً حين شاهد على التلفاز في برنامج عن ذكرى عبد الحليم حافظ مشهداً يغنى فيه قارئة الفنجان، مندمجاً مع كلمات نزار قباني ومجازاته، لكن الجمهور المنفعل يصفو ويصرخ، وعلى ما يبدو تضايق حليم من تفاعل وحب الجمهور، أوقف الموسيقى وخاطبهم غاضباً "على فكرة أنا كمان باعرف أصفر، وبعرف أزرق وأتكلم"، ثم وضع حليم إصبعيه بين شفتيه وصفر مقلداً

صفافير الجمهور، استقبل الجمهور الأمر كمزحة وبادله التصفير، واشتعل الصخب والهستيريا بين الحضور.

في تلك الليلة حينما نام أحمد في فراشه الضيق وسط اثنين من إخوته الصغار، تخيل مستقبله واقفاً على المسرح بطلق الهستيريا والفرح والجنون في جمهور يرغب في احتضانه والتهامه. لكن واقع أحمد كان ضيقاً بلا أفق، فهو ابن مزارع من قرية على أطراف محافظة الشرقية، توفيت والدته بعدما أنجبت له ثلاثة إخوة، فتزوج أبوه مرة ثانية وأنجب أربعة أبناء آخرين، جميعهم يعيش في منزل ضيق، تمكن الأب من نوسيعه حين بلغ أحمد الثانية عشرة وأعاد بناءه بالطوب الأحمر وجعله من دورين وثلاث غرف، الأولاد الأربعة في غرفة، والبنات الثلاث في غرفة أخرى، لذا حينما انتقل أحمد إلى المدينة الجامعية في الزقازيق ووجد نفسه ينام في غرفة مع زميل واحد وكل واحد له سريره الخاص، قال إذًا لا بد أن تكون هذه الجنة ونعيمها، سرير يخص المرء وحده.

درس أحمد في كلية التجارة، لكن في سنته الأولى شاهد زميلاً له يدخل الجامعة حاملاً الجيتار، مقلداً المشهد الشهير لنجم تلك المرحلة تامر حسني الذي كان يظهر في أفلامه متجولاً في الجامعة بالجيتار، ويغني وسط زملائه وزميلاته. التصق أحمد بالزميل حامل الجيتار، ثم أدرك أنه لا يستطيع إلا عزف لحنين على الجيتار، تعلمهما منه سريعاً.

استعار أحمد الجيتار كثيراً من زميله المهووس بتامر حسني، وفي النهاية سئم الزميل من مرحلة جيتار تامر حسني، وانتقل إلى تدخين السجائر ومحاولة تقليد أحمد السقا في كيفية رمي السيارة في الهواء والتقاطها بفمه. عرض الجيتار على أحمد. فاشتراه بالتقسيط.

10

رغم أن والده لم يقصر تجاهه، ومنحه مبلغاً شهرياً بسيطاً ليساعده في مصاريف دراسته، رفض أحمد المبلغ وقرر العمل أثناء دراسته.

في الصباح طالب في كلية التجارة، وفي المساء يعمل في محل كشري.

أغلق آخر محل في الشرقية يبيع أوتار للجيتار، ومر شهران دون أن يعزف على الجيتار لأنه لم يجد أوتاراً بدل الممزقة، الاكتئاب يحاصره رغم حصوله على المركز الأول في الغناء في أسبوع شباب الجامعات، وحصوله على ألفي جنيه مكافأة. لم يكن لهذا النجاح أي مذاق، خصوصاً وقد كانت السنة الثانية، التي يفوز فيها في أسبوع الجامعات، دون أن تنهال عليه العروض بالغناء أو تُفتح له أبواب المجد كما تخيل، بل كل ما تلقاه عروض للغناء في الأفراح وليالي الحظ، وهو الطريق

الذي رفضه بعد تجربة لم تدم أكثر من أسبوع مع إحدى الفرق المحلية.

استيقظ ذات يوم يهرش في كل أنحاء جسده، كان يحرص على نظافة الغرفة، لكن زميله الجديد في السكن بهيمة جاءت المدينة الجامعية بطينها وبقها وقملها. ولم يعرف كيف يهرب منه أو من يأسه أو رائحة التقلية والكشري التي تعبئ ملابسه وجلده. استحم، وارتدى ملابسه، حمل الجيتار وقرر الذهاب إلى القاهرة.

مشى في القاهرة وفي أذنه صوت عبد الحليم، وفي انعكاس صورته في واجهات المحلات لا يرى وجهه بل وجه أحمد زي. وصل إلى محل يبيع الأدوات الموسيقية في وسط البلد. ولج مسحورًا. كان المحل مختلفًا عن محل الخردوات في الزقازيق الذي يبيع أدوات موسيقية مُستعملة قديمة، فهو محل واسع من طابقين، بأرشف متعددة من آلات النفخ إلى الجيتارات، إلى الطبول إلى أنواع مختلفة من الأورج، ثم وسط الآلات المعروضة وجد إعلانًا عن حاجة المحل إلى بائع أو بائعة من الشباب لديه خبرة في الآلات الموسيقية.

ذهب إلى البائعة الجالسة خلف مكتبها تقرأ في إحدى المجلات الإنجليزية.. ألقى السلام، فابتسمت له السيدة، فاستبشر خيرًا.

كانت هذه فريدة سعيد.

عاد أحمد إلى الأمين الجالس لدى البوابة، ما إن وجده الأخير يقترب منه حتى فسخ ضبه مبتسمًا وسأله "عملك المحضر يا أستاذ؟".

تصنع أحمد الغلب والمسكنة، وقال له إنت بتعذبني ليه يا عم، ما أنا رحمت للسحار باشا جوا قال الكلام معاك عم صبري.

أسمر البشرة، ضبه بارز، وأسنانه يلمع بياضها، ويعلوه شارب متسخ. تحت الأنوار الصفراء لبوابة قسم الشرط، جلس بجسده السمين وكرشه الكبير، تلمع قطرات العرق على جبهته، فيمسحها كل فترة بفوطة برتقالية. أفسح الأمين صبري لأحمد ليجلس بجواره. لكن حرقان طيز أحمد اشتد عليه، ولم يرغب في الجلوس، فاعتذر للأمين صبري وهو يمد يده في جيبيه ليخرج الفلوس.

برم الأمين صبري وجهه وخاطبه: "جرى إيه يا أستاذ؟ ما تقعد زي الناس وتفهم الموضوع؟".

تحامل أحمد على نفسه وجلس بجوار الأمين صبري صبرًا، مال قليلاً حتى يكون ثقله على فخذه الأيسر لا على ضم طيزه. شرح له الأمين صبري أن الأصيل للأصيل، و"الجذر للفرع إيه يا أستاذ؟". بتلقائية رد أحمد "يميل".

فجاوبه الأمين صبري: "الله ينور عليك ويبارك لك، بقى البلد من بعد ما بقت كل يوم ثورة ويشيلوا فلان، لأ يشيلوا هالان، المصالح كانت ستضيع. واللي مالوش كبير يعمل إيه يا استاذ؟"

رد أحمد: "يشترى له كبير".

ابتسم الأمين صبري فبانَّت الفلجة بين أسنانه وجاوب أحمد: "الله يفتح عليك، إيه الحلوة دي؟".

لمح أحمد في الإصبع الصغير للأمين خاتماً فضياً بفص أزرق. شقه خيط أبيض كعين القط. أوشك أن يسأله من أين اشترى هذا الخاتم، لكنه خاف من أن يتوه الحديث أكثر. يتشعب اللام الأمين يمينا ويسارا، يخرج من معنى إلى لا معنى. قال فيه ناس وولد ناس مثله يجبون أن يخدموا. والسيارات المسروقة من المنطقة يتم تسليمها لناس طيبين في محاولة لبيعها، وبإمكانه الاتصال بهم للسؤال عن سيارته، أخرج أحمد من جيبه 600 جنيهه مثلما أخبره الأمين السحار. تناول الأمين صبري الأموال منه، ثم أكمل حديث اللامعنى. يرمي مثلاً وينطق بنصفه ثم يسكت، ويسأل أحمد عن بقية المثل أو مطلع الأغنية.

تململ أحمد في جلسته وكاد يقاطعه، لكن الأمين صبري سأله: "هو صحيح الهوى غلاب؟". كالمسلوبة إرادته رد أحمد "ماعرفش أنا".

فجاوبه الأمين "إيه الحلوة دي؟ الله ينور عليك، إيدك بقى على كمان 500 جنيه". مد أحمد يده في جيبه فلم تخرج إلا

بنحو 435 جنيهًا، ناول الأمين صبري 400 جنيه وقال: "دا كل اللي معايا".

لوى الأمين صبري بوزة، واختفت الابتسامة وحلت محلها تكشيرة وسأله: "عربيتك نوعها إيه؟".

أخرج الموبايل من جيبه، أجرى مكالمة طالت فيها السلامات والتحيات، ثم ذكر أوصاف السيارة. صمتت المحادثة لثوان، ثم تبرم مخاطبًا محادثه: "لا لا كدا كتير قوي". سكت قليلاً، وردد: "تمام.. تمام، طيب شوف أنا هاذيه الرقم واخليه يكلمك دلوقتي". أغلق الأمين صبري تليفونه ثم خاطب أحمد: "والله يا أستاذ كنت عايز أعمل معاك أي واجب بس هو قافش في ثلاثين ألف، كلمه أنت، خد الرقم أهوه واتفاهم معاه".

أخرج أحمد هاتفه من جيب بنطاله، فأملاه الأمين صبري الرقم.

12

"مدام فريدة". سينطق اسمها للأبد مسبقاً بهذا اللقب، حتى حينما يذكرها في حضور نسيم ابنها.

منذ التقاها قطع علاقته بكل ما مضى. قدم نفسه لمدام فريدة التي كانت تبحث عن عامل يساعدها في المحل، بات أول أسبوع في فندق بجوار محطة السكة الحديد، وحين أوشكت أمواله على النفاد قرر أن ينام في المحل دون أن يخبرها. في نهاية اليوم يُنزل الباب ويفترش مجموعة من الفوط. بعدها

بأيام دون أن تواجهه أو تعلق وجد مدام فريدة تحضر له مرتبة صغيرة، وبعدها بأسبوعين منحتة مفتاحًا لغرفة فوق سطوح واحدة من عمارات وسط البلد.

لم يعد أحمد إلى عائلته في البلد، إلا قبل زواجه بفرح بنحو شهرين حين هاتفه أخوه ليخبره بوفاة والده، لم يرغب في الذهاب، لكن فرح أصرت أن يذهب، وعرضت مصاحبته، رفض صحبتها بالطبع وذهب وحيدًا. وصل بعد الدفنة. حضر جزءًا من العزاء، شرب قهوته وانصرف.

حكى أحمد لمدام فريدة أنه يتيم ورباه عمه، وزوجة عمه كانت تضربه، وحكى لفرح أن والده كان سيكيرًا وكثيرًا ما يضربه، وروى قصصًا بشعة عن زوجة أبوه وكيف كانت تحبسه عاريًا في الحمام، وكيف أجبره والده ذات مرة أن ينظف بلاط الأرض بلسانه. حكى حكايات كثيرة ومتنوعة عن حياته قبل لقائه مدام فريدة، حكاها بمنتهى الإيمان، وكرر بعضها أكثر من مرة، حتى أصبحت حقيقة لديه ولدى المقربين منه.

13

كل هذا الماضي البشع انتهى في "أنغام" للأدوات الموسيقية. خلع جلد الشقاء، ولعق نفسه حتى نما له جلد جديد، أصبح كما يصفه أمين الشرطة الجلف "ابن ناس".

على عكس المتوقع، جاء الصوت أنثويًا ناعمًا على الطرف الآخر من الخط. اضطرب أحمد، لكن الأمين صبري بجواره همس له: "قول إنك من طرفي".

تكلم أحمد:

- الو، أنا باتصل من طرف الأمين صبري صبرك.
- أهلاً وسهلاً يا افندم، حضرتك بتتصل بخصوص عربية
كيا سودا، صح؟
- أيوه مضبوط.
- طيب لحظة واحدة باراجع على السيستم، خليك معايا.

انقطع الصوت، وسمع موسيقى عمر خيرت. أبعده أحمد السماعه عن أذنه، وقبل أن ينطق أخبره الأمين صبري بالآه يقلق، فهي تراجع البيانات لتتأكد أن كله سليم. انسابت الموسيقى من السماعه أكثر من دقيقه، والأمين صبري يحادثه من الجهه الأخرى: "شغل خوجات يا أستاذ. البنات بتوع الكول سنتر والقرية الذكيه من بعد الثورة ما عا دوش لاقين شغل، جابوهم وشغلوهم معاهم".

عاد صوت البنات:

- أستاذ أحمد، أنا طالع عندي على السيستم إن عربيتك
اترفعت من يومين بس، صح كدا؟

- تمام حضرتك مضبوط.
- طيب يا مستر أحمد، هو لو حضرتك عايز العربية بكرة، ممكن تستلمها لو معاك 30 ألف جنيه كاش، أو تتابع بقى مع عم صبري، لو عملت بلاغ ممكن تتسلم للمباحث بعد ست أو تسع شهور، لو ماحدث اشتراها أو طلب يشتري الماتور أو قطع غيار أساسية منها.

15

تشجع ذات مرة في ساعة صفا، وأخبر مدام فريدة أنه يغني ولديه صوت جميل، وسبق أن فاز في مسابقة أسبوع شباب الجامعات. سألته مدام فريدة بודהا المعهود: "ولمن تغني؟".

رد بثقة وقد أشرفت الابتسامة على صفحة وجهه، أنا باغني لعبد الحليم، وفريد، وفوزي، وحافظ كمان لعبد الوهاب والست أم كلثوم.

قلبت مدام فريدة وجهها، ونظرت إليه بشفقة ولم تعلق. اندهش أحمد من ردة فعلها، فهذه أول مرة يقابل شخصاً يتضايق من الطرب الأصيل، عرض عليها: "تحبي أسمعك حاجة يا مدام؟". بقرف ردت المدام: "لا شكرًا، مش باحب اسمع الناس دي".

اعترض أحمد على المبلغ وقال إنه لا يملكه كله. فاصل . فتاة الهاتف معه وأخبرته أن العرض الذي تقدمه فرصة، وأنها تشعر من صوته وأسلوبه أنه ابن ناس ومحترم وماشي مع السيستم بتاعنا.

لم يفهم أحمد بماذا تقصد بـ"بتاعنا". سألته عن رصيده في البنك و"يقدر يحضر كام بكرة". رد أحمد عشرة آلاف جنيه شخرت الفتاة وتحول صوتها من نبرة خدمة العملاء إلى تطبيع دين أم العملاء، أخبرته أن وقتها ثمين، وهناك المنات غيره لديهم سيارات مسروقة ومصالح معطلة يتصلون على هذا الرقم، وأنه يضيع وقتهم، وأنها أرادت مساعدته لكن الآن ستغلق الخط لأنه لا يريد أن يساعدها أو يساعد نفسه.

ردد أحمد اعتذارات مُتتالية ورجاها ألا تغلق الهاتف، لكن بحدة ردت عليه:

- اسمع يا أستاذ، أنا هاكتب في السيستم عندي إن العربية مستعملة، وانزل لك المبلغ من 30 إلى 25 ألف، زميل ليا هيكلمك بكرة قبل الساعة 2 يحدد معاك ميعاد وتفاصيل التسليم. قلت إيه؟ أدخل البيانات والطلب بالرقم دا في السيستم وتيجي بمفتاحك تستلم عربيتك بكرة، وألا اقفل وتروح تستنى في القسم؟

بصوت مذلول وبنبرة حملها أحمد كل مقدرته على الابتزاز
العاطفي قال لها:
اللي تشوفيه.

17

ذائقة مدام فريدة الموسيقى كانت مختلفة عن كل ما
رآه أحمد. تجمع داخلها مختارات مختلفة من حضارات
صور متباينة، في حين كانت ذائقته مبنية على ما يقدمه
الراديو والتلفزيون المصري، ولم يكن يهتم بغير الأغاني العربية.
أث مرة علق قائلاً، الله، الموسيقى دي عاملة زي موسيقى
مسلسل ألف ليلة وليلة.

ضحكت مدام فريدة، وقالت إنها موسيقى ألف ليلة وليلة
من قبل أن يصنعوا المسلسل، ثم بقية اليوم شرحت له التركيب
الموسيقي للمقطوعة التي لحنها كورساكوف، وكيف تختبئ
حكايات ألف ليلة وليلة داخل المقطوعة. قالت أنصت لأصوات
الألات النحاسية واللحن المتماشي مع الوترية العريضة في إيقاع
مهيب يمثل الملك الغاضب شهريار. أما آلة الهارب والكمان
بصوته الأسر فيمثلان صوت شهرزاد، ومن الحوار بين الصوتين
نقع في أسر علاقات القوة والإغواء بين شهريار وشهرزاد.

توقف الموسيقى وتشرح له كل حركة، ما الذي يقوله صوت
الكمان / شهرزاد، كيف يعلو غضب شهريار. تحولت الأصوات

والنمور لحجرتي | 213

أمام أحمد إلى مراثيات، وفهم أخيراً أن الموسيقى ليست سجادة
يمشي عليها صوت المغني، بل هي صانعة الصورة ومشيدة
العالم.

18

خرج أحمد من القسم وذهنه مشوش غير قادر على
التفكير في ما حدث بسبب ألمه الشرجي. لذا حينما لمح نور
الصيدلية في ظلام الليل شعر بالأمان والاستقرار، وبأنه مهم
طال الليل هناك نهار، وبأن الغد أفضل، وبأنه قادر على
تجاوز آلام الطلاق والانفصال، سيعبر كل ما سبق حتى الشرم
الشرجي وآلامه، فكل هذا قبض ريح.

19

بدأ أحمد التطفل على جهاز الكمبيوتر والأسطوانات التي
تحضرها، ثم سأله مدام فريدة مرة إذا كان لديه إيميل. ابتسم
وظل صامتاً لا يعرف بماذا يجيب، فنادت عليه وأجلسه
بجوارها وأخذت تشرح له ما هو الإنترنت وما هو الإيميل،
في تلك الفترة تعرف على نعيم الذي يصغره بعدة سنوات
ويعمل في محل المعدات الصوتية والسماعات في ميدان باب
اللوقي. اهتمام الاثنین بالموسيقى وأدوات تسجيلها وإنتاجها
جمع بينهما.

لم يمتلك أحمد هاتفًا محمولاً في ذلك الوقت، لكن نعيم
أب به هاتف طراز نوكيا يعلقه في حزام بنطاله ويسير فخورًا
في ذات يوم لاحظ أحمد أن النغمة الموسيقية التي يصدرها
هاتف نعيم مُختلفة عن المعتاد، وحين سأله قال نعيم إنها
نغمة أغنية "هيرو" لإنريكي إيجلايسيس، اندهش أحمد وسأله
هل اشترى الموبايل بالنغمة، سخر نعيم قائلاً "فلاح". ثم شرح
له على الموبايل كيف أن النغمة هي عبارة عن كود تتم
تأنيته من خلال لوحة أرقام الموبايل.

أمسك الموبايل وأعاد برمجته وأدخل أرقامًا وحروفًا أخرى
ثم استمع لنغمة من تأليفه. في غمرة اندهاشه قال لنعيم
هذه ثورة، بهذا الشيء يمكن لأي شخص أن يؤلف الموسيقى".

20

دخل أحمد الصيدلية. وجد شابًا مُندمجًا في لعبة على
موبايله. وقف أمامه ثم تذكر أنه نسي الروشّة التي كتبها
له الطبيب، ولا يحفظ اسم الدواء. لكن دفعه الألم في شرخه
الشرجي للتعامل فورًا. تقمص شخصية النحنوح محاولاً
الاستحواذ على اهتمام الشاب الذي لم يرفع عينيه إليه، ولم
يفارق أصابعه شاشة الموبايل وهو يحادثه.

قال للشاب إنه زار طبيبًا بالأمس، ووصف له دواء لكنه
لا يذكر اسمه، لكن على الأرجح سيكون دواء متعلقًا بالشرخ

الشرجي، لذا قد يمكنه أن يعطيه أي دواء مسكن لآلام الشرج الشرجي. رفع الشاب الصيدلي رأسه عن الموبايل وسأله مستهزئاً بجديّة: "ما هو الشرخ الشرجي؟"، ارتبك أحمد ولم يعرف كيف يشرح، تلجلج، احمر وجهه وشعر بالخجل.

انبسطت أسارير الشاب، وقهقهه ضاحكاً، ثم قال له: "إنه اتكسفت والا إيه يا عم؟ أنا باختبرك بس". ثم استدار وأحد نوعين مختلفين من المراهم، وعلبة حبوب.

21

لم يصنع أحمد ثورة بموبايل نعيم، لكن صنع الاثنان ثروة صغيرة بمقاييس ذلك الزمن. استغل معرفته الموسيقية البسيطة، واستغل نعيم مهارته التجارية في وسط البلد. علّق نعيم في المحل ورقة كُتب عليها بخط كبير "عرض البرنس الآن ولفرة محدودة.. رنتك بأغنيتك بجنيه واحد".

باستخدام لوحة مفاتيح الموبايل النوكيا، كتب أحمد سلسلة من الأكواد لكل الأغاني الشهيرة، اشترى نعيم الكود الواحد منه بـ25 جنيهاً. طوّر أحمد أولى مهاراته في التأليف الموسيقي عبر كتابة أكواد الأغاني الشهيرة، يستمع للأغنية، يدندنها، ثم يبدأ في كتابة لحنها على الموبايل حتى يصل للكود الصحيح فيدونه في كراس مخصص لأكواد الألحان. يقف نعيم في المحل.

المزجاً الزبون الذي يريد نغمة أغنية "تملي معاك" فيخرج
وتر، وينقل الكود في موبايل الزبون.

لاحظ نعيم بعد فترة أن الزبائن ينقل بعضهم من بعض
كود الأغنية. كما لاحظ كذلك التطور المتسارع في أجهزة الموبايل
رائتها. ثم زاره صديق يعمل في مطبعة في المنيرة تطبع كتب
الأغنية الدينية والفضائح الجنسية، وعرض عليه شراء الكشكول
التي لا ليصدره في شكل كتاب. وافق نعيم، وصدر الكتاب تحت
عنوان "أحدث أغاني ونغمات الموبايل النوكيا" وحقق مبيعات
عالية استمرت لبضعة أشهر.

لم يخبر نعيم أحمد بصفحة الكتاب، بل رأى الأخير الكتاب
على بائع الجرائد. تناوله وتصفح، لفت نظره غياب اسم
المؤلف، لكنه ما إن رأى الأكواد حتى عرف أنها أكواده. غضب
وسهر بغدر الصديق مراراً في حلقه. واجه نعيم بالكتاب، لكنه
لم يكتفيه وقال إنه عارف الكتاب لأنه كتبه وهو من طبعه.
سأله أيق أحمد وتحولت مرارة الخديعة في حلقه إلى لهيب في
أفواه، انفعلى على نعيم وسأله في غضب "كيف تفعل ذلك دون
إذني؟ وأين حقي؟"

رد نعيم ببرود "أنا دفعت ثمن الأغاني التي كتبها، وأنا حر
في ما اشتريته". أحمد بضيق قال: "هناك شيء اسمه حقوق
مؤلف، وحقوق أدبية، أنت حتى لم تضع اسمي على الكتاب".
نعيم تجشأ وابتسم في وجه أحمد ساخراً:

- مؤلف؟ أنت افكرت نفسك ملحن بجد والا إيه؟

ما إن دخل المنزل حتى خلع ملابسه وهرول عاريًا بانه الحمّام. جلس على الكابينة، وأخرج المرهم من علبته. وندم قطعة على طرف إصبعه، ثم مد يده بين فخذه ولُخْوَ المعجبون في صُرْمه.

أحس بالألم يتحول إلى حرقان، خرجت منه آهة كبيرة. أم نفسًا عميقًا، أتبعه أنفاسًا متتالية. حزق أكثر ليُخرج الماء من بطنه، لكن صُرْمه آلمه، حرقان في شرجه، تهيج في أعضاءه على طول عموده الفقري. تذكر قصة عن رجل دخل إلى هارون الرشيد، وبينما هم جلوس همّ الخليفة بشرب جرّة من الماء. فقال الرجل "يا خليفة المسلمين بكم تشتري من الشربة لو منعته عنك؟". فقال هارون الرشيد الذي يمتد ما من حدود الصين شرقًا حتى الأندلس غربًا: "بنصف ملء". فلما شرب الخليفة سأله الرجل: "ولو منعت عنك خروجها بدتك بكم تشتري خروجها"، فقال الخليفة: "بالنصف الآخر". فقال الرجل: "لا خير في ملك يساوي شربة ماء".

بعد رحلة ألم دامت لدقيقتين خرج القلُوط من صُرْمه أصدر صوتًا عند وقوعه في الماء. اشتعلت النار في طيز أحده من الألم، نظر بين فخذه فرأى الدماء تلوّث الخراء والمياه تنفس بانتظام، ورويدًا رويدًا بدأ الحرقان في صُرْمه ومنطقة الفخذين يتحول إلى ديبب من الألم الخفيف، انتظم نفسه وبدت له سرقة العربية وكل ما مر به في القسم وأي خسارات.

أرى لا تساوي شيئاً لو استعاد قدرته على التبول دون آلام أو
ألم.

23

من النغمات الإلكترونية المولفة عبر مفاتيح الموبايل، انتقل
المفاتيح الكمبيوتر. في فترة قصيرة أصبح "الدي. جيه" المعتمد
في وسط البلد، من حفلات صغيرة في منازل الأجنبي، ترقى
إلى المراكز الثقافية الأجنبية تستعين به، كذلك تطلبه
"وادي الليلية". نجم في دوائر محدودة.

لم تكن لديه أبداً قائمة جاهزة يشغلها، بل تتغير اختياراته
مرة على حسب المكان واليوم والتوقيت، يراقب حركات
الضوء ونظرات أعينهم، يحلل الكيمياء بين الأجساد وعلى
هذا الأساس يختار الأغنية التالية التي ستعجبهم. تطور أسلوبه
بمرور بضع ساعات من تشغيل الأغاني وترتيبها لمزجها،
أكثر من استخدام المؤثرات وتقطيع الأغاني وتركيبها فوق
"بعضها البعض، حتى وصل لتوليف مقطوعات إلكترونية خفيفة
من تأليفه واختبارها مباشرة مع الجمهور.

حينما أتت الثورة مشى بميكرفون في يده يجمع الأصوات
من الميدان، هتافات، أحاديث سياسية، صراخاً، ضحكات، أغاني
شعبية، ثم عمل على هذا المزيج ليخرج ألبومه الأول "أصوات

الميدان"، موسيقى إلكترونية مركبة من ضوضاء الـ 18 يوماً في اعتصام ميدان التحرير.

24

أرسلته مدام فريدة ذات يوم لتوصيل جيتار، وصفت له بار ومطعم "ما بعد الثامنة" / "نيهته أن يسلمه لشخص يدعى "بوب".

ذهب أحمد في الموعد المحدد إلى العنوان الذي وصفته له فوجد رجلاً ضخماً العضلات يرتدي بدلة سوداء. سأله ماذا يريد فقال معى أمانة لبوب. أشار إلى باب آخر جانبي، ولم أحمد منه، فوجد مطعمًا ببار خشبي ضخم، تراصت طاولة فارغة تحيط بمسرح صغير، وقفت عليه مجموعة من الشباب وسط آلات موسيقى مختلفة. كانوا يغنون أغنية عن عم مينا وشيخ أمين، وكيف يحب كلا الاثنين الآخر، رغم أن واحداً اسمه أمين والثاني مينا. صعقت طزاجة الكلمات وطريقة الغناء أذن أحمد.

حينما انتهوا من الأغنية تقدم عازف الطبول منه وسأله إذا كان من طرف مدام فريدة. عرّف الشاب نفسه بأنه بوب، وشكره على توصيل الأمانة، ثم مد يده بورقة نقدية لأحمد، لكنه رفض بشدة، بينما تمسك بوب بمنحه "الحاجة البسيطة".

فتمسك أحمد أكثر برفضه، وفي عملية الشد والجذب، سأله أحمد ممكن بدل الفلوس أقعد أسمعكم؟

ابتسم "بوب" مرحبًا ممكن طبعًا تسمع البروفة، بس لمان ساعتين لما المكان يفتح، مش هينفع تقعد. فتقدم أحمد نحو أقرب طاولة من المسرح وسحب كرسيًا وجلس أمامهم. الأغنية التالية التي لعبوها حملت إيقاعًا أسرع وراقصًا أكثر، وهذه المرة تتحدث عن فرقتهم التي تحمل اسم وسط البلد، وتغني في وسط البلد حيث الفلاحين، والخواجات، والصناعية، والخرجية، والعمة والجينز والجلابية. انفعل أحمد مع الموسيقى ووجد نفسه قرب نهايتها يردد خلف مغني الفريق الأساسي الكلمات، ويهتف معهم حينما يصرخون بلازمة الأغنية "وسط البلد".

في عتبة الليل تلك، ومع أغاني فريق وسط البلد، نبتت الأجنحة الملونة في ظهر أحمد. في شرنقتها اقتربت الفراشة من التحول إلى تين.

في أغاني وسط البلد انعكاس لحياته الجديدة .. لأبواب العمارات المفتوحة على الماضي الساحر، لأأيادي الود والمعروف الممدودة إليه، للفرص الملقاة في ممرات شوارعها، لزحام شارع طلعت حرب في المساء، لسكاري شارع شمبليون، لسأم بانعي الملابس في شارع قصر النيل، النصابين العاطلين عن العمل في المقاهي، والأصدقاء الخونة الذين يسرقون الكحل من العين.

تحول أحمد إلى فراشة، وحلقت تلك الفراشة في أزهى
وممرات وسط البلد، في مبانيها المتصدعة، في شققها العفنة
المليئة بالفئران والصراصير.
طارت الفراشة في كل بقعة وركن من الحي الكوزمبوليتاني.
تمنى لو يقبل ويلمس كل ركن في وسط البلد، مدينته
ووطنه، أخيراً أصبح للفراشة حقل، ولأحمد وطن.

25

تناول الزبادي حتى لا يتألم عند التبول، ثم دخل غرفة
الاستديو. فكر في العمل، لكن القرف أفسد مزاجه، فشغل نفسه
بترتيب الاستديو ولف السلوك وتصنيف المعدات المبعثرة.. بينما
هو منهمك في الفوضى، عثر وسط الركام على لوحة مفاتيح
الموسيقى الإلكترونية طراز Novation Launchpad موديل عام
2009. أمسك بالآلة التي تتكون من 8*8 زر. تذكر فرحته بها
وقتها، كان بإمكانه صنع كل شيء، بدايةً من "اللوب" وحتى
المؤثرات الصوتية، إلى جانب إدخال إيقاعات الآلات الموسيقية
المختلفة. قلب اللوحة على ظهرها فوجد استيكرز فراشة، وقد
خرجت من رأسها أفعى مرسومة، بلون مونيكيير أحمر.
كانت هذه أول هدية تلقاها من فرح.

فرح من رسمت رأس الأفعى لتحول الاستيكرز إلى فراشة
الذين حيث كان هذا اللوجو والاسم المستعار للشخصية الأولى
بدايته الموسيقية.

اللوحة معطوبة بعدما وقعت عليها كأس نبيذ أحمر، لكنه
بحث عن السلوك لتوصيلها بجهاز الكمبيوتر والسماعات
التهربها، موهماً نفسه أنها قد تكون أصلحت نفسها.

26

انجذب أحمد إلى موسيقى فريق وسط البلد، مشى خلفهم
المجذوب، بدأ في المساعدة في حمل الأدوات والآلات الموسيقية،
لم لاحظ شكاوهم الدائمة من سوء الصوت في معظم الحفلات،
فذهب إلى صديقه القديم نعيم. التقى الاثنان كنعالب تتظاهر
الود، استخدم أحمد سلاح المحن والصعوبة، وطلب من نعيم
أن يعلمه كل ما يعرفه عن السماعات والميكروفونات وأجهزة
المزج الموسيقي.

اقترح عليهم قبل صعود الفريق إلى المسرح تجهيز الجمهور
بلعب موسيقى وأغانٍ تتناسب مع أجواء موسيقى وسط البلد.
في حفل في ساقية الصاوي، بحضور يتجاوز ألفي شخص،
صعد المسرح، وقف أمام الميكسر، وبدأ في مزج الأغاني
والموسيقى. الجمهور الذي لم يكن مهتماً وحضر بالأساس
لمشاهدة "وسط البلد" والاستماع لهم، بدأ حشده في الحركة

والنمور لجزيرة | 223

مع موسيقى أحمد، انتقل من إيقاع لآخر حتى وصلوا جميعاً إلى القمة، تحول المكان لساحة رقص مشتعلة بالانفعال وصارت الفراشة تنيباً. تحققت الولادة الجديدة لأحمد التنين الفراشة. أو كما كررت فرح على مسامعه تلك الحكايات عن ملك يحلم أن يتحول إلى فراشة، وفراشة تحلم أن تتحول إلى ملك.

27

أوصل أحمد لوحة الموسيقى الإلكترونية بالكهرباء، فأضاء أنوارها.

تفاءل بالضوء، مثلما تفاءل حين دعته فرح لزيارتها. حاول تشغيلها والضغط على أزرارها، لم يخرج أي صوت، فكر في توصيلها بجهاز الكمبيوتر عله يتمكن من استخدامها إلكترونياً من خلال الكمبيوتر، لكن ما إن وصلها بالجهاز حتى أطلعت صغيراً حاداً. نزع السلك، وسب الدين في سره للآلة ولحياتها ولأمعاء الشرطة. خرج إلى الصالة، وارتمى على الكنب، وأعمى يديه في لف الجوينت، عله يتمكن من النوم ونسيان القلق

في عالم وسط البلد السري والمكمكم قبل الانفجار العظيم
 في 2011 كانت هناك مجموعة من الكهنة، يتولون الإشراف
 وإدارة النشاط الفني والثقافي في هذا الصندوق المغلق. هؤلاء
 الكهنة مزيج من أصحاب الجاليريات الفنية، مديري المؤسسات
 الثقافية، مالكي المقاهي التي اعتادت استضافة الندوات
 والقراءات الأدبية، وأخيراً بالطبع ممثلين عن الأجهزة الأمنية
 التي تراقب وترصد وتأذن بأي نشاط أو فعالية.

في غفلة من الزمن قرر هؤلاء فتح صندوق وسط البلد،
 الخروج من علبهم الثقافية إلى الشارع، طبعاً بعد موافقة
 الأمن.

تكاتفوا لتنظيم حدث فني، على مدى خمسة أيام تحت
 سوان "مهرجان سيدي الإسفلت". شمل عرض عشرات التماثيل
 في مختلف الميادين، وتركيب أعمال فنية في الزوايا في ساحات
 وسط البلد، أقيمت ندوات شعرية مفتوحة في المقاهي، نُصبت
 الحفلات الموسيقية للعامّة في ساحة عابدين، وفي جراج جرى
 تحويله لمسرح.

فرح التي انتقلت مؤخراً إلى القاهرة، سمعت عن المهرجان
 وحينما زارت وسط البلد ظلت تسير ورأسها مرفوع لأعلى
 نلحق بحدقة عينها المباني، تتوقف عند كل مبنى وتحاول أن
 تسجل في ذاكرتها رقم المبنى وموقعه وأهم التفاصيل المعمارية
 التي أحببتها فيه. بسبب حبها للقراءة والأفلام، نشأت فرح في

والنمور لجرتي | 225

الإسكندرية وهي تحلم بوسط البلد كمسرح لعشرات الأعمار الأدبية والفنية، وموطن لكل النخبة الثقافية والأدبية التي تعشقها، وحين زارت وسط البلد أثناء فعاليات مهرجان سيدو الإسفلت، اختلط الخيال بالواقع. ظنت أن وسط البلد هذا دائماً لم تشيع من التجوال، ولا من التهام الجمال.

قرأت عن حفلة الجراج في برنامج المهرجان، ذهبت مبداً ذلك اليوم ولم تكن تعرف من هي فرقة "صحرا" لموسيم الراي، ولا من تكون "فرقة وسط البلد". دخلت الجراج المسرح فوجدت شخصاً يقف خلف أجهزة صوتية مختلفة وشاشة كمبيوتر، وخلفه تُعرض على شاشة كبيرة صورة فراشة أجنحتها ملونة. الصور ثابتة لكن الألوان في أجنحة الفراشة تتداخل / تنحل / تتصل / تلتئم / تتفكك.

الموسيقى مزيج مضطرب لم تسمع فرح شيئاً مثله من قبل، أنصتت فميزت صوت أم كلثوم كطيف تغطيه إيقاعات متداخلة، أساسها الضوضاء اليومية للشارع.

لم يكن "وسط البلد" أو "صحرا" هم من فوق المسرح. بل "دي. جيه الفراشة" كما يعرف نفسه. ولم يكن مثل الديجيها، الذين تعرفهم فرح وسمعتهم في الأفراح، يشغل الأغاني الراقصة والشهيرة، بل يخلطها ويفككها، تبدأ الأغنية مثلاً بمقطع لام كلثوم تغني فيه من أغنية "أنت عمري" وجملتها "الي شفني قبل ما تشوفك عينا"، ثم تعلق أصوات نفير السيارات ومعها يتداخل صليل المعدن ووشيش محطات الراديو.. تليها أصوات

المول المتعاقبة، ولحن راقص ذو إيقاع أقرب إلى موسيقى
المرحى، ثم العودة لجملة لحنية من أغنية لنوال الزغبى،
أ. هذا وصوت أم كلثوم في الخلفية تكرر كلمة واحدة "الي
هنة".

شافته فرح في هذا اليوم وأحبته.

29

استيقظ أحمد في مُنتصف النوم، شعر بألم شديد في رقبته
،نتفه نتيجة نومه معوجًا على الكنبه. جسمه يؤلمه، كذلك
أبيه. وقف على قدميه، نظر حوله فرأى البيت صفيحة زباله،
أحس بنفسه عفنًا. لا يزال بين الحلم واليقظة، نادى على فرح
،صوت مسموع:

يا فرح وحشتيني بقى.

أمسك موبايله واتجه إلى غرفة النوم، ارتدى على السرير
وقبل أن ينام حاول الدخول إلى صفحة فرح على الفيسبوك أو
لو يتر لم يجدها، ولم يعرف هل أغلقت صفحتها أم مسحته من
عندها. تمنى لو يبكي لعلّ دموعه تخفف من شوقه، لكنه نام
قبل أن يبكي.

يمكن أن نضع سببين لدخول التلفزيون الملون متأخرًا في حياة عائلة طالب:

أ. أن الحاج طالب والد أحمد محب للراديو ولإذاعة القرآن الكريم، وصوت العرب، وبالتالي لم يهتم مطلقًا بأن يغير بشاشة التلفزيون الأبيض والأسود واحدًا آخر، بالألوان في التسعينات.

ب. أن الحالة المادية البسيطة لطالب حالت دون قدرته على أن يغير بالتلفزيون واحدًا ملونًا، ولم يرضخ إلا بعد سنوات من زن زوجته الثانية، أما لو عليه فملعون، التلفزيون على الألوان، على العيشة وعلى أهلها.

أضفى التلفزيون الأبيض والأسود إيقاعًا هادئًا وبطيئًا على طفولة أحمد، ما جعله محبًا للميلودراما، والأغاني الحزينة لعبد الحليم حافظ ونجاة، وهو ما لا أستطيع أن أراه حتى في تلك السن المبكرة إلا تدريجيًا على اليتيم، أو ربما انعكسًا لليتيم إن أردنا النظر إلى أحمد كملك / فراشة / تنين كما يعتبر نفسه، مسألة الملاك تعيدنا إلى صورة أحمد عن نفسه، فواحدة من الأغاني المبكرة التي أحبها بسبب تصويرها، أغنية "يا مرسال الهوى" لنجاة. كلما عُرضت الأغنية يتسمر أحمد أمام الشاشة، ويبدأ في تحريك شفثيه مع نجاة هامسًا بكلمات

«سين السيد ومحمد عبد الوهاب، حتى تصل الأغنية لنصفها،
«سمت تمامًا مُنصّتًا لصوت نجاة ومسحورًا من تصوير الأغنية.

في ذلك الجزء من الأغنية يغني الكورال "يا مرسال الهوى
روح بلغه مرسالي/ مرسالي شوق ومحبة أكثر من الليالي/ ليالي
والله ما كانت تخطر يوم على بالي" بينما تقف نجاة كالوتد.
ارندي فستانًا أبيض طويلًا ينبسط حولها مُشكّلاً نجمة، وأسفل
قدميها وردة تتفتح. نجاة في منتصف الكادر، وحولها أشجار
ذات جذوع وفروع فضية.

لا تتمايل نجاة مع الموسيقى، ولا يهتز لها طرف.

يدور حولها طفل يرتدي كلوت فضيًا، وأجنحة ملائكية
منبثة في كتفيه، على رأسه تاج صفيح ذهبي.

يتحرك الطفل نحو شجرة في أقصى الكادر، يلتقط ظرفًا
أبيض من فرع الشجرة ثم يعود إلى نجاة ليضعه تحت قدميها.
تناول نجاة الظرف فنفهم أن الطفل يمثل مرسال الحب، في
محاكاة لكيوبيد.

يذهب الطفل كيوبيد ذو الكلوت الذهبي نحو شجرة
أخرى، وهذه المرة يقطف قلبًا، ثم يعود إلى نجاة ويضعه
تحت قدميها، تنظر نجاة إلى القلب، فتسودّ الشاشة وتتغير
ملامحها الهادئة إلى مزيج من الانزعاج والخوف.

لم يفهم أحمد ما الذي يحدث في هذا الكادر إلا حينما دخل
التلفزيون الملون منزلهم. يومها كان في الحمام فسمع الأغنية،

فضغط على أمعائه حازقًا الشخة ليسرع خارجًا لمشاهد
الأغنية. تسمر أمام الشاشة الملونة، وشاهد كيف أن الملا
حين يضع القلب تحت قدمي نجاة تتحول الإضاءة في الكا،
إلى اللون الأحمر، فيتحول لون فستان نجاة من الأبيض إل
الأحمر، ويبدو انزعاجها خوفًا مفهوميًا من الهجوم الأحمر.

يتغير الكادر فنرى نجاة جالسة على ركبتيها لتكون
مستوى كيويويد الطفل، وتمسك بيديه لتبدأ في الغناء ل
مبتسمة "حبيبي يا أحلى فكر بيشغلني في أجمل يوم
حياتي"، تضطرب العلاقات مرة أخرى فهذه المرة لا تخاطب
نجاة الطفل كمرسال للحب، بل كحبيب يشغلها دائمًا.

- هل تحب نجاة الطفل ذا الكلوت الفضي ؟

- أم تخاطب نجاة الطفل كمرسال وملاك بأجنحة فضية ؟

سيحمل رسالتها الشفاهية؟

كلمات حسين السيد تحسم الأمر في المقطع التالي حم
تغنيها نجاة "يا أحلى طيف بيحرمني ساعات النوم حبيبي"
مؤكد نجاة تحب طيفًا، بل هو أجمل طيف. تؤكد نجا،
على إيصال ذلك المعنى لحبيبيها كطيف وملاك، كائن نوراني
من عالم آخر حين تنحني وتطبع قبلة على جبهة كيويويد ذي
الأجنحة والكلوت الفضي والتاج الذهبي .

يغرق أحمد طالب في بياض بشرة نجاة، وشعرها الأسود
الكثيف الذي علقت به نجوم ذات لون سماوي أزرق، فكر في
أن أمه لو عاشت بالتأكيد لكانت ستشبه نجاة وستغني ل

• هي الأحلام حثوريني أجمل من حبك إيه". بل ربما لكانت
ساعة هي أمه.

31

انفتح عالم وسط البلد لأحمد. بيضة مسلوقة مقشرة.

انطلق يحركه الطموح نحو المجد الفني، وفانتازيا ممارسة
الجنس ممارسة صحية كاملة. لاحظ كيف يتمتع المجتمع
المدني بيئة مُنفتحة تكثُر وتتعدد فيها حكايات الدراما
الجنسية والعاطفية، اعتقد أن فرصه ستكون ضعيفة مع أي
ساعة مصرية نظراً إلى تحفظهن، وإلى فقره الواضح الذي يحاول
النمويه عليه بملابسه البوهيمي، ولهذا الأسباب ذاتها اعتقد
أن فرصه مع فتاة أجنبية من هؤلاء اللاتي يظهرن في بارات
وحفلات وسط البلد ستكون أفضل.

لكن لم يتمكن من تحويل الفانتازيا إلى واقع. عانى بسبب
حاجز اللغة في التواصل معهن، وحتى حين تمكن من مد حبال
الود والتواصل، لم يدرك ما هي الخطوة التالية. يتحدث مع
إحدهن، يحصل على رقم هاتفها، يتقابلان مرة ثانية أحياناً،
بضحكان، تحضر الحفلات التي يدعوها لها، يقترب منها حينما
يحادثها، ثم يتخشب لا يعرف كيف يحصل على القبلة، وكيف
يصل إلى الكس؟

ثم ظهرت فرح على الفيسبوك، تضع صورة واحدة، له فيها فوق كورنيش إسكندرية ترتدي بنطالاً أسود، يداها جيبها، في قدميها بوت جلدي أسود بكعب مدبب وطول بلوفر أسود، وجهها مضاء بأشعة الشمس، البحر من خلفها وابتسامتها لا مبالية. أعجبته تقاطيعها، ووجدها أطول من تخيلها حين قابلها.

في نهاية لقائهما الأول، وقفا في انتظار وصول الأسانسير للخروج من بار فوق سطوح في فندق كارلتون. كان يتحدث في هراء ما محاولاً الاستمرار في إبهارها، أنهى آخر جملة له ونظر بعيداً عن عينيها، سريعاً شبت وطبعت قبلة على خد الأيسر. قبلة سريعة خاطفة. أوقفت "زمكانه". وصل الأسانسير ففتح لها الباب، دخلت هي أولاً ثم تبعها. احتاج إلى لحظتين بعدما ضغط زر الدور الأرضي لكي ينطق:

- طيب والخذ الثاني؟

نظرت إليه بابتسامة بريئة كما ابتسامة نجاة الساهر، وقالت:

- أنت طماع قوي.

مال عليها، فالتقت الشفاه في أول قبلة لهما.

في بداية حديثهما على الفيسبوك، أرسلت فرح إليه رسالة
 ١١٥. إنها مقالة كتبتها بعد حضورها حفلته، لكن نظرًا إلى
 اهتمامها بالنشر العام فقد رأت أن تشاركها معه. قرأ
 أحمد المقالة سريعًا دون أن يفهم معظمها أو ربما لم يفهمها
 أصلًا. أخذ يبحث عن أي موضع يرد فيه اسمه، لكن المقالة
 كانت من أي إشارة إلى اسمه أو الحفلة. عَرَضًا كانت هناك
 إشارة فقط إلى مسألة الفراشة التي تتقمص صورة تين، أو
 التين الذي يحمل أجنحة فراشة.

بعد سنوات على علاقتهما سألتها مرة عن هذا المقال، فعبرت
 فرح عن خجلها منه. قالت إنها في تلك الفترة تعلقت بكتابات
 فالتر بنيامين، وكانت هذه أول مرة تحضر حفلة تشاهد فيها
 نوعًا موسيقيًا يستخدم أغاني قديمة ويعيد إنتاجها، وكانت
 قد انتهت من قراءة دراسة فالتر بنيامين عن "العمل الفني
 في عصر إعادة إنتاجه تقنيًا"، فبدأ الحفل وما يصنعه تجليًا لما
 قرأته، لكن على عكس أطروحة فالتر بنيامين التي تنبأت بأن
 عمليات إعادة إنتاج الفن تقنيًا تحوله لمنتج أحادي، فإذًا
 حالته التاريخية وخصوصيته الزمانية والمكانية، فإن ما شاهدته
 فرح في تلك الحفلة مجموعة من الطبقات تنهار وتنهض في
 اللحظة ذاتها، لتشكل أحجيات من الصور الذهنية، والذكريات
 الجماعية التي يلهو بها ببراعة.

في بداية تعارفهما اقترحت فرح عليه أن يربي شنبه. رفض
اقتراحها ساخرًا، فعرضت عليه صورة بالأبيض والأسود لشارب
ذي وجه مثلث ونظارات تتبدل على أنفه، وقالت: "انظر، أليس
وسيمًا؟!".

جاملها لأنهما كانا في غسل البدايات، اكتفى بالقول إن
الشارب قد يليق بفالتر لكن لا يليق به هو. بدهشة قال:
فرح، كيف لن يليق بك؟ أن تشبهه جدًا، أنا أحببتك لأني
تشبه فالتر.

أحمد لم يعلق. كانا في مطعم القزاز، انتهز فرصة غياب
النادل ليمد يده ويحتضن كفها، وما إن لمس كفها حتى
شعر بانتصاب قضيبه أسفل ملابسه. بعد شهور من المواعيد
والقبلات العابرة في الأماكن العامة، أخيرًا سيتجهان بعد تناول
العشاء لبيتنا الليلة في منزل صديق لأحمد مسافر ترك المفتاح
هدية له.

أحمد الذي أوشك أن يتم ربع قرن على الأرض كان يمني
نفسه بالفتح المبين الذي سيغير حياته، أخيرًا سيفقد عذريته
ضغط بيده كفها أكثر فابتسمت فرح ونسيت مسألة فالتر
وفي تلك الأيام حين كانت فرح تبتسم، يشرق وجهها كاملاً
بضياء من البراءة والحماس للعالم والغد. وأحمد رغم رغبته
المشتعلة، أمام ابتسامتها يشعر بأبوة حبوبة تجاهها.

في النهاية، الذكورة ما هي إلا أوجه متعددة، بل وأحياناً
متناقضة. قد تجتمع صورتان، صورة فالتر بنيامين وأحمد

طالب، صورة العاشق المشتعل بنار الرغبة مع صورة الأب
العامي لابنته، كلها صور متعددة للذكورة، وكلها الحمد لله
أوجه بنت متناكة.

33

استيقظ أحمد في الصباح على رنين التليفون. نظر في الشاشة
أم ضغط زر إخماد الصوت، كان هذا المنتج الموسيقي طعيمة.
وأحمد مل وزهق ولم يعد يعرف كيف يهرب بلطف منه ومن
رضه.

ثم تذكر أنه سيستيقظ ويذهب إلى البنك ويسحب تقريباً
ثل ما في حسابه، لكي يذهب لدفع فدية السيارة واستعادتها،
فحسم أمره ورد على التليفون. أتاه صوت طعيمة:

- إيه يا فنان أوتار قلبي، أنت قالبني ليه؟ ينفع كدا
المعاملة دي؟ لا طبعاً ماينفعش. مش معاملة فنانين دي.
مع إن والله أنا جاي لك في خير ومصلحة، مش عارف
انت مزرجن ليه.

تثاءب أحمد، ورد بصوت بطيء:

- صباح الخير يا حاج طعيمة، ماعلهش اعذرني كنت
نايم.

- نوم العوافي يا فنان. دلوقتني هنخلص في الموضوع بتاعنا
والا إيه؟ الشيخ اليومين دول في مصر، وراجع آخر الأسبوع

والنمور لحجرتي | 235

طالع على "نيوم"، وعايزين الشغل دا لحفلة S. ٤٠٠
الشهر الجاي هناك، وعايز يقابلك يتفق معاك على
التفاصيل، ويشرح لك هو اللحن سكتة ماشية فين
اعتدل أحمد في جلسته وسأله:

- طيب ما ترسيني انت هو عايز الشغل لمين، وإيه
الكلمات، ومين هيغني؟
- شوف هو سر، بس أنت علشان حبي.. وبينني وبيننا
هتبقى أغنية قبله. الكلمات كلمات قديمة أول م
تنشر للخال عبد الرحمن الأبنودي، واللي هتغني
الكل نجاة الصغيرة.

انتفض من فراشه واقفاً على قدميه ورد على طعيمة:

- نجاة، ازاي ومين وفين؟
- والله زي ما باقول لك.. الشيخ برده بيحبها، وقابلها
وقدر يقنعها ترجع تغني الأغنية دي. إطلالة من الزمن
الذهبي يا فنان!

تلجلجت الكلمات في فم أحمد، اضطربت ضربات قلبه
ومشاعره، ثم أخيراً خرج الاقتراح من شفثيه:

- طيب سؤال يا حاج طعيمة، دلوقتي الواحد مش
هتيجي له الفرصة كل يوم يتحط اسمه على أغنية
لنجاة، إيه الكلام لو حطينا اسم الشيخ على اللحن.
واسمي ينزل جنبه كموزع موسيقي؟

- مش هينفع يا فنان قلت لك قبل كدا، شرط الموضوع كله السرية، أصلاً أنت كلامك هيبقى مع الشيخ بس. حتى نجاة مش هتشوفها.
- مش هشوفها ازاي؟ أو مال هتحفظ اللحن ازاي، ومين اللي هيكون معاها في الاستديو وقت التسجيل؟
- يا فنان ما قلت لك العرض. بعدين أنت قلقان ليه؟ ما كل الزملاء والناس في السوق هتبقى عارفة ان انت اللي عملت اللحن والمزيكا، هو الشيخ دا له فيها؟ أنت فاكرا ان انت لوحدك؟ كل زملائك على فكرة بيعملوا الشغل دا. والدينا ماشية.
- عاوده حرقان الطيز، أحس برغبة في التبول. وعلم أن أمامه، وما طويلاً سيبدوه بمعركة من الآلام والدماء في الحمام.
- طيب تمام يا حاج طعيمة، على بركة الله. نقول نتقابل بكرة في الاستديو عندك؟
- وبكرة ليه؟ تعالى لي بالليل وسهرتك عندي.
- ماشي يا حاج من عنيا.
- ماشي يا فنان مستنيك، أنا هاكون في الاستديو من الساعة 8.
- حبيبي يا حاج ماشي.
- في رعاية الله.

لا يليق توصيف أحمد واختزاله في صورة الذكر الأعمى الذي لا يبصر إلا صورته في البئر. فأحمد إلى جانب كونه ذكراً، فهو فنان، والفن إحساس. حتى لو كان مرآة أحادية الصور، للمجتمع، أو مركباً شديد التعقيد ممتدداً في الماضي والمستقبل. معاً كما ظنه فالتر بنيامين. حساسية أحمد الفنية جعلته دائماً يتردد، حتى بعد فوات أوان التردد.

على سبيل المثال، بعد أول مرة مارس الجنس ممارسة كاملاً، رأى أحمد في عيني فرح نظرة خوف ورفض. اعتاد النوم معاً وممارسة كل أنواع الغرام دون تحفظات ما عدا الممارسة الأبدية شهرة بين الرجل والمرأة، وهي الإيلاج التام للعضو الذكري داخل العضو الأنثوي. كانت هناك أشكال أخرى من الإيلاج لكن أحمد اشتاق لهذا الإيلاج الذي لم يجربه.

في فورة الهيجان ودون أن يخبرها دفع آلتها، أحس بضيق الممر لكنه تقدم ببطء وثبات. توقف لالتقاط الأنفاس، وانتدأ حتى شعر باسترخاء عضلات فرج. فرش شفثيه في رقبتها وهو يحتضنها، وهمست فرح "أحمد.. بالراحة، كفاية كذا طلعه". مثل غالبية الرجال ظن -أو أوهم نفسه- أن كلمات الممانعة هي نوع من الدلع لاستنفار الرغبة. سكن في حركته، وإن لم يتراجع بآلته، وانتظر حتى استرخت عضلات فرج وخرم الشهيق من صدرها، ثم حرك وسطه، رهزة واحدة قوية فواصل بآلته إلى عمق جهازها التناسلي الأنثوي.

لم يدم بقاء جهازه داخل مهبلها أكثر من عشر ثوانٍ، ثم حبه خوفاً من القذف داخلها إذ لم يكن يرتدي واقيًا ذكريًا. ما إن سحب جهازه خارج جهازها التناسلي، حتى دفعته هرج برفق، ثم تكورت على نفسها صامتة. نظر أحمد لعضوه الذكري واندھش من نقطة الدم على حشفة قضيبه.

تصرف أحمد بحساسة الفنان يومها، احتضنها في مزيج بين الإحساس بالندم والتعاطف. شعر باضطرابها فدنن لها هامساً لحن أغنية "كان فيه فراشة صغيرة" لنيللي، لكن بدلاً من تهدئتها أثارت الأغنية انزعاجها. تحكي الأغنية -وهي أغنية الأطفال أساساً- عن نيللي المغنية التي شاهدت فراشة صغيرة ملونة أثناء تجوالها في الحديقة، طلبت من الفراشة أن تلعب معها، لكن الفراشة رفضت وطارت هاربة، فطاردها المغنية للإمساك بها، وفي تلك المطاردة، دمرت الغصون وأوراق الشجر. أوشكت فرح أن تبكي بسبب دندنة أحمد للحن، لكنها لم تسمح لدمعة واحدة بالنزول، وبحدة طلبت منه السكوت. لم يتحدثا قط عما حصل. فرح أقنعت نفسها بأن ما حدث كان قرارها وإرادتها.

أما أحمد فعاش فترة من الصراعات النفسية، بين ذكوره كفلاح وابن فلاح من الشرقية، وشخصياته الفنية المتعددة التي كانت في طور التشكل.

لم يعترف أحمد لفرح بأن ما حدث بينهما كان مرته الأولى. أيضًا، فهو الصايح اللي جابها من تحت، والكل يعرف مغامرته التي لا يكف عن سردها.

بانتهاه عذريته الجنسية انطلقت كل قدراته المكبوتة. تغيرت شخصيته فنيًا وإنسانيًا، كأنما حلت العقدة من لسانه ومر بتاعه أيضًا. ظل قلبه معلقًا بفرح، لكنه وقد أدرك كيف يكون الجنس اندفع في فضول بحثًا عن تجارب أخرى، فأنهى الأمر بممارسته الجنس مع فتاة فرنسية تعرف إليها في إحدى الحفلات المنزلية بوسط البلد، نام معها مرة واحدة ثم سافرت بعدها بيومين. بسبب هذه الفتاة تعرف بتريزا، هذه نام معها أكثر من مرة، وبدأت علاقته بها تتطور بنحو سريع، ومعها اكتشف أحمد فضاء أرحب من الجنس، بل يمكن القول إنه تعلم الجنس من تريزا.

ظل في هذه العلاقة القصيرة دون أن تعرف تريزا بأمر فرح أو تعرف فرح بأمر تريزا، حتى اعتذر عن مواعده مع تريزا ذات مرة بحجة سفره خارج القاهرة، لكنها في اليوم ذاته صادفته جالسًا في بار في وسط البلد، مع فرح وشلة من أصحابهما، فواجهته تريزا بكذبه على مرأى منهم، وصنعت مشهدًا دراميًا كبيرًا. انتهت الليلة بأن ظل سهران سكران لوحده فوق كوبري قصر النيل، وهو يحاول الاتصال بفرح لكنها لا ترد عليه.

لم يحاول أحمد الاتصال بتريزا. "هذه امرأة مجنونة" قال
لصديقه، وفي داخله فَرِحَ بالتخلص من أمر تريزا. أما فرح،
فلمثل الحب داخله يركل معدته ويجبره على محاولة الاتصال
بها.

لم ترد فرح على اتصالاته لمدة يومين، ثم ردت وهي منهارة
من البكاء. قالت إنها متألّمة، وإن ثقتها به اهتزت، وإن ما
مرحها ليس الخيانة أو ممارسته الجنس معها، بل كذبه عليها.
وصف تريزا بالمجنونة، وأنها من طارده وأغوته. قالت فرح
إن كل هذا لا يهم، هي فقط لا تثق به ولا تعرف ماذا تفعل.
"كنت أكثر في نهاية المكالمة وهي تردد "أنا لسة باحبك.. رغم
دل الوجد دا باحبك".

راهن أحمد نفسه على عودة فرح، لا بسبب الحب، بل
لأنه رآها في موقف ضعف واحتياج، فبحسبته ومنطقه هو من
افتض فرح، وبالتالي فرح تحبه وتحتاج إليه، وإلا ماذا ستفعل
وسط الغابة المصرية ببيكاره مفضوضة؟

في الوقت ذاته تضاعف إحساس أحمد بالذنب باستمرار
هجر فرح له، شعر في الأيام التي ابتعدت فيها وطلبت
ألا يلتقيا بانتهاء عامله، لم يتوقف عن مطاردتها والاعتذار
والسهوكة والدهلكة، حتى استعادها، ولم يستمر انفصالهما أكثر
من أسبوعين.

بعد مرور شهرين على عودتهما، كان يستلقيان عاريين
وكلاهما في حضن الآخر، حين نهض أحمد من السرير، وتناول

علبة قטיפفة من المكتب وفتحها، فيها دبلتان من الفضة. قال
لفرح: "تتجوزيني؟"
ثاني يوم قامت الثورة.

35

أنهى مكالمته مع الحاج طعيمة، نظر للهاتف فوجد "ميسد
كول" من رقم خدمة السيارات المسروقة. ذهب إلى الحمام.
تعذب محاولاً التبول حتى أخرج قلوطناً واحداً ثم اشتعلت
النيران في صُرمه. ملأ البانيو بالمياه الدافئة وجلس فيها، ثم
قام واستحم.

أثناء خروجه من المنزل، هاتف أحمد رقم التليفون الذي
اتصل به. جاوبته فتاة بصوت مختلف، وقالت إنها تتصل
بخصوص سيارة كيا سوداء. سألته إن كان المال معه، فقال
سيكون جاهزاً بعد ساعة بالكثير. طلبت منه الفتاة أن يتصل
بها حينما يصبح لديه المال لتعطيه التعليمات.

36

خرج أحمد من البنك مرتدياً حقيبة ظهره على صدره،
وداخلها في كيس أسود المبلغ المطلوب. هاتف رقم خدمات
السيارات المسروقة، فرد عليه صوت أنثوي ثالث، وهذا المرة

• دت امرأة ذات لهجة فلاحى. لم تعرف سبب اتصاله ولم تفهم
• اذا يريد في البداية، أخذ يعيد ويزيد حكايته ويذكر أسماء
• مثل الأمين صبري صبرك، الدقي، حتى تذكرت وسألته "إنت
الراجل بتاع الدقي، أبو عربية سودا؟" فقال "أيوة أنا". أعطته
النعليمان بالتوجه لميدان سليمان جوهر، حيث سيجد كوم
باله هناك، وكل ما عليه أن يرمي الفلوس في كيس أسود
جوار كوم الزبالة، وبعدها سنتصل لإخبارك بمكان السيارة

37

استنفر أحمد كل طاقته في تحديه ضد عائلة فرح. في
البداية توسع في الأعمال التي تزيد من دخله، وبعدها كان
يلعب الموسيقى في أماكن ثقافية وفنية، أو نوادٍ ليلية راقية،
أصبح يقبل عروضاً للعب المزيكا في الأفراح والحفلات العائلية.
وصل به الأمر أن وجد نفسه في فرح في الشارع في حي عين
شمس. يومها لم يجد أي تجاوب من الجمهور مع أي موسيقى
يشغلها، جرب حكيم، شعبان عبد الرحيم، حتى أغنية عماد
بعرور الأكثر شعبية وقتها "العنب" لم تؤثر فيهم. أحد الشباب
تقدم وطلب منه حاجة لدكتور حاحا، لم يعرف من هو حاحا.
فهز كتفيه متأسفاً وقال للشباب "مش عندي". بعد دقائق أتى
الشاب بفلاشة وطلب تشغيل مهرجان "خلاص يا دنيا انسي
حناني" لدكتور عمرو حاحا.

شغله أحمد فكان لقاؤه الأول بموسيقى المهرجانات.

حدث اللقاء الثاني بموسيقى المهرجانات يوم تنحي مبارك كان مع فرح يحتفلان بنجاح الثورة، وفي غمرة الزحام والضوضاء، وجد فرح ترقص وسط دائرة من الجمهور، أمام شاب أسمر، على أغنية من أغاني المهرجانات.

دهش أحمد مما رآه، وجه آخر من وجوه فرح لم يتوقعه. تشوح بيديها كأنها ممسكة بمطواة، تخوض معركة عنيفة مع شاب آخر وقف محاولاً مجاراتها. في البداية تكاملت حركات الاثنين، تميل فرح باتجاهه، تحرك ذراعها مفرودة لتشكال نصف قوس كأنها ممسكة بمنجل تحصد به الرؤوس، ينحني الشاب ليتفادى ضربتها. في العادة يُرقص المهرجان بالأسلحة البيضاء المتنوعة من المطاوي القصيرة وحتى السيوف المصنعة محلياً، رقصة المهرجان هي مزيج من أداءات الجسد في الفراش وعراك الشارع، في غياب الأسلحة تبدو الأيدي والأذرع كأنها أسلحة متخيّلة.

سرعت فرح من حركاتها، وبدلاً من قتالها الراقص المتخيّل مع الشاب الذي لم يستطع مجاراتها، ترقص الآن مع نفسها كمن يعارك شبحاً، عركة يتحرر فيها الجسد، وتترك فيها فرح المجال لطاقتها السحرية تنطلق في يوم انتصار الثورة المتخيّل.

نعطلت مفاوضات فرح مع عائلتها بسبب الثورة. أو كما
..فتها أمها بالنكسة.

والد فرح الرجل العسكري، طالب فرح بالعودة فوراً إلى
الاسكندرية مع اشتعال الأحداث. لكن فرح بصوت
مفرد ردت عليه "أسفة يا بابا". تبرأ منها في التلفون، لكن
في يوم حين شاهد الجمال تقتحم ميدان التحرير سافر
..إلى القاهرة. دخل الميدان وأصيب بالاشمزاز والقرف
..ما رآه. قابل فرح واطمأن أنها بخير، قالت إنها بعيدة عن
الأحداث وتعمل في المستشفى الميداني لأن هذا واجبها المهني،
لم يهتم إلا بسؤالها كيف تذهب إلى منزلها؟ فقالت إنها تبنت
مند صديقة تسكن في وسط البلد. وفي أثناء تمشيهما في وسط
الميدان أمسكت والدها من يده، وقالت وهي تقدمه إلى شاب
طويل اللحية يرتدي معطفاً أجرب "بابا دا أحمد اللي حكيت
لك عنه".

أخرج إسماعيل بيه من الموقف، وأحس بالخجل وكسرة
النفوس لأن ابنته فرضت عليه شروطها. صافح أحمد بقرف ولم
يرد على أسئلته أو الحوار معه. انصرف من المكان وعاد إلى
الإسكندرية، وقال لزوجته "عليه العوض ومنه العوض، البنت
ضاعت يا رب نلاقي أي حد يتجوزها انشالله الصايح اللي عايزه
لتجوزه". ولولت الأم وأخذت تحسبن وتحوقل وهي تقول
"يعني خلاص هنرمي البنت يا إسماعيل، دا بدل ما تقول

نشوف لها جوازة محترمة تسترنا" سكت إسماعيل محصوراً، لم يعرف كيف يقولها لزوجته، التي صرخت فيه وعاتبته لأنه أر من القاهرة من دون البننت.

ركب الذل ابن المؤسسة العسكرية، فابنته رفضت الانصياع له، ولم يكن بإمكانه سحبها أو جرّها من شعرها من ميدان التحرير كما طالبته الأم، لأن رفاقها بإمكانهم دفنه في قلب الميدان. هؤلاء ليسوا خونة، بل مثلما وصف لصديق له شياطين تحت تأثير المخدرات، لا يفكرون إلا في الجنس الجماع، والمخدرات تحت دعوى الحرية، وهؤلاء الشياطين ركبو الباطل خلاص. يعذبون ويقتلون ضباط الشرطة، بل شاهد بنفسه كيف يتناولون على رجال جيش الواقفين على أبواب الميدان، بالتالي فالحل الأسلم أن يزوجها بأسرع ما يمكن حتى يتخلص من عبثها ومن أي فضائح مستقبلية، فإن خسر ابنته على الأمل ليتخلص منها بطريقة شرعية ويتحمل مسؤوليتها رجل آخر. هونت عليه خسارته متابعة تدهور حال زملائه ورؤسائه، يخسرون كل شيء من مناصبهم القيادية في الجيش والشرطة، والدولة، وحتى نفوذهم وعلاقاتهم. فقال "قضا أخف من قضا".

هاتف بنته بعد تنحي مبارك. قال لها من تحت ضرسها "مبروك يا حبيبتي يا رب تكونوا مبسوطين، روحوا بقى إنتي وزمايلك". وقتها أحست فرح بحب لا نهائي تجاه والدها. عرفت بداخلها دائماً أنها دلعوته، لكنها الآن سعيدة باكتمال.

احترامه. فهو يحبها لا كدمية يملكها بل كابنته التي اكتشف
سواب أفكارها، ولم تصدق حين أخبرها أنه مستعد لأن "يقابل
اللي بتقول عليه أحمد، وعايز يفرح بيها ويجوزهم".

40

مشى أحمد بجوار كومة الزباله التي تزين منتصف ميدان
سليمان جوهر، ورمى كيس الفلوس الأسود. ذهب إلى قهوة
مطله على الميدان، جلس في الخارج مراقبًا المشهد. لم تمر
ثبقتان حتى وجد موتوسيكل عليه شابان يقترب من هرم
الرباله، ودون أن يتوقف الموتوسيكل مال الشاب الذي يجلس في
الخلف والتقط كيس أحمد الأسود، ثم انصرفا وغابا في الشوارع
الجانبية. لم يتحرك أحمد من مكانه، تظاهر بالثبات الانفعالي
حتى لا يلفت الأنظار، طلب شايًا وجلس في انتظار المكالمه.
لم يتأخر الهاتف عن الرنين. رقم مختلف. قال "الو". أتاه
صوت ذكوري:

- أول ما تقوم من القهوة وتخرج تمشي في الشارع اللي
يطلعك على شارع التحرير، مئة متر وستجد عربيتك.
نهض أحمد، حاسب على الشاي دون أن يشربه. وسار كما
أخبره الهاتف، من بعيد لاحت له سيارة "كيا سوداء"، سارع في
خطواته مهرولاً حتى وصل إلى السيارة. هدأ من خطواته حين
أقرب، كان جلد المقاعد من الداخل بلون أحمر مختلف عن

والنمور لجزرتي | 247

لون مقاعد سيارته. تيقن أنها ليست سيارته. نظر حوله فلم يجد أي سيارة كيا سوداء أخرى، بل لم يجد أي سيارة سوداء. حاول إيلاج المفتاح في باب السيارة لكنها لم تفتح، أحوه. خاب على سقف السيارة. رأى حارس عقار في الشارع ينظر إليه بريبة، فابتعد عن السيارة.

42

هاتفَ آخر رقم اتصل به، رن الجرس أكثر من مرة ولم أي رد. اتصل برقم خدمة السيارات المسروقة. رد عليه صوت المرأة الفلاحي بلهجتها الثقيلة ذات الأحرف الممطوطة في نهاية الكلمات. قال إن كله تمام، لكن فيه غلط، هذه ليست سيارته ردت عليه المرأة بزهق:

- أنت عايز إيه دلوقتي؟ مش عربيتك كيا سوداء؟
- آه.

- والعربية اللي قصادك مش كيا سوداء؟
- آه.

- خلاص خدها.

أعاد حديثه من البداية، إنها ليست سيارته، وإنها .. وإنه فأغلقت المرأة الخط. حاول الاتصال مرة أخرى فلم ترد، اتصل بالرقم الثاني، لم يرد عليه أحد. لا يعرف ماذا يفعل، وقف.

المرآة، ثم شعر ببلل على قفاه، وضع يده ليتحسس قفاه،
لمس لزج في أصابعه، سحب يده ونظر لأصابعه فشاهد
اللد أبيض لزج، قربه لأنفه وشمه، ثم رفع رأسه إلى أعلى،
حجرة كثيفة الأغصان، وعصفور يشخ فوقه فتسقط الشخة في
الأسفل.

الفصل العاشر

الألف معجزة

لذة الانتقام لا تكتفي بتحققها في المنتقم منه، بل تحتاج إلى الإشهار والإعلان.

شعرت فرح برغبة حارقة في إخبار أحد بانتقامها. فكرت أن أخبر نسيم لكنها:

1. خشيت أن يثير ذلك خوف نسيم، ويدفعه للتفكير.. إذا فعلت هذا في حبيبها السابق وزوجها، فما الذي يمكن أن تفعله بي؟ ونسيم طفل يحتاج إلى التشجيع وبث الطمأنينة لا الترهيب.

2. من المحتمل أن يغضب نسيم، ففي النهاية تربطه علاقة صداقة بأحمد.

3. ربما لا يجبذ التورط في سرقة سيارة صديقه.

4. أن يغضب لأنها أخفت عنه الأمر، فيظن أنها تعامله،
كخروف.

كلها احتمالات أدركت فرح منها مدى وحدتها. ما من
مستقبل لمشوارها مع نسيم رغم استمتاعها بالمسيرة. ودت لو
تخرج من المطار وتذهب لتحطيم السيارة، لكن حان دورها
في التفتيش، فشغلت نفسها في تخيل حيرة أحمد بحثًا عن
سيارته، في صدمته وبضانه حينما يكتشف الحقيقة، في ألم الفقد
الذي سيصيبه. ابتسمت فخورة وهي تعبر بوابة التفتيش، ظن
الضابط أنها تبتسم له، فسمح لها بالمرور دون تفتيش.

عاشت فرح لسنوات مؤمنة بقدرة التغيير السلمي.
تحمست في المظاهرات لهتاف "سلمية.. سلمية"، ثم رأت كيف
تهاوى السلمية وتفقد فاعليتها، بل بالأحرى ليست لها أي
فاعلية، ليست إلا كذبة كبيرة. فالعالم لا تبنيه النوايا والمشاعر
الطيبة. وفي الغالب، المشاعر الطيبة تنتج قطعاً من الحمقى.
قادرين على ارتكاب أبشع الجرائم.

شاهدت كيف تجرف الشعارات الكبرى الطموحات الخاصة،
والفردية، من رغبة فتاة في التعري إلى ولد يريد رفع علم
قوس قزح، كل هؤلاء ليس لهم مكان، ومع ذلك مطالبون
بالاصطفاف خلف شعارات الآخرين، وإلا اعتبروهم خونة. قالت
فرح لنفسها "كس أم دول ثوار". لكنها محاطة بهم، "هؤلاء هم

اهلي وجماعتي" علمت هذا. أرادت أن تشير لمواطن الخطأ والعطب لكن أدواتها في التعبير لم تسعفها.

لا القوة انتصرت ولا العدل الشريد. رأت فرح في مصر حالة من الانحدار الأبدي لا علاج لها. واعتقدت أن بقية العالم يغرق في سحابة من البلاهة يتقاسمها من الجانب الأيمن مجانيين الدولة القومية والدينية، ومن جهة أخرى عبيد المشاعر الإنسانية الذين يعبدون ميثاق حقوق الإنسان، ويعتبرونه الدستور لحياة الكوكب.

العالم أكثر تعقيدًا، والكوكب يواجه نقص الموارد، ومشكلات الطاقة، وغيابات الإنسان المعاصر الكفيلة بردنا إلى الخلف آلاف السنين. ثم استفاقت فرح من طوفان أفكارها على خيانة أحمد. أيقنت حينها أن الخطر الذي يهدد العالم قادر على الاقتراب من حياتها والنيل منها. وقفت في المرأة، ورأت في حكايتها انعكاسًا لحماقات الثورة والإنسانية واليمين وميثاق حقوق الإنسان، حينها قررت أن تتغير.

من اعتقدت دائمًا أنهم أشرار، من وصفتهم بالحقاقة، من ابتموا لها وحافظوا على تفاؤلهم، من حملوا الورد لتزيين المزهريات في المنزل، من مدوا الطرقات ورفعوا أعمدة الإنارة، من حملوا السلاح وأجبروا الآخرين على الانصياع للنظام، من فرضوا العدالة على الجميع رغم اعوجاج ميزانها، من كسبوا دائمًا لكن رموا الفتات والروث للبقية، من بسطوا أيديهم لها لكنها دائمًا انكشمت متوجسة من مصافحتهم، دون دليل إلا

خليط الآراء والأفكار المعادية التي تشبعت بها من الكتب والروايات.

ألا لعنة الله على الأدب، والتسامح والمغفرة. السعادة في قبضة فرح، حان الوقت لولادة جديدة، والعالم يتمدد وينفخ لها كزهرة، حتى إنها سافرت عبر الزمن.

سألتهما الضابط مسافرين فين. فردت نيوم. لاحظت أنه لا يرتدي ملابس الشرطة المصرية المعتادة، بل زيًا أنيقًا يمتزج فيه اللون السماوي بالأبيض لا يحمل أي نجوم أو نسور، على صدره لوجو داخله عبارة "أمن المطارات". قال الضابط لا طائرات، لنيوم اليوم. قالت لدي دعوة من فريد بيه للسفر على طائره خاصة. أشار الضابط إلى بوابة أخرى للطائرات الخاصة.

سارا إلى حيث أشار. انتهت فرح لأن رجال الشرطة يقفون خارج المطار، في حين المطار من الداخل يديره ويشرف عليه، أمن المطارات الذي بدا واضحًا عدم تبعيتهم للشرطة، وهو ما اعتبرته فرح إشارة جيدة لتغير المستقبل نحو الأفضل.

وصلا إلى البوابة، فوجدا في استقبالهما مضيضة جوية ترتدي زيًا زهريًا، وتحمل شاشة إلكترونية مكتوبًا عليها د.فرح إسماعيل الحكيم. انتفخ صدر فرح بالفشخرة. صحبتها المضيضة إلى صالة استقبال مطلية باللون الذهبي. استفسرت إن كانا تناولا الفطور فشكرها وقالت لا. سألتهم تحبوا الإفطار

هما أم على الطائرة. فقالت فرح المشتاقه للتخليق على الطائرة
افضل.

قدمت لهما المضيفة كأسين تحتويان على مياه ذهبية
انفثن بداخلها فقاقيع غازية، ثم صحبتهما إلى الطائرة، بينما
مامل آخر في ملابس وردية اللون يجبر حقائبهما.

مات والدها بعد زواجها بأحمد ببضعة أشهر. تدهورت
مالتة الصحية تدريجياً منذ تنحي مبارك وزواج فرح بأحمد.

بعد انتهاء العزاء، انصرف أحمد لبييت عند صديق له في
اسكندرية بينما ستقضي فرح الليلة في بيت الأسرة، وسط عماتها
و خالاتها. انفجرت أمها فجأة وصرخت فيها إنتي السبب.. إنتي
السبب قتلتى الراجل وفضحتيه وفضحتينا بجوازتك المهيبة،
ما ريتهم قتلوكي في التحرير وخلصنا منك. صدمت فرح من
هستيريا أمها، لكن الصدمات توالى.

بعد مشاركتها في الثورة وإعلان عزمها الارتباط بأحمد،
تغيرت معاملة أسرته، علاقتها بأمها لم تكن في أفضل حال دائماً
لكن ساءت أكثر. أختها الوحيدة أمل المتزوجة بضابط أمني
كبير قاطعتها في البداية وقالت لها، ازاي يا فرح تنزلى التحرير
وتشتموا الشرطة والجيش؟ إنتي شفتي حاجة وحشة من
حسن جوزي أو من عيلته، ما عيلته كلهم ضباط وفي الداخلية
والجيش، وباباكي ما ضابط في الجيش. فرح التي أصلاً لم تحب
الجدل السياسي اليومي وفضلت دائماً النقاشات السياسية
التاريخية الفلسفية على جدالات التوك شو، احتوت أختها،

وأخبرتها أنها لا تختلط بالتأكيد بمن يسبون الجيش والشرطة، وأن كل مكان فيه الكويس والوحش، وما يريد المتظاهرون أن يظهر الجيد داخل كل مؤسسة ويأخذ فرصته.

ظنت فرح أن التباعد مع العائلة سببه الخلافات السياسية، مثلما حدث في معظم الأسر المصرية وقت المد والانفعال الثوري لكن في العزاء تبدى لها أن البرود والضعينة منبعضهما زوجها بأحمد. أقنعت نفسها قبل ذلك بأن موافقة أبيها على الزواج بعد لقائه أحمد نتيجة اقتناعه بالتغيير والزمن الجديد والجيل، الصاعد، وبشخصية الاثنين، لكن أمام صراخ أمها فالحقيقة التي رفضت مواجهتها انفجرت كبصقة في وجهها، موافقة أبيها كانت على مضمض.. ليستر عاره.

سحبها أختها بعيدًا إلى حجرة أخرى في حين استمرت الأم في السب ولعن بطنها واليوم الذي لفظت فيه فرح. فرح المكلومة حزنًا على والدها، سألت بصوت مبحوح من البكاء هي تقصد إيه؟ إزاي تقول لي كدا.

الخالة حاولت تهدئة فرح، أما أمل التي تبكي في صمت، فلم تحتمل كبت غضبها هي الأخرى، وشرحت لفرح كيف أن الأزمة القلبية الأولى التي داهمت والدها كانت بعد رجوعه من التحرير، وأنهم عرفوا أنها كانت تبيت هناك مع أحمد قبل أن يتزوجا، واعتبروها ضاعت، وخافوا من الفضيحة ومن ألا يتزوجها أحد، فوافقوا على هذا الزواج.

قبل وفاته ظنت فرح أن والدها هو أجمل شخص في الدنيا وأحلى أب، ورغم خلفيته العسكرية وعناده احترام قراراتها وأرائها، لكن الآن اكتشفت أنها بالنسبة لوالدها لم تكن إلا فضيحة تتطلب الستر في أسرع وقت.

لم تخبر فرح أحمد بتلك الاكتشافات الجديدة. وبعد وفاة والدها، لم تزر الإسكندرية إلا مرات قليلة، في الغالب تذهب صباحًا لإنجاز شيء ما ثم تعود في المساء ولا تبيت هناك. أمها لم تعد ترد على تليفوناتها، فلم تعد هي تتصل، أو تهتم بالتواصل مع أي من أفراد العائلة، اللهم إلا أمل التي ترسل إليها صور أطفالها كل فترة.

امتلأت فرح بالسعادة ما إن دخلت الطائرة، فهي هي في المستقبل، وها هو المستقبل يرحب بها ويعددها بالمزيد. احتوت الطائرة في كابينة الركاب على ثمانية مقاعد فقط، لكن كل مقعد قابل للتمدد بحيث يصير سريرًا، جميعها مكسو بجلد بني وعليه شال من الصوف. أقلعت الطائرة، فمد نسيم يده نحو فرح، لكنها غطت نفسها بالشال وقالت: "سأنام قليلاً".
تمنت فرح لو كان والدها قد ركب مخه وزاد في عناده ورفض زواجها بأحمد. استعدت في ذلك الزمن للقطيعة المحتملة مع العائلة، لكن مدهانة أبيها، ورضوخه لقراراتها جعلها حقًا تعيد

اكتشافه وتحبه. والآن بعد وفاته حين صارتها أختها وأمه
بالحقيقة، اغتاضت أكثر من أبيها والحيرة التي أوقعها فيها
شعرت بالذنب لأنه أحبها فعلاً ولم يرد خسارتها، وبالتالي
ضغط على نفسه ومشاعره حتى انفجر ميئاً. سعت أختها
وأُمها لترسيخ إحساس الذنب داخلها في كل مرة تتصل به
أو تزورهما بعد وفاة والدها، ثم أخيراً انقطعت عن زيارته
في المنزل أو السؤال عنهما، حتى حين أتى العيد لم تتصل بأُمها
ولم تتصل بأُمها بها. وحين أكلها قلبها ثاني أيام العيد اتصلت
بأختها أمل، فعلمت منها أن أُمها أصلاً سافرت للحج دون أن
تخبر أحداً، وأنها تخطط للبقاء بضعة أشهر في المدينة المنورة
بصحبة خالتها التي تعيش في السعودية منذ سنوات، في رحاب
خير الخلق النبي المصطفى عليه الصلاة وأزكى السلام.

بسبب كل ما سبق لم تخبر فرح أي فرد من عائلتها بطلاقها
من أحمد. أختها أمل انتقلت منذ فترة مع زوجها إلى نيوم
زوجها ترك العمل في جهاز الأمن الوطني وحصل على فرصة
عمل أفضل في الجهاز الأمني لنيوم. أُمها لا ترد على رسائلها
على الواتساب إلا بصور الأدعية والآيات القرآنية التي يرسلها
برنامج الردود الآلية.

الإحساس بالذنب هو أكبر عدو للإنسان بعد الشفقة
تعلمت هذا الدرس بطريقة قاسية مبكراً حين كانت في
الثانوية العامة، وأحبت شاباً جامعياً أكبر منها يسكن في البناية
المقابلة. يلمحها من الشباك فيبتسم لها أو يلوح بيده.

فرح الجريئة حينما تريد لا تنتظر أن تأتي الأشياء إليها. رآته
مرة عند كشك السجائر، فتقدمت وطلبت التليفون المربوط
بالمسلة في الكشك، وتصنعت أنها تجري مكالمة هاتفية. كان
الشاب الجامعي يشرب الكوكاكولا ويتأمل ويعاين جسدها
الهنيل. أنهت مكالمتها، وصوبت نظرها إلى عينيه الخضراوين
الذين سحرتاها، ثم رفعت شاشة الموبايل في اتجاهه وهمست
في غفلة من البائع في الكشك: "دا رقمي على فكرة".

ظلت المكالمات الهاتفية بين الاثنين تمتد على مدار الأيام
التيالية، تجاوزا التعارف إلى "اوصفي لي لابسة إيه". لكن فرح
أبدًا لم تستجب لدعوته لزيارته في منزله، حتى تصنع التعب
والإرهاق وأنه مريض ولا يستطيع مغادرة الفراش. وبدافع
الشفقة والإحساس بالذنب تسللت فرح إلى البناية المقابلة.

زئقها الولد، وركبها وفتحها دون إرادتها. تألمت فرح
في هذا اليوم كثيرًا، لا بسبب الجرح بين فخذيهما فقط، بل
بسبب كذبه عليها، فلم يكن مريضًا حين زارته، كانت ضحية
إحساسها بالذنب وشفقتها تجاهه، رغم إعجابها وحبها، لكن
بعد ما حدث كرهته فرح وكرهت كل الأعين الملونة. انتظرت
حتى أتها الدورة الشهرية وتأكدت من أنها ليست حاملًا، ثم
كانت هي التي بادرت بإنهاء علاقته، وبعدها بشهور انتهى
العام الدراسي واختفى الطالب الجامعي وعاد إلى قريته.

لذا حين تعرفت فرح إلى أحمد، أجلت وتهربت من
الممارسة الكاملة معه، وحين حدث انكشفت على نفسها،

تقمصت الضحية، صارحته بأن ما حدث لم يكن بموافقتها. أدرفت الدموع وغضبت. مارست لعبة الحب وابتزت مشاعره، أمسكت قلبه بقفاز الشفقة وقيدته.

مع أحمد أدركت أن الحب يحتاج إلى الذكاء لإدارته. والهندسة العاطفية للاستحواذ على المحبوب. وهنا خدمها الكتب والموسوعات والروايات التي ضيعت وقتها في قراءتها. فبملاحظة الخلفية الطبقيّة والتجربة الفردية لأحمد أدركت أنه مثل أي ذكر مصري لن يتقبل أنها ليست بكرًا، بل لربّما خسرت استحواذها على قلبه، لكن لو أقنعتته بأنها عذراء، وأن أول تجربة جنسية لها، فتلقائيًا ستزرع بذرة الإحساس بالذنب داخله، وستنمو شجرة الشفقة والذنب قوية لتربطه بها.

كل شيء سار على ما يرام كما خططت، حتى تعفنت تربته الحب بدافع الملل، وبركود الثورة وتحولها إلى بركة ضلح. ركدت كذلك فورة الحب بين فرح وأحمد، حتى أتت رياح الشهرة والمال والنجاح فلوحت نظر أحمد بعيدًا.

تنظر فرح من نافذة الطائرة، فتلوح نظرها عجائب نيوم المنيرة، تبصر حيتانًا تحلق بانسيابية في السماء، ترى حدائق تتبعث منها فراشات بركانية، أسرابًا من الزنابير الخضراء تحرس المباني الحيوية، زنابق عظيمة فوق أسطح البنايات تولد الكهرباء من الشمس، ديدانًا من القطارات تسير في أنفاق تحت الأرض، طوافات تحلق على ارتفاعات منخفضة فوق الرصيف، أشجارًا على هيئة نخيل، ونخيلًا على هيئة أعمدة.

إضاءة تعمل بالطاقة الشمسية، أبراج اتصالات وإشارات تنتصب برأس يحمل مصابيح حمراء، صناديد بأعين لا تنام، غيلانًا بعين واحدة راضخة لقوانين المرور، طفلاً يبكي فتنفجر المياه من تحت كعبيه، ناقة تخرج من صخور الجبال، قمرًا مشقوقًا إلى نصفين، نارًا مشتعلة في قلب ميدان لكنها برد وسلام، نجومًا مجففة محفوظة في صناديق عرض زجاجية، نينياً صينياً بثلاثة رؤوس على كل رأس تاج من الذهب، متاحف تمتلئ بالعجائب ولا تروي أي حكاية، إقليمًا على هيئة دولة، ودولة بلا خيال جمعي، امرأة تلد ربتها، مراعي خضراء للإبل، وملاعب أكبر للجولف، رعاء البهم يتناولون في البنيان، ثلاث نجومات مجوسية، شوارع منظمة في مصفوفات هندسية حضارية، قبابًا زجاجية تحيط بمساحات شاسعة من الحدائق النباتية الاستوائية، أعمالاً فنية ومنحوتات تنتصب في ميادين واسعة يضيئها الليزر...

تخلق من النافذة في أشكال هندسية وألوان وأضواء لا تعرف لها اسمًا. تظهر المضيئة وتطلب منهما ربط أحزمة الأمان، وإنجليزية تضيف "أهلاً بكم في نيوم" مدينة المستقبل ومستقبل المدينة والألف معجزة.

الفصل الحادي عشر

شوربة الطمانينة

ركبت فرح السيارة، فرحبت بها بالإنجليزية، ثم طلبت منها تأكيد الوجهة "معمل البحوث الطبية الميتافيزيقية". ظهرت خريطة مسار الرحلة على الشاشة أمامها. أكدت العنوان، فتحوّلت الشاشة لتعرض دعاء السفر باللغة العربية، ثم انطلقت سيارة أوبر ذاتية القيادة.

يدار نظام المواصلات في نيوم أليًا بالكامل من خلال الروبوتات، ولا يسمح بوجود العنصر البشري إلا في عمليات صيانة شبكة قطارات "الهيبر لوب" أو صيانة السيارات ومراقبة مساراتها. جميع سيارات التاكسي وأوبر في نيوم ذاتية القيادة.

اختنقت فرح في هواجسها، نظرت من النافذة فشاهدت الشمس تشرق على نيوم، والروبوتات المسؤولة عن نظافة المدينة تنتشر في الشوارع، تمسح الأرصفة والطرقات. من منزلها حتى معمل البحوث، لم تشاهد فرح أي عنصر بشري، فقط روبوتات متعددة الأشكال والمهام، وآلاف من كاميرات المراقبة والفحص والتحليل.

ورأت فرح ذلك حسنًا.

استبشرت خيرًا بالندى والنسيم في الجو. طلبت فتح نافذة السيارة واستنشقت الهواء البارد. هذه النسمات الصباحية هي كل ما يمنحه الطقس الطبيعي لنيوم، فبعد ساعات من اكتمال شروق الشمس سترتفع درجة الحرارة والرطوبة وسيصير الخروج من التكيف عذابًا.

في داخل فرح جَمُر من القلق. مر شهران على وجودها في نيوم، وكل شيء في سعادة ومثالية لم تتخيل وجودها مطلقًا على سطح الكوكب. لكنها لاحظت تأخر وغياب عاداتها الشهرية. شكت أنها حامل واحتارت كيف تدحض شكوكها.

تمنع قوانين نيوم وجود الأطفال تحت سن الثلاث سنوات، كما تحظر الحمل أو الولادة في نيوم. ورغم تطور المستشفيات والمؤسسات الطبية والبحثية في نيوم، لا توجد مستشفيات ولادة ولا توفر نيوم أي رعاية لحديثي الولادة. تباع الصيدليات اختبارات منع الحمل، لكن جميعها متصل بشبكة اتصالات نيوم الخاصة، ونتائج التحاليل يتم إرسالها إلى إدارة الحجر

الصحي فوراً، وإن ثبت حمل صاحبة الاختبار ولم تبلغ خلال ثلاثة أيام، فسوف تتدخل إدارة الحجر الصحي لحجرها صحياً، وترتيب تخارجها من عملها وترحيلها خارج نيوم.

في بداية وصولها، أعجبت فرح بمسألة شبكة المعلومات الصحية. فمثلاً جميع الحمامات مُتصلة بالشبكة. في كل مرة يدخل فيها مواطن للتبول، سواء في منزله أو في مكان عام، يتم تحليل شخته فوراً، وإرسال البيانات إلى الكمبيوتر المركزي للإدارة الصحية، لتلافي ظهور أي أمراض أو أوبئة، وللتدخل السريع لعلاجها. هناك طبعاً بعض الاستخدامات الأخرى، فالمباول والحمامات العامة في البارات تقيس نسبة الكحول في البول، وإن استشعرت ارتفاع نسبة الكحول بأعلى من المسموح به، تبليغ المبولة البارمان لكي يتوقف عن تقديم الكحول لك. كل نَفَس وكل شخة مرصودة في نيوم، ويتم تحليلها ومُعالجة كل تلك المعلومات للوصول إلى أفضل الطرق والاستراتيجيات لتطوير الحياة في نيوم، والحفاظ على صحة العاملين فيها. كانت هذه من الأسباب التي دفعت فرح سريعاً لاتخاذ نيوم وطناً جديداً لها. لكنها الآن وقد شكت في حملها لم تدر أين تذهب، تريد أن تعالج توترها، أن تحسم الشك باليقين مع الحفاظ على سرية النتيجة. وبالطبع ففرح تريد أن تظل في نيوم وألا يتم ترحيلها.

حادثت نفسها وهي تخطو من بوابة المعمل. "لو كان بيبي فأكيد لسة في الأسابيع الأولى، وهالاقى وسيلة أعمل إجهاض، حتى لو خرجت رجعت مصر إجازة قصيرة وجيت تاني".

في مدخل المعمل سألها الروبوت إن كان لديها موعد، ردت بالإنجليزية "نعم مع ماما كريمة". رد عليها ليس لدي أحد بهذا الاسم. تداركت فرح فقالت: آسفة د.كريمة هيجل من فضلك. أضاءت عينا الروبوت باللون الأحمر، وجاوبها د.كريمة هيجل تنتظرك.

انفتح من الحائط خلف الروبوت باب لم تلاحظه عند دخولها، يكشف عن ممر لولبي.

انتهى الممر بباب أزرق بكاميرا وشاشة كمبيوتر مُلتصقة بالحائط، تظهر عليها عبارة ترحيب بفرح، وتطلب منها تأكيد هويتها، مسحها الكاميرا فانفتحت الباب.

دخلت قاعة دائرية واسعة تتوسطها نار تشتعل بالحطب، تعلوها طنجرة سوداء ضخمة بارتفاع متر تقريبًا. تضيء النيران القاعة، والزوايا تنيرها إضاءة صفراء. عن يمينها أربعة أسرة طبية، على أحدها استلقى رجل يرتدي نظارة رؤية افتراضية، وبجوار السرير جلست على كرسي ماما كريمة ترتدي نظارة مشابهة. وقفت فرح محتارة تتأمل القاعة وتحاول تبين محتوياتها. ميزت عدة أرفف تعلوها برطمانات وقناني مختلفة الأحجام والأشكال، بعضها يحتوي على نباتات وأعشاب مجففة أو تسبح في سوائل شفافة نفاذة الرائحة، بعضها احتوى على

انسجة حيوية محفوظة في فورمالين مخلّق بالنانو تكنولوجياي.
للقاعة رائحة كرائحة محلات العطارة القديمة.

مرت دقيقة وفرح لا تعرف ماذا تفعل، فكرت في التنح
لكن قبل أن تحسم قرارها تحركت ذراعاً ماما كريمة ونزعت
النظارة عن رأسها، وبابتسامة واسعة نظرت تجاه فرح.
- فزوحة، يا أهلاً وسهلاً.

قامت من الكرسي، عانقت فرح، ثم أشارت لطاولة
اجتماعات صغيرة في الزاوية الأخرى من القاعة، وطلبت منها
انتظارها.

ثوانٍ وسأنضم إليك. قالت ماما كريمة، وهي تنزع النظارة
عن وجه المريض الآخر.

جلست فرح على كرسي خشبي، وضعت حقيبتها أسفل
الطاولة الدائرية، راقبت ماما كريمة وهي تمسك بمعصم المريض
تقيس نبضه ومؤشرات الحيوية. وجه الرجل ليس غريباً،
لكن لم تسعفها ذاكرتها بأي تفاصيل سوى تلك الألفة تجاه
ملامحه. بعدما انتهت ماما كريمة من فحص الرجل اتجهت
لكومة حطب بجوار نار الطنجرة، تناولت قطعتين من الخشب
وألقت بهما في النار، ثم اتجهت لفرح تسألها إذا كانت ترغب
في شرب شيء ما. شكرتها فرح، لكن ماما كريمة توقفت أمام رف
آخر وصبت كوبين من الماء وحملتهما إلى فرح.

وضعت الكوبين على الطاولة وجلست أمام فرح. بحماس استمرت ماما كريمة في الترحيب بفرح، سألتها عن جيوبها الأنفية وما إن كانت لا تزال تعاني من احتقانها. شكرتها فرح وقالت إن العلاج الذي منحتها إياه سحري، ومن يومها لم تعان من أي احتقان أو صداع. ضحكت ماما كريمة وقالت إنه سحر بالفعل.

منذ قابلت فرح ماما كريمة أحست بود وحميمية خاصة تجاهها، تتشارك الاثنتان في سر لا يجوز الإفصاح عنه. سر ولد في تلك الدقائق التي رقصتا فيها معًا على الرمال تحت القمر، رقصة النمرور التي تماثلت مع العناق الأبدي لنجمي الشعري اليمانية.

وهنا في نيوم فردت ماما كريمة ذراعيها لفرح، ميزت فرح من اللقاء الأول بماما كريمة مدى النفوذ الذي تملكه. فعلاقتها ونفوذها أعلى بمراحل حتى من فريد بيه الذي أدخلها لعالم نيوم.

لم تكن هذه الزيارة الأولى لفرح إلى معمل ماما كريمة، لكن في المرات السابقة كانت تلتقيها في قاعة أخرى بصحبة مساعدين شباب من جنسيات مختلفة، أجروا لها العلاج الحيوي لتجديد الشعيرات الدموية في جيوبها الأنفية. أشارت ماما كريمة للمكان من حولها وقالت لفرح إن هذا الجزء هو مملكتها الخاصة ومعملها الفريد، وليس مسموحًا لأي شخص حتى من العاملين في المركز بالدخول إليه. لكن لفرح معزة

خاصة في قلبها. أخبرتها ماما كريمة أن لديها قدرة خاصة على استشعار البشر الذين يمتلكون مواهب فريدة، ومنذ قابلتها في الكامب في سيناء علمت بشأن لمستها السحرية، وتأكد هذا حين تمكنت فرح من علاج فقرات ظهر الأمير، والآلام المزمنة التي عانى منها في رقبتة وكتفه.

تورد وجه فرح خجلاً من مديح ماما كريمة، لكن الأخيرة لم تتوقف، أكدت لها مدى سعادة سمو الأمير ولي العهد بوجودها ضمن الفريق الطبي الملكي، وأن لديها فرصاً عظيمة لتطوير مهاراتها. "أنتِ لديكِ موهبة عظيمة يا فرح، لكن لا يجب الاكتفاء بالموهبة فقط. سأصاركِ بسر، أنا أنتظر اكتمال الفحص الأمني لكِ، لكي أقدم لكِ عرضاً أن تلتحقي بالعمل معنا هنا في المركز. يمكننا أن نساعدكِ على تطوير معارفك ولمساتك، لكي تصل إلى مستويات غير متوقعة، ولا يمكنك تخيلها".

ابتهجت فرح بعرض ماما كريمة، وشكرتها. ثم في تردد سألتها:

- شرحتي لي سابقاً أن المعمل هنا والمستوصف العلاجي الملحق به ليس مرتبطاً بشبكة المعلومات الصحية والأمنية في نيوم، هل هذا صحيح؟

"إلى حد ما" أجابت د. كريمة وعلى شفقتها نصف ابتسامة، ملحت ما تفكر فيه فرح فقالت "هل لديكِ سر ترغبين في إخفائه؟"

رمت فرح ما في جعبتها، فليس لديها حل آخر:

- الصراحة، أنا شايقة إن نيوم هي المستقبل. حياتي فيها فرصة لولادة جديدة، ومش عايضة...

تلجلجت الكلمات على شفتي فرح. عضت شفثها السفلى فانطبع الروج الأحمر على أسنانها البيضاء. خمنت ماما كريمة ما سوف تقوله، لكن ظلت صامتة وعيناها مثبتتان على فرح التي نطقت بعد تردد:

- أنا أعتبرك صديقتي الوحيدة هنا ومرشدتي، لذلك أتيت إليك. أنا شاكة اني حامل.

مدت ماما كريمة يدها لكتف فرح، وربتت عليها "لا تقلقي يا فروحة".

سحبت ماما كريمة فرح لسرير بجوار سرير الرجل الذي لا يزال ممدداً على ظهره نائماً. طلبت منها خلع الجيب التي ترتديها. فكتها فرح. كانت ترتدي فوقها قميصاً أبيض وجاكت بدلة رسمياً خلعتة هو الآخر ثم استلقت على السرير. من وحدة أدراج طبية بجوار السرير سحبت ماما كريمة جهازاً في حجم كف اليد، يتصل بسماعة طبية. تناولت زجاجة تحتوي على جل طبي وضعت جزءاً منه على معدة فرح وقالت لها.

- لن نستطيع استخدام شرائط اختبار الحمل، لأنها كما تعرفين متصلة بشبكة معلومات نيوم، لذلك سوف

نتبع طريقة تقليدية أخرى، باستخدام هذه السماعه
المكثفة.

نبضات قلب فرح تدق بعنف يؤلم ضلوع صدرها. أمعاؤها
تتلوى. لن تترك نيوم لأي سبب، هذا قرارها.

وضعت د. كريمة السماعه على بطنها، سمعت فرح طيننا
عاليًا يصدر من الجهاز، ثم أصوات دقات قلب متسارعة.
ابتسمت ماما كريمة. ونظرت إليها، قبل حتى أن تنطق د.
كريمة أدركت فرح ما هذا.. نبض الجنين في بطنها، صوت
الحياة.

"لدينا بيبي" قالت ماما كريمة، فسالت الدموع على وجنتي
فرح مفسدة مكياجها.

مع صعود زمن الآلة والعلم التجريبي القائم على المراقبة
والمعاينة، نحتت أنوار الحداثة الأوروبية معارف الشعوب
الأخرى التي شيدتها، عبر وسائط متعددة وأساليب ليست
خاضعة لحسابات الربح والخسارة.

من الظلام ظهر فرسان مثل ماما كريمة، شيدوا جسورًا بين
العالمين.

معارك ماما كريمة متعددة المستويات ومتشعبة. فلقد استقر
الأمر في الاقتصاد الطبي العالمي على استحواذ الطب التشريحي
ومؤسسات العلاج وشركات الأدوية الكيماوية والجيئية، على

والنمور لـحجرتي | 271

النصيب الأكبر من الكعكة. بينما نُبذ الطب الشعبي والنبوي والسماوي والميتافيزيقي إلى ظلام الاقتصاد غير الرسمي، دور مؤسسات ترعى وتُراكم معرفة الطب الميتافيزيقي، أو تمنح الشرعية للعاملين فيه.

اختلطت الحقيقة بالوهم، والوقائع بالاحتيال.

لكن رؤية الأمير ولي العهد وسمو الملك حفظه الله لمملكة، المستقبل، قامت على ثنائية الأصالة والمعاصرة. وفي كل مشاريعهم يظهر المزيج بين تقاليدنا العربية الإسلامية العريقة، وعلم المستقبل الذي ينمي الإنسان والمجتمع. فالحمد لهما حمداً كثيراً.

لم تقاطع د. كريمة بكاء فرح. أزاحت السماعة المكثفة، خلعت معطفها الطبي وحذاءها، جلست بجانبها على السرير واحتضنت فرح. الأخيرة تشبثت بحضنها ودفنت رأسها بين إبط وصدر ماما كريمة، وتركت دموعها تجري وصوت نحيبها يعلو..

أتت فرح إلى نيوم محملة بالتوجس والحذر، ومع كل يوم يمر على وجودها تشعر بالمسافة تتسع بينها وبين نسيم. ولجأت فرح علاقتها مع نسيم وفي ذهنها أنها علاقة قصيرة بهدف المتعة والتداوي من جروح تجربة طلاقها، لكن الرحلة التي انطلقا فيها بذلك الهدف انتهت في مدينة الألف عجيبة.

وبعد أول شهر أصبحا يقيمان في المنزل ذاته، وأحست بأن مباتها الجديدة التي ترغب في تأسيسها فرضت عليها شريكًا لم تختره ولا تعرف كيفية التخلص منه، فتضاعف إحساسها بالوحدة. حتى أختها التي تعيش في نيوم قابلتها مرة واحدة فقط، ثم تهربت منها بدعوى أنها تقيم على الطرف الآخر من القطاع، لكن السبب الحقيقي الذي حرزته فرح أن زوجها بالتأكيد أخبرها أن أختها بتاعة مشاكل وأكيد جاية تخرب علينا هنا. مع هذا رأت فرح في وحدتها قوة، أو هكذا ظنت حتى استمعت لنبض البيبي، فانهار البنيان الوهمي الذي شيده عن نفسها.

أما في حزن ماما كريمة، فرأت بنيانًا يرحب بها، لفتت حولها ذراعيها وأحاطتها بساقها. وبين البكاء ومحاولة استجماع شتات مشاعرها المضطربة غفت فرح وراحت في النوم.

استيقظت فرح عارية، وشرشف أبيض يغطيها.. فتحت عينيها فشاهدت الطنجرة الضخمة وصوت سائل داخلها يغلي. نظرت بجانبها فأبصرت د. كريمة هيجل تربط طوقًا حول رقبة المريض النائم بجوارها. ومرة ثانية ألحت ذاكرة فرح عليها بأنها تعرف هذا الشخص. لم تفلح في تذكر من يكون.

"حمدالله على السلامة" قالت د. كريمة.

اعتدلت فرح وهي تسحب الملاءة حتى لا ينكشف صدرها وقالت "الساعة كام؟ أنا نمت كثير؟ أنا عندي شغل النهاردا". أسكتتها ماما كريمة وقالت لها لا تقلقي يا صغيرتي.

أنت ماما كريمة وجلست بجوارها. من عيني ماما كريمة خرج حنان وطمانينة شملت فرح. أمسكت ماما كريمة بكف يدها، ثم أخبرتها "أجريت بعض التحاليل السريعة وأنتِ نائمة، في الغالب لدينا طفلة جميلة في الداخل"، أشارت إلى معدتها وأكملت "غالبًا أنتِ بين الأسبوعين السابع والثامن، لكن كمان التحاليل بتقول إن البنث ورثت منك لمستك السحرية، بيسر رأيت مخيض النور مُتسرّبًا منك إليها. فرح، ما تملكينه خاص ونادر جدًّا، وهذا الجنين ورثه منك. قرار الاحتفاظ بهذا البيبي يعود إليك وحدك بالطبع، وأيًا كان قرارك فسأكون بجوارك وسأدعمك. الآن أنا أعرف أنك تخافين من الطرد خارج نيوم وفقدان ما بدأتِ في بنائه هنا. لكن أنتِ وهذا الطفل تحملان فرصًا ثمينة لتطوير العنصر البشري في نيوم. إن قررتِ الاحتفاظ بهذا الجنين، فيمكننا الحصول على موافقة استثنائية من مجلس الشورى الأعلى ومن سمو الأمير ببقاء الجنين، والموافقة على ولادته إن سمحتِ لنا بفحص الجنين وبالتدخل لمساعدته ومساعدتك على أن تكونا أفضل".

سحبت فرح يدها من كف ماما كريمة. وضعتها على بطنها من فوق الشرشف. خلال الفترة الماضية عرفت المعاني الخفية للغة الطبية في نيوم. فما تعرضه ماما كريمة أن تتحول هي والجنين إلى حالة معملية ضمن مشروع إنسان المستقبل، الذي

نعرف بين العاملين في القطاع الطبي بالسوبر مان. فتمنية الإنسان هي أهم أهداف نيوم، لكن الإنسان الحالي ذا الجسد الضعيف المليء بالأمراض والاحتياجات غير مناسب لتطور نيوم، لذا تمنح نيوم جنسيتها فقط للروبوتات ولقائمة مختارة من البشر ذوي القدرات الخاصة أو الدم الملكي. ولأن نيوم خارج القوانين الدولية والمحلية فالتجارب جميعها مسموح بها دون أي مراجعات فلسفية أو أخلاقية، الأمر الذي حول نيوم إلى جنة للبحث الطبي والجيني.

فرح المؤمنة - بإخلاص وتطهر - بالتقدم، والمحتقرة العميقة للفلسفات الأخلاقية التي تعوق العلم وتقدم الإنسان، كانت من أشد الناس حماسًا للبيئة العلمية التي توفرها نيوم، بل إن إيمانها بنيوم ينبع من المكانة الخاصة والحرية المطلقة (تحت رقابة سلطة الأمير بالطبع) المتاحة للبحث العلمي من مختلف التخصصات والمدارس. لكن الآن حين تلقت عرضًا بأن تكون هي وجنينها تجربة من تجارب هذا العلم، علمت أن اللي إيده في النار مش زي اللي إيده في المياه.

سألته فرح ما هي التعديلات الجينية التي تفكر في إدخالها للجنين، فقالت ماما كريمة إنها لا تعرف بعد، لأنهم بحاجة لإجراء مزيد من المسح والتحليل، لكن تعرف أن الأمير والمجلس لن يوافقوا على ولادة الطفل هنا إلا إذا سمحت فرح بتعديل مجموعة جينات الشيخوخة تحديدًا Tmem106b ومجموعة بروتينات جين FOXO. أكدت لها د. كريمة أنه لا خطر من هذه التعديلات، وأنها سوف تمنح طفلها شابًا

طويلاً وستؤجل الشيخوخة، ولا خطر منها لأنها بالفعل تم تجربتها. ثم انحنى على أذن فرح هامسة "أنا شخصياً أعرفه، أطفالاً من العائلة الملكية تم إجراء تلك التعديلات عليهم، وولدوا أصحاء وينمون بنحو أفضل من الممتاز".

طلبت فرح مهلة للتفكير، فقالت لها ماما كريمة "بالطبع يا حبيبتي"، لكن حذرتها أن أمامها أقل من عشرة أيام لتحسم قرارها. وقبل أن تنهض ماما كريمة لتتيح لها ارتداء ملابسها سألتها "من يكون الأب؟".

ضمت فرح الملاءة إلى صدرها وقالت "مش مهم، لا أحد". ابتسمت ماما كريمة وأدارت لها ظهرها واتجهت إلى النار والطنجرة.

بينما فرح ترتدي ملابسها، راجعت ذاكرتها. لم تمارس الجنس مع نسيم ولا مرة من دون الكاندوم إلا مرة واحدة حين ناما داخل آلة الزمن في سيناء. لكن قبلها بأيام مارست كذلك الجنس مع أحمد من دون كاندوم.

حسمت قرارها. هذا الطفل طفلي أنا وحدي . نسيم لا يمكن الاعتماد عليه كأب، ولا تريد لرابط يجمعها معه. هي أصلاً ترغب في الخروج من هذه البركة الضحلة. أما أحمد فكس أمه طبعاً، هو والقاهرة وكل هذا الماضي.

لبست حذاءها، حانت منها التفاتة إلى المريض النائم
..موارها. فجأة كجردل مياه بالثلج يسقط عليك من السماء،
..أرت من يكون المريض وأين رآته.

تذكرت حفلة عيد ميلاد نسيم في منزله، كانت مع أحمد
..هان في البلونة مع نفر من أصحابهما. أرادت أن تشعل
.. بيجارة، سألته إن كانت معاه ولاعة، فجاوبها بمنتهى "الجتلة"
..لمعا يا مدام.

صفق بكفيه، ضمهما معاً وفرد إبهامه فخرجت شعلة نار
.. ه، أشعلت سيجارتها، وعرف نفسه بأنه سام خال الساحر
..جدي.

التفتت إلى ماما كريمة، رأتها تمسك ملعقة ضخمة وتقف
..امام الطنجرة تقلب ما بداخلها. كادت تسألها ما الذي يفعله
..الخال سام هنا؟ لكن خاطرًا همس داخلها ألا تفعل. خاطر
..ذاته الذي جعلها تستغرب كيف سقطت في ذلك النوم العميق،
..وما نوع التحاليل والفحوص التي أجرتها عليها د. كريمة دون
..أخذ رأيها. هكذا الشك ينبت وسط الطمأنينة، وفرح لسعتها
..نار شورية الطمأنينة سابقًا، لذا قررت الاحتفاظ بما تعرفه
..لنفسها.

الفصل الثاني عشر ابنتي

إلى ابنتي الحبيبة،

ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا ماذا سيصنع الغد...
لكِ كتابي هذا، أتمنى أن يصلكِ وأنتِ لا تخافين المستقبل، ولا
مضطرة للهرب من الحاضر. أي شيء آخر لا يهم. لا العدل
الشريد ولا وهم السعادة.

الكتب المقدسة في العالم القديم تقدم حقيقتين:

- الثانية: يحدث الماضي والمستقبل في اللحظة ذاتها في اليونان منذ آلاف السنين. يذهب الموت بالإنسان إلى الحياة الأخرى في العالم السفلي الجحيم ليست حدثًا في المستقبل، بل قائم في مكان سفلي. عالم خفي. واقع خلف حجاب.

في الإسراء والمعراج يرتفع النبي ويشاهد الجنة والجحيم، بل ويعاين مَن يعدَّبون فيها من قبل حتى أن تقوم القيامة. لم يسافر النبي عبر الزمن. بل إزاحة في المكان.

لا تتحدث أدبيات الماضي عن السفر في الزمن، بل عن الإزاحة في المكان.

الوقائع كلها حدثت، وتحديث، وستحدث في اللحظة، ذاتها لكن في مواضع مختلفة، من المكان الواحد.

- الأولى: أنه عالم مكتوب من قِبَل الذكور إلى الذكور. احذريهم!
الذكور أخطر الكائنات. كما تلاحظين في الكتب المقدسة تلهج أسنة الذكور بذكر الآلهة المذكورة، وتتوجه بخطابها إلى ذكور الأرض. انتبهي. لا يخاطب الذكور إلا أنفسهم.

أنا جئت من زمان آخر يا حبيبتى. ولأن الزمن إزاحة في
الزمان، فيمكن أن تعتبره مكانًا آخر. من حيث أتيت، يتمدد
الزمان أم مثل ثعبان في الصحراء. الثورات تفشل، والحب يضمحل
بغيا، وأوهام وحشية تسود العقول.

إخلاصنا الثوري كان بلا
جدوى. حماسنا للعدالة
ونقاؤنا حماقة أكثر منها
عفة.

- مصر صورة السماوات،
أصبحت مهجورة، موحشة،
يحتلها مذعورون ينكرون
كل مقدس وكل قيمة.
- البلد الزاخر بالمعابد
والأضرحة، أضحى مليئًا
بالجثث والمآتم. النيل
خضبته الدماء، والمياه
فاضت بالقيح والصديد.
- البلاد التي علمت
الروحانية لكل الكائنات.
هذه البلاد تفوقت على
الجميع في العنف. تجاوز
عدد الموتى الأحياء.

أنتِ ابنة الإزاحة في المكان،
بالتالي ابنة زمان آخر.
لم أخدر ذاتي وأرض بالأمر
الواقع. لم أدعُ النمرور
لحجرتي، وأقول تكفيني
قطتي ومزاجي وحمامتي
وحمداً لله على سلامتي.
عبرت بكِ إلى المستقبل،
وعبرتِ بي إلى هنا.
في نيام كفرت بالمساواة
والأيدولوجيا. قدمتكِ
أضحية للبيولوجيا
والمستقبل.

- لم يبقَ من لحظة الحلم
الثورية سوى لغو فارغ.
لم يعد يلقى تصديقًا من
أبنائك أنتِ نفسكِ يا
مصر، ولم يبقَ شيء عن
حكمتك إلا على شواهد
القبور القديمة، وجدران
المقابر الملكية.
- تعب الناس من الحياة
فيك. وكفوا عن رؤية
الكون كشيء جدير
بالإعجاب المقدس.
- أصبحت الروحانية
والإنسانية عبئًا ثقيلًا،
والإيمان بهما يثير احتقار
الغير وتككيل المجتمع.
- لم يعد العالم معجزة
جديرة بالحب. كل صوت
غير صوت رنين الفضة
والرصاص أجبر على
الصمت.
- لا عالم أفضل. بل عالم
تتصارع مكوناته وكتابه
بعضها مع بعض، وهما
الصراع هو دينامو التقدم
البيولوجيما ستنتصر
الجينات التي منحتها
لكِ هندسة المستقبلا
ومعرفته، هي خطأ
لصناعة إنسان الغد. وأنتِ
المستقبل يا حبوبتي
معركتنا الوحيدة مع
الذكور. يحكمون الماضي
ربما. لكن المستقبل لنا
مؤكد، سنتمكن من
التوالد ذاتيًا، وسينهار
بنيان خرافة ضرورتهم
ستكونين فريدة، هكذا
سميتكِ .
- من أم واحدة كما يليق
بنصف بشري ونصف إنسان.
مستقبلي .

<p>ستقول عائلة ملكية إنك ابنتها، لكن لا آباء لك. لست مثلهم ولا ابنة ذلك الشعب البعيد.</p> <p>اصطفيتك من كل الجينات التي وضعوها أمامي في ثلاجة المعمل. منحتك اسم أميرة، واختلقت لك نسبًا حتى تكون لك آية. وآيتي ألا أكلم بعد اليوم إنسيًا.</p>	<p>فضلت الظلمة على النور، ولم تعد الأعين ترتفع إلى السماء.</p> <p>كل صالح دمع بالبلاهة، وكرّم الفاسق كأنه حكيم. والأحمق كأنه شجاع. واعتبروا الفاسد من أهل الخير.</p>
---	--

عزمي أقل من طموحي. وجسدي أوهن من إرادتي. لكنني
جعلت من جماجم هزائمي سلماً لك.

الحياة التي تركتها خلفي لم تكن لتمنحك سوى الرضوخ
لاستغلال ذكور يديرون العالم، من حيز يمتد بين قضبانهم
وأخرام إستمهم. أو أن تخرجني إلى العبودية الحديثة حيث
يوهمونك أن العمل الدائم والمستمر من أجل لقمة العيش
هو معنى الوجود، ويبيعون لك مخدرات وهم تحقيق الذات.

ابنتي الحبيبة،

أعرف أن وقتًا سيأتي في المستقبل حين تكتشفين الحقائق
وتقرئين هذه الرسالة، قد ترغبين في التمرد. قد ترفضين العالم
الملكية التي اخترت منحك نسبها، قد تشعرين بالغرابة والوحشة
بينما كل من حولك يشيخون ويهرمون ويمرضون. لكن إياي
أن المستقبل سيكشف عن رفاق آخرين لك، أحفاد مهزومين
وسفاحين يملكون الجرأة لتحدي القوانين الإلهية والشرائع
السماوية حتى يصنعوا من أولادهم آلهة المستقبل.

الفصل الثالث عشر

"الملكين ببابل هاروت وماروت"

شاهد الساحر مجدي مئآت الأعاجيب، وصنع آلاف العجائب الأخرى. قدم عروضه في أرقى الفنادق وصالات الترفيه، خطا فوق فخامة سقف العالم. لكن ما يشاهده الآن فاق كل تصور وكل بذخ.

في قاعة العرض الرئيسة، رأى حمام سباحة معلقاً. شرحت له نائب مدير المكان أن الحمام مخصص للحفلات الصباحية أحياناً. في الخارج رأى فيلين يجولان حول حديقة المبنى، وعلم أن وظيفتها الترحيب بالزائرين في الحفلات الكرنفالية. الأبواب الخلفية للمكان احتوت على مهبط طائرات عمودية وأخرى أفقية، ومطار مُدمج مخصص لطائرات الشحن، لجلب أشهى المواد الغذائية وأفخم المشروبات من أنحاء العالم.

والنمور لحجرتي | 285

علقت سوزي نائب المدير بأن العمل يبدأ في تجهيز العروض واستعدادات المطبخ منذ الثالثة ظهرًا، ووجهت حديثها إليه لتوضح أن فناني الترفيه مطلوب منهم إثبات حضورهم قبل موعد فقرتهم بنحو ثلاث ساعات، وعليه أن يكون جاهزًا قبل مواعده المحدد بساعة واحدة على الأقل.

القاعة الرئيسية بحجم ملعب كرة سلة، عمال النظافة والصيانة مُنهمكون في المسح وإزالة الديكورات القديمة وتركيب الديكورات الجديدة. كل أسبوع يتم تغيير شكل القاعة الرئيسية من ديكورات وإضاءة، وحتى أشكال المقاعد والطاولات والمفارش. كانت سوزي تشير إلى الواجهات الزجاجية في المستوى الثاني من القاعة، وتقول "هذه قاعات الـVIP"، عقلت بإشارة إلى السقف: "لكن هناك أيضًا القاعات الملونة المخصصة لنخبة العائلة الملكية والسيوخ والشيخات وضيوفهم استيقظت حواس الساحر مجدي وعيناه تفحصان وترصدان كاميرات المراقبة التي تطوف مُحلقة في فضاء القاعة، مُتصلا بشبكة أمان وتأمين المكان المرتبطة بالشبكة المركزية لنيوم ووقفت سوزي على البار، وأشارت للساعي "كوب ماء".

عينا الساحر مجدي تجولان في المكان ترصدان وتحللان وترسمان الخرائط. وضع الساعي كوبي ماء أمامهما، قرب سوزي كوب الماء منه وهي تقول: "هذه مياة فوارة من ينابيع بافاريا بألمانيا، أنا أفضلها، لكن لدينا أيضًا ماء باردًا من جبال الألب، وماء من بحر زمزم، وبالطبع المعتاد من الماء".

الماء. والأشياء الأخرى الغنية بالفيتامينات المركبة". شكرها
"أمر مجدي وتناول الكوب، أخذ رشفة وعيناه مُسلطتان في
...ها بنيتي اللون. أزاحت خصلة من شعرها المصبوغ باللون
الأرق وسألته أين يعيش؟

قال إنه مقيم في فندق بسيط في منطقة الخدمات 14. ردت
"ماي يا جاد" بمعنى "يا إلهي! كيف تسكن هناك؟ المسافة
... هناك إلى هنا نحو ساعة ونصف، إلى جانب نقاط التفتيش
... حصص الأمن التي يجب أن تعبرها". شكرها الساحر مجدي
... اهتمامها، وقال إن معها حقًا، وأنه يبحث عن مكان آخر
... السكن.

قالت سوزي إنها تقيم في منطقة جاليري 9، للأسف تقيم
... مع أربعة آخرين في شقة تحتوي على ثلاث غرف. أحدهم
... ام على الكنب. قالت الإيجارات مرتفعة في تلك المنطقة،
... انها قريبة من العمل، ويمكن أن يجد غرفة خالية بسعر
... معقول، إن لم يمانع مشاركة الآخرين في السكن.

شرب الساحر مجدي رشفة صغيرة من الماء، ووضع الكوب
على الطاولة. تقلصت معدته نتيجة قطرات الماء الألمانية.
شكرها على ترشيحها، هزت كتفيها وأكملت اقتراحها "فكر في
الأمر، المنطقة لطيفة". ثم ابتسمت "على الأقل سنصير جارين،
ويمكن أن نذهب إلى العمل ونعود معًا".

"يبدو عرضًا جيدًا" قال الساحر مجدي ثم سألها "هل
نكمل جولتنا؟". فجأة ارتفع صوت نغمة مألوفة. نظر حوله

فقال سوزي: "الشباب بتوع الذي جيه وهندسة الـ ،
يختبرون أدواتهم".

من النغمة التي سمعها أدرك الساحر مجدي و ،
طاف بعينه باحثًا عنه حتى وجده في زاوية جانبية على ،
المسرح.

خلف منصة الذي. جيه، وسط السلوك والشاشات والـ ،
ضح الصوت وتوليفه، شاهده واقفًا، استطال شعره، الـ ،
الحمراء لا تزال عالقة في أطرافه، والجذور عادت للون الأـ ،
المميز لشعره.

فكر الساحر مجدي في تحيته أو الاقتراب منه، وس ،
أين اختفى كل تلك الفترة وكيف وصل إلى هنا، لكنه نادى ،
تنكره، فهو يرتدي عدسات تجعل عينيه لونهما أخضر، وش ،
أشقر، ويستخدم ملونات البشرة لكي يجعل بشرته ذات ا ،
أبيض وردي. فرح بسبب وجود نسيم، فالآن وجد رفيقًا ،
الاعتماد عليه في مؤامراته الكبرى.

نحت الزمن وجه الساحر مجدي. لم يعد الشاب الأسـ ،
الهادئ الدائم الابتسام.

بعدما اختفت معظم أدواته السحرية، وفعلوا فعلتهم م
التخريبية، فهم الساحر مجدي رسالة استعراض القوة. ح

أما حاله سام بما حدث، سأله لكن لماذا يفعلون ذلك معك؟
الذي فعلته؟

بعد تردد حكي له عن محاولاته التدخل في مسار الأحداث، شارك في عدد من الفعاليات والاجتماعات السياسية، وتخدم قدراته السحرية لتحقيق انحراف نوعي في المسار التاريخي. مثلاً في اجتماع ضم مجموعة من رموز وشباب الثورة، حضر الساحر مجدي وحاول استخدام التنويم الإيحائي الأخير في زعماء المعارضة المتناحرين. استخدم الساحر ورأى هوده يتوج بنزول القيادات المتناحرة إلى ميدان التحرير، وأه منتصبه وابتسامات مشرقة.

رعق الخال، لا يمكنك أن تمنع الموت ولا الحروب، ما دام مستمر وجود الذكور. هدهه قائلاً "بأفعالك تعطل مسيرة التطور والحتميات التاريخية".

أمسكه من كتفيه وخاطبه: "يا حبيبتني، السبيل الوحيد للنجاة هو البحث عن وسيلة سفر ومغادرة هذا الزمن ابن الوسخة، وتلك الأجساد المهترئة المحبوسين فيها".

دافع الساحر مجدي عن أفعاله: "لا يمكنني أن أشاهد أنهار الدم تتدفق من الأجساد وبإمكانني منعها".

أتت هاروت وماروت من المستقبل.

في عيد ميلاد هاروت الألف وخمسين، أعدت لها ماروت، حفلة ضخمة حضرتها الصديقات كلهن. استمر الرقص ثلاثة أيام متواصلة تناولن فيها أنواعًا مختلفة من منشطات النانو تكنولوجيا والمخيلات العضوية. انتهت الحفلة بالاثنتين علم طوف بحري عاريتين تشربان الشمبانيا وتتأملان الشعب المرجانية الصناعية والشمس البرتقالية. ثم تساءلت هاروت كيف يا تُرى كان عالم الرجال؟

ماروت، وتحت تأثير مخدرات النانو وما تمنحه من جراثيم وإحساس مزيف بالقوة والقدرة على طي الكون وإشعال المادة المظلمة، قررت أن تجاوب على سؤال حبيبها بفتح باب المغامرة والقفز خلف كل الخطوط الحمراء. ففي النهاية هو عيد ميلاد حبيبها لقرون.

قالت ماروت إنها أخيرًا استلمت منزل ومعمل جدتها بعد انتهاء إجراءات الميراث، وفي قبو جدتها نموذج أولي قديم لآلة السفر عبر الزمن بالإحلال والبعبة.

صفت هاروت بكفيها، ولمعت عيناها، سألتها "هل يعمل؟"

نفثت فيها ماروت زفير الحب، وقالت "حتى لو لم يكن يعمل، بالتأكيد يمكننا إصلاحه؟"

دون تأجيل، وبتأثير سخونة اللحظة، انتقلت الاثنتان إلى قبو الجدة. وعكس ما تخيلتا أو توقعتا كانت الآلة تعمل، ونظرًا إلى قِدَمها فلم تكن خاضعة للرقابة الاتحادية لنظام الحماية السيبراني. لم يكن الأمر بالنسبة إليهما إلا فكرة ذهنية، لكن

سما فحصتا الآلة وتأكدتا من عدم وجود المجسات المتصلة،
الرقابة الاتحادية، قررتا ارتكاب حماقة والسفر دون تأمين أو
إسار أحد للمتابعة. فلطالما دفع الحب والمخدرات العشاق
هو مغامرات غير مأمونة العواقب.

تعمل آلة السفر في الزمن بالإحلال والبعبصة، عبر تحميل
الوعي الإنساني والذاكرة إلى وحدات بيانات كمية، ثم تكثف
ملك البيانات وتنقلها ضوئياً إلى محطة بث وإرسال قديمة على
كويكب هيلدا الكبير، الواقع على حافة حزام الكويكبات بين
المريخ والمشتري، على هذا الكويكب يتم التكتيف العكسي
البيانات ثم إعادة إرسالها إلى زمن آخر. نقطة الضعف في
نموذج الجدة أنه لا يمكن اختيار الأجساد التي تحل البيانات
المسافرة عبر الزمن فيها، لكن في كل زمان توجد آلات إعادة
البث، بشرط أن يمتلك المسافر الكود الجيني اللازم. فالإنسان
الذي يحسب أنه جرم صغير، فيه ينطوي العالم.

سافرت هاروت وماروت إلى الماضي القريب، لكنهما لم تجدا
أي ذكور. كانت تقنيات التوالد الجيني الذاتي قد جعلت من
وجود الذكور مسألة جمالية، فتضاءل وجودهم في النظام
الطبيعي ولم تعد لإضافتهم البيولوجية أي معنى، بل كانوا
يفسدون بحيواناتهم المنوية العشوائية التي يقذفونها في كل
مكان فرص التقدم والتطور الإنساني.

تطلب الأمر من هاروت وماروت السفر إلى زمن أبعد
بقرون. فُبِعِثتا في هيئة طيفية لخطأ في البعبصة. لم تحلا في أجساد

بشرية، بل تجلتا كرؤية، طيف من بيانات الذاكرة والخبراء
الجينية يسبح في الضوء والنار. حزننا لأن الغرض الأساسي *
سفرهما كان اختبار أن تكونا في أجساد ذكورية، وتجربة الحياة
الاجتماعية للإنسان القديم.

في حالتها الطيفية حاولتا التواصل مع بشر وكائنات ذوات
الزمن. في البداية شككت ماروت في جدوى التواصل مع ما
تلك الكائنات، كان هذا زمناً عفويًا وبدائيًا للتطور الإنساني، لم
يفهموا الطبيعة اللافيزيائية لهاروت وماروت.

منحتهما الطبيعة الطيفية القدرة على التنقل بيسر وسرعة
بين مختلف الأماكن والتجمعات الحضرية البشرية في ذلك
الزمن. بعض البشر ظن أن هاروت وماروت من الملائكة،
أعجبت هاروت بتوصيفها كملاك، ووجدت فيه لقبًا يتماشى
مع حالتها الطيفية. تجمعات حضرية أخرى اعتبرتهما آلهة،
استغلت هاروت هالة التقديس المحيطة بهما، ودعتا إلى
ديانة تكون الاثنان محورها، لكن ماروت اقترحت ديانة
ثنائية القطب يتنافس فيها إلهان للسيطرة على حياة البشر.
وتلزم البشر بتقديس عناصر الطبيعة كافة، واعتبار النار والماء
وسيلتين للتطهر، وتحرم دفن الأجساد لكي تترك لهما المجال أن
تمكنتا من السفر أو تغيير حالتها الطيفية أن تبثا وتعودا في
هيئة جسدية بشرية.

نقاشات هاروت وماروت عن ديانتها الجديدة هدفت إلى
ترسيخ مفهوم القطبية، فمن خلال القطبية يمكن دفع عبيدهم

• من البشر لبناء حقول طاقة، تمكنهم من شحن خزانتها
المبففة لإعادة بث بيناتهما والسفر قفراً في الزمن، لكن عوضاً
من ذلك تمخضت رسائلهما إلى البشر عن الديانة الزرادشتية. لم
أس ماروت، صنعت من مجموعة خاصة من الكهنة حلقة
من المتصوفة الخاصة والدرائش المطيعين، تجلت لهم في رؤية
جماعية وطلبت منهم جمع الحديد ودقه وتشكيله على هيئة
الجماع وأبراج على رمال الشاطئ، ثم ملئه بالرمال والفحم،
الصنع حقولاً واسعة من البطاريات الكهربائية الجافة، ومن
الشرارة المتولدة من هذه البطاريات تمكنت هاروت وماروت
من إشعال محركات البث في دفقة واحدة، أعادت بث بياناتها.
انتقلتا من هذا الزمان إلى زمان آخر. وهذه المرة لم تبعثا في
سورة طيفية، بل ظهرتا في أجساد ذكورية كما تمتنا منذ بداية
المغامرة، ماروت صارت الخال سام، وهاروت صارت الساحر
سجدي.

كل شيء سحرهما في ذلك الزمن.

الدفء الأسري، التركيب الدرامي للعائلات، بساطة التركيب
البيولوجي للأجساد وهشاشتها، الدموع والقدرة على البكاء،
مذاق الاكتئاب والأمراض النفسية، السيادة والهيمنة الذكورية،
الألعاب وشفرات الرموز بين الذكور والنساء، لكن للمفاجأة
فأقل ما أثار اهتمامهما المتعة الذكورية وآلاتها الجنسية. في
الفرصة الأولى للقاء منفرد بينهما تعرياً وعين كل واحد منهما

والنمور ليجرتي | 293

قضيبي الآخر، ثم غرقا في نوبة ضحك. كان الساحر مجدي *
فعلها أولاً، ثم عاد ليخبر حبيبته الخال سام: "تخيل، الأمر
يستغرق إلا دقائق، أما لحظة الانتشاء فلم تدم إلا ثواني، كده
حكموا العالم لقرون بهذه الخراطيم!؟".

بعد عدد من السنوات هنا اكتشفا أنهما ليسا الوحيدين
فهناك مسافرون آخرون، وعابرون بين الكلام العابر من الماضي
والمستقبل.

الخبر الجيد أنهم لم يكونوا مرصودين من أمن الحتمي
التاريخية، وهي أعلى سلطة في زمنهما. أعلى حتى من سلاطه
الأمن السبراني، ووظيفتها التأكيد على حتمية التطور الزمني
الخبر السيئ أنه لو تم رصدتهما سيُقبض عليهما، ويتم
ترحيلهما إلى زمنهما ومحاكمتهما بتهمة السفر عبر الزمن دون
تصريح، والتعدي على الحتميات التاريخية، وهي تهم خطيرة
تصل عقوبتها إلى حل شريط الجينات الوراثية للمتهم، وحفظه
في سجون البيانات، مع إذابة جسده في الحامض إمعاناً في
تعذيبه.

ما اكتشفته هاروت وماروت، أو الساحر مجدي وخاله
سام، أن هناك مئات الهاربين في نهر الزمن، وقد يكون العدد
أكثر، فلقد تحسستا واستنتجتا وجود عوالم وشبكات كاملة من
العصابات الإجرامية الفلسفية التي تتسابق وتتنافس لفرض
جدياتها الأيديولوجية والإبستمولوجية على الماضي للفوز
بالمستقبل. من الزمن الذي أتت منه هاروت وماروت يطلق

• إلى تلك الجماعات عصابات إجرامية، لكن الآن رأى الساحر
• مجدي أنهم يشكلون حركة مقاومة ضد بؤس التاريخ الإنساني،
حتى لو اختلفت توجهاتهم، فالفرضيات التي يقدمها بعضهم
• بدت له أكثر عدلاً وتقدمية من فرضية نهاية التاريخ التي
أيا منها.

وجدت ماروت نفسها في مهنة ساحر قديم يقدم العروض
الترفيهية، ومنحت هاروت نفسها لقب الساحر مجدي. مرت
سنوات عليهما في ذلك الزمن بلا طريقة للخروج. اندمجتا
أكثر في دوريهما. أحببت هاروت حياتها واستمتعت باللعبة
لأقصى درجة، لكن اليأس والملل توطن في الخال سام إسماعيل،
واكتشفت الكحول فيه شفاء للناس. وكلما حاول الساحر
مجدي إفاقته من الشرب، يدخل الخال إسماعيل في نوبات
من الجدل والسفسطة الفلسفية.

"أولاً ليس هذا جسدي، ولا يهم إن استهلكته" تقول ماروت.

"لكنك لا تفعلين شيئاً مفيداً وممتعاً من أجل الاستمتاع به
أو بالخروج والمغامرة" يقول الساحر مجدي.

"وهل تفعلين أنتِ؟ هل مشاركتك مع الغوغاء في انفعالاتهم
وأفكارهم القومية الوطنية ستعود علينا بأي فائدة؟ هل تظنين
حقاً أن بإمكانك تغيير التاريخ بالهتاف والمظاهرات؟ انظري
إلى من تسيرين بجوارهم، لقد نزلوا بالأمس فقط من شجرة
القردة العليا" يقول الخال سام إسماعيل.

"على الأقل أحاول فهم الماضي، والاستفادة من معرفتي
للمستقبل لعلنا نصنع التغيير المنشود" تقول هاروت.

يرفع الخال إسماعيل زجاجة الفودكا إلى فمه، يتعري ويأكل
في الرقص أمام ابن أخته الساحر مجدي وهو يندن أغنية لابي
نواس "لا تسقني سراً إذا أمكن الجهر، ألا فاسقني خمراً، وهذا
لي هي الخمر". يبتسم الساحر مجدي ويوسع ما بين فخذيته
يجلس الخال سام على حجره، يلتقط شفثيه ويقبلهما في قبلة
طويلة مليئة باللعب والكحول. يتبدد التوتر بين الاثنين ويعود
الحب. تمازحها ماروت، على الأقل الخمر هي أول وسيلة سه
عبر الزمن ابتدعها الإنسان: فإن طال هذا عنده قصر الدهر،
فما العيش إلا سكرة بعد سكرة.

يكفي أننا معاً. يعانق الساحر مجدي خاله، ويتمنى لو
يستمر سفرهما تائهين عبر الزمن إلى الأبد.

لكنه أبو نواس أيضاً من قال "حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء".

أتهما الإشارات تحذرهما من مغبة البعبعة وإثارة غضب
السلطة ومن يديرون النظام، لكنهما على ما يبدو أفرطاً في
التفاؤل والثقة بقدراتهما حتى أتت الصفحة قوية من أكبر
رؤوس النظام في المنطقة، عائلة ملوك الذهب الأسود، كهنة
الماضي وبناءة المستقبل.

حسب الخطة كان من المفترض تصفية الاثنين، الساحر
مجدي والخال سام إسماعيل، لكن تغييرات داخلية في البيت
الملكي انعكس أثرها على خطة التصفية. جاء ملك جديد ومعاً،

١٤. ولي عهد جديد، وبدلاً من أستاذية العالم وفلسفة "كنتم
عبر أمة أُخْرِجَت للناس"، تم اتخاذ القرار بالاندماج في الخيار
الفلسفي، نهاية التاريخ وانتصار سوق الربح والخسارة النهائي.
١٥. بدلاً من التصفية خرج القرار الملكي بالنص على الاستفادة
من الاثنين، الساحر مجدي وخاله، في مخالفة صريحة للحدود
الموضوعة من قِبَل مشرعي الحتمية التاريخية التي تفصل بين
الماضي والمستقبل، وتمنع أجداد الماضي مهما كانت سلطاتهم
من اقتباس أو اختلاس المستقبل، خصوصاً إن لم يكن من
منيعهم. لكن تَبَّأ للمستقبل، والماضي، وكس أم الحاضر.

هذه لحظة سيادة الحماسة، ومن الحماسة مقاومة الحماسة
أو محاربتها. قررت الكثير من عصابات/ جماعات السفر عبر
الزمن الانحناء للخطة الطموح لملوك الذهب الأسود، وأمير
نيوم الشاب. معظمهم رأى في مبادرته فرصة للإصلاح من
الداخل، وبعضهم طمح إلى أن يغري الأمير بجلب المستقبل،
دون الحاجة إلى الشروع في حروب الحاضر.

طبَّعاً هاروت وماروت رفضتا هذا الاتجاه. الساحر مجدي
كانت سكرانة بخمر الثورة والمقاومة، والخال سام بخمر
الويسكي المقطر، إذ أعلن أن جيمسون وزجاجته الخضراء بلا أي
منازع هو أعظم آلهة الماضي.

هذا الرفض من قِبَل الاثنين، لم يقبله الأمير ولي العهد.
كذلك لم تقبله الماما كريمة.

نظر في شاشة الموبايل فلم يجد أي اتصال أو رسالة .
فرح. أخبرته أنها ستغيب ليومين على الأقل، في المستشفى.
الملكي لا يسمحون لهم باستخدام أجهزة الهاتف الشخصية .
استعطاف ورجاء طلب منها نسيم أن تحضر الليلة لتشاهد .
يلعب للمرة الأولى مشروعه الموسيقي الجديد.

نسيم ملك الطاقة الإيجابية، رغم الحقائق اللامعة أمام
عينيه يصر على عدم رؤيتها، والتغاضي عنها. منذ أسبوع
صارحته فرح برغبتها في الابتعاد قليلاً، قالت إنها تفكر
كان الأفضل أن ينفصلا مؤقتاً أو ألا يناما في مكان واحد. تماسا
نسيم وأظهر الموافقة، ثم انفعل وبكى وصرخ ليه، نزل علم
ركبته وأخذ يستعطفها. في البداية تصنعت فرح البرود، قال
إن الشالية الذي يقيماني فيه هو ملك فريد بيه، وفريد منحه
لها، لذا لا يمكنها أن تغادر هي الشالية، بل الأفضل أن يغادر
هو.

"بتعملي فيا ليه كدا، بعد ما سبت العالم وجيت معالي
هنا؟ أنا باحبك يا فرح.. باحبك، ماقدرش أعيش من غيرك"
اشمأزت لانه فقط، بل من نفسها وشفقتها اتجاهه، وفكرت
في أن هذا الضعف العاطفي قد يكون سببه الاختلال الهرموني
نتيجة حملها، في النهاية انهمرت دموعها واحتضنته وقالت:
"خلاص.. خلاص".

لكن استمرت محاولات هروبها.

اهيب معظم الوقت بحجة الطوارئ في العمل، ثم قبل
••••• بن قالت إنها ستبيت في المستشفى، وحين ألح بضرورة
••••• ورها الحفل قالت حاضر، وتخيل نسيم أن هذا وعد.

استمعت فرح لعدد من المقطوعات التي أنجزها، نصحته
المويز الموسيقي بمضامين ذاتية أولاً، قبل أن تكون نظرية أو
نارية. أخبرها أن ذاكرة طفولته الموسيقي تتوزع بين عاملين..
• الم الأب الذي يُحرّم الموسيقي ويجبرهم على الاستماع لأناشيد
• إسلامية وجهادية فقط، وعالم الأم التي تحاول دفعه للاستماع
• الموسيقي الغربية، خصوصاً الكلاسيكية والجاز.

"برافو.. ها هو ما يجب أن تفعله، جسر بين العالمين"
الت فرح.

نهض بنيان عمله الموسيقي على إعادة إحياء الأناشيد
الإسلامية والجهادية، مع الإيقاعات الإلكترونية لموسيقى
الديسكو والبوب من الثمانينات والتسعينات. فرح هي من
أوصت فريد بيه أن يساعده في البحث عن عمل، فحصل على
وظيفة مساعد مهندس صوت في أهم وأغلى ملهى في نيوم.
ثم ذات يوم كانت التيمة الموسيقية في الملهى هي "الإسلام
الوسطى الكويري" بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج، فاقترح نسيم
على مدير العروض تقديم فقرة قصيرة لا تتجاوز الربع ساعة.
أسمعه نسيم ما يعمل عليه. مدير العروض كان شاباً فرنسياً
لم يميز قيمة ما يسمعه، سأله لكن هذه ليست موسيقى
شرقية، هذا ديسكو ثمانينات، ومن مراقبة كيفية إدارة المكان

جهاز نسيم رده، فرفع صوت الطبلية الشرقية، فتمايل الفراخ
الفضلوك، وقرر منحه ثلاثين دقيقة.

بين تنويعات الموسيقى الشرقية في تلك السهرة دعاء
نسيم، سحب الجمهور من تنويعات الوترية إلى إيقاع
طبول "البيز" العنيفة، مع طيف من لحن أغنية
Love لدونا سامر، ترك الموسيقى تنساب إلى آذان الحضور
وشاهد الذبذبة الخفيفة للأجساد وهي تتركب على الإيقاع
ثم فجأة صدح صوت سعد الغامدي في مقطع من أنشود
"غرباء.. غرباء.. غرباء ولغير الله لا نحني الجباه" حل ص
على المكان، توقفت الأحاديث. معظم الحضور كان من أصوا
عربية وإسلامية، في قاعة الـVIP كان الشيخ حسن شيبة أحد
أثرياء الحرب على الإرهاب حاضرًا، أيقظته الكلمات وصور
سعد الغامدي من سكرته فأخرس من حوله بإشارة بيده. ثم
انفجرت الموسيقى والمنشد يقول "فلنجاهد وناضل ونقاتل من
جديد/ غرباء هكذا الأحرار من دنيا العبيد". اشتعل المكان
هتف الحضور مع الموسيقى غرباء غرباء، فيجيبهم نسيم
بإيقاعات جورج موردير وشبح صوت دونا سامر في الخلفية
لم يفهم مدير العروض الفرنسي. اشتعل الرقص والإثارة، معظم
من كان في المكان من الأسياد الجدد لمنطقة الشرق الأوسط
نشأ على حرمة الاستماع إلى المعازف، وكانت هذه الأناشيد
هي عمود الهوية الإسلامية، والقلب النابض لمشروع الإسلام
السياسي السني، قبل تغيير الدفة مع الأمير الشاب وبزوغ

١٠٠ الحداثة. والآن يمنحهم نسيم فرصة من مواقعهم في مدينة
المنجبل، ليطلوا على الماضي ويعيد تدويره لهم.

فرح دفعته إلى تطوير عمله الموسيقي وعدم الاكتفاء بالقص
الصق. جعلته يعرض المشروع على فريد به، الذي تحمس
وره لتمويل الألبوم.

بخرته لعقود طويلة في العمل الثقافي القومي وبناء سرديات
السلطة، رأى في مشروع نسيم فرصة لعكس الهوية الجديدة
الملكة والإسلام المستنير الذي يتبناه مشروع نيوم.

عمل فريد في المجال الفني والثقافي والمخابراتي لعقود
لمويلة، وترقى حتى وصل إلى أرقى المناصب كوزير ثقافة في
مالم ما قبل الثورات. قال مرة لفرح "أنا لست مثلهم، أنا
فارئ ومثقف وأدرك حركة التاريخ. ومبكرًا علمت إلى أين
اتجه الأمور، لذلك انسحبت قبل الطوفان". تقاعد فريد به
وابتعد عن الأضواء، وفي قصره المؤسس والمؤثث بذوق فني راقٍ
جلس يستمتع بصحبة كتبه وأفلامه وأشباح علاقاته القديمة
الحميمة. وبينما هو خارج من الحمام ذات يوم، تزللق على
الأرضية المبللة ووقع على ظهره، ومن يومها لم يعد ظهره كما
كان.

نصحوه بجلسات العلاج الطبيعي والمساج. كان الألم يخف
أثناء الجلسة، وما إن يغادر حتى يعاوده، تتيبس رقبتة، ولا
يستطيع تحريكها يمينًا أو يسارًا. نصحه لواء قديم بزيارة

مستشفى العلاج الطبيعي التابع للقوات المسلحة بالعجوة، حيث لديهم أحدث الأجهزة، وهناك التقى فرح.

لم ينتبه لشكلها أو اسمها وهي تخاطبه، خلع ملابسها واستلقى على بطنه، مع أول لمسة من فرح، استرخت عضلات ظهره، مشت بأصابعها، فانفكت عقد متعددة ضاغطة على أعصابه. بكفيها دعت عضلات كتفيه، انسابت الكهرباء من يديها إلى أعصابه لتضرب مخه وتوقظ داخله مشاعر وذكريات نسيها من سنين. أغمض عينيه فشاهد أمه تمسك يديه وتندب به إلى الشاطئ، وهي تغني لتشجعه على عدم الخوف من البحر. حضرت الذكرى من لحم ودم، فتح عينيه فرأى نفسه طفلاً مريضاً في الفراش وأمه تغير له كمادات المياه الباردة. ارتفعت يد فرح عن ظهره، فتبددت الذكريات من عينيه، وخرجت آهة عميقة من فمه.

أعادت بسط عضلاته، وشد أطرافها المعطوبة على عظامه، دلكت أعصابه لتعيد بناء عواقلها المتهتكة. مع لمستها أغمض عينيه، وهذه المرة رأى وجه أمه، تحضنه وتمنحه صدرها فينسب اللبن إلى فمه، ينتشى بحركات المص في عضلات فمه. من عينيه المغلقتين انسابت الدموع وهو مستلقٍ تحت يد فرح.

تكررت زيارات فريد بيه لفرح، ذات مرة شاهدت معه كتاباً عن السيرة الذاتية للنحات الإنجليزي هنري مور، فسألته إن كان من الممكن أن تستعير الكتاب فأهداها النسخة التي

١٠٠ هـ وقال إن لديه نسخة أخرى في المنزل، بل ولديه تمثال
١٠١ هـ ري مور. لم ترفض فرح دعوته لزيارته ورؤية التمثال،
١٠٢ هـ بممة تتردد حول عدم ميله إلى النساء، وفي أول زيارة لم تبدر
١٠٣ هـ أي إشارة سلبية، بل عاملها باحترام ومحبة حقيقية، وفتح
١٠٤ هـ كنوزه الفنية التي قضى عمره ينفق أمواله وعلاقاته في
١٠٥ هـ معها. امتزجت علاقتهما كطبيبة ومريض بعلاقتهما كصديقين
١٠٦ هـ ن جيلين متباينين، وحين لبت دعوته لتأتي إلى نيوم، أيقن أنه
١٠٧ هـ أسن الاختيار، وانبهر بالتطور السريع في شخصيتها وانطلاقها
١٠٨ هـ نفلتها بنفسها.

يوم عزفته إلى نسيم، سألتها إن كان زوجها، قالت "لا، أنا
انطلقت".

ابتسم وبتلقائية رد "مبروك". وضحك الثلاثة، فريد وفرح
ونسيم.

تتضارب مشاعر نسيم تجاه فريد بيه. لم يفهم طبيعة
علاقته بفرح، صوت داخله حذره من الثقة بهذا الرجل. لكن
حين دعاه وفرح للعشاء، أبدى اهتمامًا كبيرًا بالتعرف إليه وإلى
ما يفعله، ساعده بمحبة وود خالصين في الحصول على وظيفته
الحالية، ثم بصنعة لطافة أوحى إليه بكيفية تطوير مشروعه،
وتبنى تمويل ألبومه الموسيقي.

الحلم الذي تمناه حوله إلى حقيقة، حين تمنى العثور ،
"أبو مازن" أحد أشهر المنشدين الإسلاميين، أحضره فريد ،
ليغني ويسجل معه. وها هو أبو مازن أمامه في الجلبا،
الأبيض والغترة رغم أنه ليس خليجياً، سأله أبو مازن: "بيكفي
هيك اختبارات والا شو؟"

"بيكفي يا أبو مازن، ميعادنا الساعة 11 بالليل، ماتشربش
(م) كثير، يا ريت ينسون كثير لحد ما نطلع على المسرح
قال نسيم.

"جزاك الله خيراً على النصيحة خي نسيم" قال أبو مازن.

بطرف عينه لمح نسيم شاباً أشقر الشعر يسير مع سوزي.
أدار رأسه باتجاهه فرأى عيني الشاب الأشقر مسلطتين عليه،
في الطرف الآخر من القاعة رأى علي عبد الله صالح، فنادى
عليه "يا علي".

يعمل علي عبد الله صالح في المكان، لكن نسيم لا يعلم
طبيعة عمله بالضبط. أخبره أنه من ضحايا حروب الإقليم
الجنوبي "اليمن" سابقاً، تم إنقاذ حياته بتركيب نصف ألي
لجسده، لذا فمن منطقة الصدر وحتى الأرض كل هذا من
المعادن العضوية المتصلة بالشبكة العصبية لجسده. يُكنُ
نسيم محبة خاصة لعلي عبد الله، لأنه الوحيد الذي يعرفه في
نيوم باستطاعته الحصول على المخدرات التي يريد، تحديداً
الحشيش المصري.

صافحه علي صالح. "صباح الخير يا أبو النسايم"

"صباح اللي بتغني يا سيدي" جاوبه نسيم.

الكاميرات المحلقة الطوافة في المكان يمكنها الاستماع وتسجيل كل كلمة وليس تسجيل الصور فقط. قال له صالح: "أخلص اللي في إيدي وقابلنى برة نشرب سيجارة بقى".

خرج نسيم ومشي حتى صار بعيداً عن نطاق كاميرات المراقبة. السماء صافية والشمس حارة ساخنة، الرطوبة تجعل الهواء بضيقاً وفي ثوانٍ يشعر المرء بالعرق يبلل ظهره، وقف في ظل شجرة على جانب الطريق. لا أحد في الشارع، درجة الحرارة تتجاوز الأربعين.

يقضي سكان نيوم معظم وقتهم داخل الشوارع المكيفة، مثل هذه الشوارع المفتوحة مخصصة لخطوط المواصلات التي تنقل البضائع والعمالة البشرية. أخرج نسيم سيجارة ووضعها بين شفتيه، بدأ يتعرق فصب الدين في سره لعلي عبد الله صالح. استدار ليرى إن خرج من الملهى، لكن لم يرَ أي شخص يقترب، أدار رأسه الناحية الأخرى فوجد أمامه الشاب الأشقر الذي كان يراقبه في الداخل. فزع نسيم حتى إن السيجارة وقعت من بين شفتيه.

الفكرة الأولى التي أتت في ذهن نسيم كانت الكابوس الأشهر في نيوم، أن يعجب بك شيخ ذو جاه ونفوذ ويدعوك إلى

الفلقسة، فإن لم تفلقس غضب عليك وأمر برميك خارج
الآلات والروبوتات والشركات متعددة الجنسيات. ارتبك نسيم
وتلجلج، لكن الشاب الأشقر حادثه "لا تخف يا نسيم، أنا
أنا مجدي".

فتح الساحر مجدي فمه ونزع طقم أسنانه فتقلص عرو
فكه، رفع يده البيضاء ودعك ظهرها بيده الأخرى، فأر
اللون الأبيض وبانت تحته بشرة الساحر مجدي السمراء ال
يعرفها نسيم. خاطبه الساحر مجدي: "أنا متنكر في شخص
ساحر زميل آخر". دار الساحر مجدي حول نفسه مستع
هيئته الجديدة وقال "هنا اسمي ديفيد كوبرفيلد.. إوع
تغلط وتجبب اسم الساحر مجدي هنا".

استوعب نسيم المشهد، اندهش من تنكر الساحر مجدي
برر الساحر مجدي تنكره قائلاً إنهم في نيوم يمنحون الأجنبي
والبيض ثلاثة أضعاف الأجر الذي يتقاضاه المواطن الأسمر عن
الوظيفة ذاتها.

سأله الساحر مجدي "ماذا عنك؟ كيف أتيت إلى هنا؟"

رد نسيم "بالطائرة"

لمسه الساحر مجدي، أمسك ذقنه ورفعها إلى أعلى وسأله
مرة أخرى:

- بل أعني متى أتيت إلى هنا؟

من شهرين، بس كل شيء يحدث هنا بسرعة، شايف
المبنى الضخم خلفك؟ من شهر واحد لم يكن موجوداً.
لا يا نسيم، لم أرك منذ سنين، كيف سافرت عبر الزمن
إلى هنا؟

الفصل الرابع عشر

إن في الجنة لسوقًا

أمسكت فرح كوب الحجامة الزجاجي. وضعته على ظهر الأمير. رفعت حافة الكوب بيد وبالأخرى أشعلت القداحة، ثم أدخلت شعلة النار أسفل الكوب، فأكلت النار الهواء المحبوس، دبست الكوب سريعًا على ظهر الأمير ليتحول بفعل تفريغ الهواء إلى آلة شفط تمتص السموم، الشرور، الحسد والعين، من نعت العظام واللحم، لتظهر آثار الشر على الجلد.

عبر زجاج الكوب شاهدت تلون جلد الأمير إلى الأحمر، ثم إلى الأزرق. أمسكت كوبًا ثانيًا وكررت ما فعلته في أكثر من موضع في ظهره. امتلأ ظهر الأمير بأكواب الحجامة. أنهت مهمتها ونظرت في ساعتها لتحصي الوقت.

تستخدم فرح أكواب الشفط لتحديد الأماكن التي تتد، ا
فيها الأحماض الناتجة عن المجهود العقلي، ثم تستن، ا
تقنيات التدليك والسحب والتمديد لتحريك تلك السموم
تذويب بعضها وأحياناً إخراجها.

يتمدد الأمير على بطنه، في حديقة قصر الرضوان المكيفة.

جالت فرح بعينها في الحديقة، داعب نسيم بارد شعرها
ومثل كل مرة تلج الحديقة، استغربت كيف يمكن تكييف
هذه المساحة الكبيرة من الحدائق المفتوحة، بحيث تكون
درجة الحرارة فيها أقل عشر درجات من درجة حرارة الطق، ا
الطبيعي خارج الحديقة؟ لكن فصلها عن أسئلتها وشرودها
صوت الأمير. خاطبها دون أن يرفع رأسه:

- فرح، هل تدرين أول ما يحدث للمؤمنين حينما
يدخلون الجنة؟

لم تنبس فرح، والأمير كعادة معظم حواراتهما لم ينتظر
إجابتها:

- يدخل المؤمنون الجنة ليجدوا شجرة عظيمة، قطوفها
دانية، ترتوي من عين تفيض فضة متألثة. يشربون منها
فينقي الله قلوبهم من كل غل وحسد، يستحمون فيها
فيصير شعرهم الأشعث ناعماً أملس، وتبيض جلودهم،
يعودون شباباً فلا يهرمون ولا تتلون بشرتهم ولا يذبل
أو يتغير حُسنهم.

المن جزعنا على الشباب أسي / لقد أَلفنا ظلاله حينًا)

ابيهت حواس فرح. حديث الأمير ذكرها بتلميحات ماما
ة. فهل أخبرته؟ لم تقاطعه فاستمر:

خبرني شيخي رحمة الله عليه. تعرفين أن الأمراء الملكيين
جميعًا يتلقون دروسًا مختلفة في الدين وعلومه منذ
الصغر. شيخنا من جيل قديم، يحدثنا عن خطورة
الراديو على النساء، والفتن التي ينشرها الغرب. كان
أعمى، ولم يعرف كيف تطور العالم منذ كان مع جدي
يؤسسون للدولة وكيف صار العالم. لكنني شغفت
بأحاديثه عن الجنة، وكنت أحثه على إخباري بالمزيد
عنها.

(والدهر لوانان في تصرفه)

أخذت تنزع كاسات الهواء عن ظهره. مكان كل كأس علامة
(رقاء مستديرة وأحيانًا حمراء. زفع الأمير رأسه وأكمل:

- بالنسبة إليه الجنة حلم من المستقبل مليء بالمعجزات،
لكن بالنسبة إليّ فأوصاف الجنة ومعجزاتها، منجزات
حققتها العلم أو على وشك تحقيقها. خذي مثلاً حديث
العين الذي أخبرتك به. في التسعينات كانت هناك
عيادات التجميل والعلاج بالأكسجين وتجديد البشرة،
وغيرها. كل ما يرد من تحولات لأجساد المؤمنين لدى
دخولهم الجنة كان يمكن الحصول عليه في أقرب عيادة
وصالون تجميل.

لمست فرح ظهره بأصابعها. تأوه الأمير وأحنى رأسه
مُستسلمًا للمستها. لمسة فرح عابرة للحدود، شفاؤها من
الزمن وتراكماته. تضع أصابعها في الثقوب المناسبة فدهن
الأبواب. تصفي عقلها ليركز في مهمته، لكن صدى قصيدة
الزمان الهمذاني يتردد في فضاء ذهنها الذي تحاول تصفيتها
(لئن جزعنا على الشباب أسي / لقد ألفنا ظلاله حينًا).

بعد يومين من وصولها ونسيم إلى نيوم، عرض عليها فريد
بـيه البقاء هنا. قال إن موهبتها في التدليك والعلاج الطبيعي
فريدة ولا يجب تبديدها في القاهرة وسط من لا يستحقونها
شكرته فرح على المجاملة، لكن فريد بيه أصر على أنه علم
حق، واستشهد بتجربته لأحدث وأعقد طرق العلاج التشريحي
المتقدم في نيوم، لكن لم يصل قط إلى النتيجة التي يصل إليها
معها.

"أنتِ لا تفكين الشد العضلي، بل تحلين تراكيب وتعقيدات
المخ". لم تعرف فرح بمَ ترد. لكن أعجبتها نيوم، كل يوم جديد
تكتشف عشرات العجائب، كل ساعة هناك احتفال أو عرض أو
مهرجان أو تجمع ينتصب. الأموال تتدفق كل ثانية، ومعها يأتي
الابتكار والكذب والخيال والإبداع والابتداع.

بسبب دعوتها إلى نيوم من قبل فريد بيه، فهي ونسيم
يحظيان بامتيازات يحتاج العامل العادي في نيوم إلى سنوات

على بنصفها لا ينالها أبدًا. أعجبتها حياة "الفخفخينا" لكن
أن النعيم ليس أبدياً، فما هي إلا زائرة حتى لو طال
داعبها حلم الاستقرار هنا، ولكن كيف؟ نظم التعيين
عمل في نيوم غاية في التعقيد. فريد بيه وعدها ألا تحمل
ثم دعاها إلى حفل خاص شرط أن تحضر من دون نسيم.
حضرت وحدها. ارتدت فستاناً أسود طويلاً مفتوحاً بشق
ل حتى أعلى الركبة. ولجت قصرًا شاهق البياض مقامًا على
الشاطئ، صاحبها خادم من الباب الرئيس حتى باب قاعة
، وحين دخلت وجدت نفسها محاطة بأمرء الصف الثاني،
مبة من رجال أعمال ومستثمري نيوم، وعدد من الروبوتات
الشهرة الحاصلة على الجنسية الفخرية لنيوم. بينما هي تائهة
لمعها فريد بيه، رحب بها وشقًا معًا الزحام حتى وجدته
عرفها إلى الدكتورة ك.

ابتسمت الدكتورة ك ما إن رأت فرح، وصححت لفريد بيه
"لا يا فنان، د. فرح تعرفني من زمان وممكن تقول لي ماما
كريمة على طول".

اندهش فريد بيه من معرفة فرح بماما كريمة، أما فرح
فاحتاجت إلى ثوانٍ لتربط الاسم بالوجه، وفي النهاية عرفتتها من
ابتسامتها وضحكة فمها العريض، بينما اختلف كل شيء فيها.
بدت أصغر سنًا... عشر سنوات ربما. لم تكن ترتدي ملابس
الهيبيز التي شاهدها بها في الكامب، بل فستانًا أنيقًا، وقبعة
إنجليزية صغيرة، ومكياجها مرسوم بعناية.

أخذتها ماما كريمة بعيدًا عن الحفل. خرجتا إلى واحدة من شرفات القاعة. وقبل أن تمر دقيقة على وجودهما أحست بالارض تتحرك من تحت قدميها، نظرت من الشرفة فشاها، القصر يشق صفحة الماء متقدمًا في البحر. باندهاش سا ماما كريمة، هل هذا القصر سفينة؟

ردت ماما كريمة، أو ربما نيوم كلها ما هي إلا سفينة. إذ فرقت بإصبعيها فتقدم نحوهما روبوت ساقٍ يحمل زجاجًا، عدة، صب المزيد من الشمبانيا لفرح ومشروبًا آخر أبيض، شفافًا لماما كريمة لم تعرفه فرح ولا نحن.

مع الكأس الثالثة تدلّق الكلام من فرح، عن طفولتهما وشعورها الدائم بكرهية أمها لها، حبها لأحمد وكيف سحفتها عن تماسكها، عن أحلامها بالكتابة، شغفها بالأجساد والرقص، التي تداهما أحيانًا وهي تدلك وتركب العضلات على العظام. وعن...

احتضنتها ماما كريمة. خلعت الاثنتان أحذيتيها، وخرجتا من الحفل تغنيان معًا "نودع الماضي وحلمه الكبير / نودع الأفراح.."

تضحكان وتتعثران في خطواتهما، ثم تكملان الأغنية "راح اللي راح.. ماعادش فاضل كثير / إيه العمل" تضحكان.

١٠١ إلى يوم استيقظت لتجد نفسها في منزل ماما كريمة، الذي
ن إلا ملحقًا سكنيًا بمعملها.

١٠٢، بما تودعها ماما كريمة، سألتها إن كان بإمكانها أن تأتي غدًا
١٠٣، إنسة مريض حالته مُستعصية لا تجد لها حلًا.
"حبًا وكرامة" بكل سرور وافقت فرح.

١٠٤ أتت في اليوم التالي في الميعاد المتفق عليه بينهما، فوجدت
١٠٥، ريبض سمو الأمير شخصيًا.

طلبت فرح من سمو الأمير القيام من السرير. اعتدل جالسًا.
بمسده الضخم يمتلئ بالشعر الكثيف كدب صغير استيقظ للتو
من نوم هادئ. ليس عليه إلا مثلث أبيض يستر سواته. نزل
من السرير، اتجه إلى طاولة الماء والمشروبات، صب لنفسه
كوبًا من ماء زمزم. حولهما في الحديقة ترعى مجموعات من
حيوانات وطيور الزينة، وقف طاووس بديع مُعدل جينيًا أمام
الأمير، فرد ذيله فظهرت عليه لوحة تصور الأمير وهو يرتدي
زيًا عسكريًا ويركب واحدة من الطائرات الحربية، ابتسم الأمير
وأشار لفرح هل رأيت هذه الهدية، عدلوا الطاووس جينيًا لي
خصوصًا. ابتسمت فرح، ولم تنطق. تأملها بعينه من فوق إلى
تحت متفحصًا، ثم ذهب وجلس على كرسي في مواجهتها.

أشار لها الأمير لكي تكمل آخر فقرات الجلسة، التي تنطأ. جلوسه على الكرسي. وقفت خلفه، رفعت ذراعه اليسرى، ثنتها خلف ظهره لتمدد عضلات الرقبة والكتف. تحدث الأمير:

- لكن اعلمي يا فرح أن هذه الألعاب الصغيرة كالطاووس ما هي إلا أوراق الشجر المتساقطة من شجرة المعرفة، أما ثمارها وفروعها وخيرها فيمتد في كل مكان وأبعد مما نتخيل. جسد أهل الجنة الذي تخيلته صغيراً في التسعينات، كما أخبرني شيخي وقتها، يمكن تحقيقه بزيارة عيادة جراح التجميل. أما الآن فلدينا بالفعل مثل تلك العين. مياه مشبعة بالروبوتات متناهيه الصغر من إبداعات تكنولوجيا النانو، ما إن تغتسل بها حتى تتسلل إلى كل خلايا الجلد، وتعيد تنشيطها وتوليدها ومعالجة كل أعطابها.

رفعت فرح ذراعه اليمنى وثنتها. صمت الأمير وأغلق عينيه. حاول التركيز داخل نفسه، الاندماج في حركة الكون. لكن للأسف لم يحدث أي شيء.

كان الأمير شغوفاً بالعلم والمعرفة، لكنه فهم أن المعرفة الغربية القائمة على التجربة والمعاناة ليست الباب الوحيد، لذا وجّه الإنفاق الملكي للمزج بين العلمين، الروحانية الميتافيزيقية والتجريبية الفيزيقية. ورغم قدرته على التمييز بين الدجالين وعلماء الروحانيات الفاعلين، عجز عن فهم كيفية عمل علومهم وسحرهم. مثلاً الأطباء والمعالجون جميعاً الذين ذهب إليهم

• خمسوا مرضه بأنه إرهاب في العضلات، لكنه حتى لو لم يبذل
أي جهد، كانت عضلاته تفرز بكثافة السموم التي تتكاثر
التي تسبب على الأعصاب وتؤلمه. الحسد والضغينة يسببان الألم
الذي يعوق تدفق الطاقة الثالثة إلى مخه، قالت له ماما كريمة
"ي فشلت في علاجه، حتى ظهرت فرح.

على يد فرح، اكتشف الأمير أن الثقل في كتفيه الذي عاش
ه طوال حياته ليس جزءاً من تكوين الجسد البشري. صار
ه ادراً على النوم بعمق لمدة ثماني ساعات مُتصلة والاستيقاظ
ه، آلام في الرقبة، بل صار قادراً على إدارة رقبتة إلى أقصى
ه. سين وأقصى اليسار دون صعوبة تذكر. نفت فرح أن يكون
الإجهاد سبباً لمشكلاته، وبدلاً من ذلك سألته في ثاني جلسة
لهم إن كان لديه إخوة أكبر منه.

للأمير ثلاثة إخوة أكبر منه، والملك اختاره لأنه ابن الزوجة
المفضلة التي استحوذت على الملك والمملكة، أما مصير الإخوة
الثلاثة فلا أحد يعلمه.

غضب الأمير من سؤال فرح، سألتها ما علاقة هذا بمشكلة
ظهره. فقالت إن الإخوة تتولد بينهم الأحقاد. ولأن الإخوة
يشاركون في الدم، فرابطة الأخوة تنقل كذلك الحقد مثلما تنقل
المحبة، وهذه الأحقاد أحياناً ما تتحول إلى سموم تعوق مسار
قنوات أخرى فتسبب الآلام الجسدية. استمع الأمير لتحليلها ثم
سألها وما العمل؟

شمرت ساعديها وبدأ سلسلة جلسات العلاج التي أعادها،
تعريف الأمير على مذاق الراحة والسلام النفسي والجسدي،
سحرت فرح بلمستها لب الأمير.

جففت يديها في منشفة بيضاء ثم قالت: سموك أمه،
تكون جلسة اليوم أفضل؟

رد عليها بسؤال:

- فرح، هل قررت الاحتفاظ بالطفل الذي في بطنك؟

اسودت الدنيا، وهوى القلب بين الساقين.

دأبت الملكة الأم على مناداته بـ"مليكي الصغير". لم يكن
والده قد صار ملكاً، بل كان حاكماً لمدينة في الشمال، وبينه
وبين كرسي العرش عشرة أسماء على الأقل. وجدها مرة
تحممه وهي تحادثه في هذيان أمومي. كل هذه البلاد ملكك
ستكبر وتصير ملكاً على هذه الأرض، وإن أردت فالعالم كله لك،
زعق ونهرها عن حديثها، للحيطان آذان. حذرهما من وصول
هذا التخريف إلى آذان الملك الحالي. لكن أم أميرنا لم تهتم.
بل واطببت على تغذية خيال الصغير، وكلما نهرها الوالد ردت
عليه: "بدلاً من هذا لم لا تسعى إلى أن يكون الحلم حقيقة،
ونعوض كل دقيقة".

الآن حينما يلتقيان في الحجرة الملكية، تشير الملكة الأم إلى
جسد الملك الممدد على الفراش موصولاً بالأجهزة ومحاطاً

١٨٠. غازات التحنيط، وتقول لابنها "لولا إصراري وتخطيطي،
١٨١. لنا هنا. والدك كان عجوزاً قبل أن أعرفه، كل ما أراه أن
١٨٢. س وسط صقوره وبنادقه، يخرج للصيد في الصباح، وفي
١٨٣. يجلس محاطاً بشعراء يمدحونه".

نحقق حلمها وصارت ملكة وابنها ولي عهد، لم يكن لدى
الملكة أي طموح سوى الحفاظ على الملك في قبضة يدها.
ثم أتى وقت الأمير الصغير، لينفذ أحلامه.

قالت الملكة الأم "كل هذه الأرض ملك لك إن أردت". لكن
الملكة الأمير لم تكن في هذا العالم، خياله معلق بالجنة التي
ساغها الإله هدية للمؤمنين الملتزمين. فتساءل الأمير الصغير:
إذاً ألا يصح أن يكون هدف الإنسان من تعمير الأرض هو إقامة
ملك الجنة؟

الرؤية الخفية لنيوم. صورة مصغرة للجنة، والملائكة التي
ساعد أميرنا هي الشركات الضخمة العاملة في مجالات البحث
العلمي، التكنولوجيا، عمالقة الترفيه، الدراسات والتجارب
الوراثية.. فتحت نيوم لهم أذرعها وأحضانها وطناً بديلاً. لا
يضطرون إلى دفع الضرائب، بل يشاركون في تشييد الجنة مع
أميرنا، حارس الجنة ومنشئ هذا الوطن الجديد لنخبة العالم.

كل وصف للجنة تعلمه الأمير في صغره من شيخه سعى
إلى إيجاد البديل العلمي له، لكن لغز سوق الصور كان ما
صنع الثورة الحقيقية، الثورة التي أخرجت التنين، والتنين الذي
امتطاه الأمير، فالتهم كل الثورات. أخبره الشيخ بهذا الحديث

الذي رواه الترمذي منسوبًا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقول فيه: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا، مَا فِيهَا شِرَاءٌ وَلَا بَيْعٌ إِلَّا اللَّهُ، مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، فَإِذَا اشْتَهَى الرَّجُلُ صُورَةً دَخَلَ فِيهَا" كيف إذا يمكن تحويل الناس إلى صور؟ خلق محاكاة لاه تحيا فيها تلك الصور؟

قبل شروق شمس أميرنا، وتوليه زمام الملك، كانت المنداء ، تموج بالثورات، الاضطرابات، الاقتتال، الصراعات الدموية النافه ، على السلطة، خرائط الدول القومية التي تنحل إلى أشلاء ، المفاهيم الثقافية. حتى لمع نجم أميرنا، وترسخ سلطانه فكش الغطاء، وألقى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون.

يمكن للجميع أن يملك النار، أن يشتري السلاح الكيماوي، أن يلقي البراميل المتفجرة والنابالم، أن يقتل، أن ينحر، أن يحرق. الخوف قد يرفع سلطانًا لكنه لا يديم ملكًا. أن تمتلك مفاتيح الجنة هو ما يجعل أنظار الجميع معلقة بك، لرضاك لتفتح لهم الجنة.

في البداية أقام جنته للشركات، للمؤسسات، للكيانات الدولية والمليارية العملاقة. وفر لها بيئة آمنة خارج إطار القانون الدولي، وخارج حدود الدول القومية. فوق القوانين الدينية أو الأخلاقية. نصبوا تمثالًا ضخماً للتقدم والتنمية.. التعظيم الأبدي للأرباح.

الصفوة التي اختارها لتشكّل مجتمع القمة في نيوم امتلكت صلاحيات الآلهة الصغيرة، أقامت الحداثق والجنان. لكن الأمر

١٠ الخطر المنصوب على مشارف الحدود. الجنة لا يجوز أن
١١ من حجرة وسط خراب العالم، وإلا أصبحت جنة حشاشين.
١٢ الم هو الذي يجب أن يكون حجرة داخل الجنة، لعبة يلها
١٣ الألهة التي تسكن الجنة.

استدعى الأمير خيرة فؤاده، خرج عليهم وأعلن كاتبه وأمين
١٤ إاره الأمر الملكي المكلفين به: "نريد سوقًا ما فيها شراءً ولأ
١٥ مع إلا الصور من الرجال والنساء، فإذا اشتهى الرجل صورة
١٦ حل فيها".

لم تنطق فرح. وضعت يدها على رحمها. اخترقتها عينها
الأمير، ثم افتر ثغره عن ابتسامة. رفع يده إلى الأعلى فهبطت
١٧ طوافة "دورون" صغيرة من السماء، تحمل عباءة من الحرير
١٨ الأبيض الموشى بمناظر طبيعية تصور رحلات صيد الغزلان
١٩ والصقور. ارتدى الأمير عباءته وربطها حول جسده ثم أشار
٢٠ بيده اليسرى فتقدم نحوه روبوت صغير ذو لون أبيض وأخضر.
٢١ خاطبها مشيرًا إلى الروبوت:

- اذهبي معه، وسأقابلك بعد الانتهاء من حمامي.

استدار الأمير وخطا فوق سجادة سحرية، ارتفعت السجادة
٢٢ بوصتين عن الأرض وأضاءت بنور أحمر، ثم تحول إلى اللون
٢٣ الأخضر، وحلقت مبتعدة بالأمير ولي العهد فوقها.

تقدم الروبوت من فرح، أحنى رأسه في تحية آسيوية،
٢٤ ثم نطق بصوت أنثوي بالإنجليزية: "من فضلك اتبعيني".

والنمور لحجرتي | 321

سارت فرح خلف الروبوت حتى وصلا إلى حجرة من حجرة الجرانيت تختفي وسط شبكة من النباتات المتسلقة، قوامها الجهنمية الحمراء وأفرع نبات الإكلير أو طربوش الملك. أذا رأس الروبوت بضوء أحمر، فبادله مقبض باب الحجرة الإشارة انزاحت الأغصان مبتعدة عن طريقهما. شاهدت فرح هذا الخدعة مسبقاً، نباتات معدلة وراثياً ومبرمجة إلكترونياً في الوقت ذاته. انفتح الباب فولج الروبوت وتبعته فرح.

(لئن جزعنا على الشباب أسي) تتلمس فرح معدتها بيدها. لم تعد تشعر بالأسى على شبابها الذي ولى مع أحمد، بل بالقلق من المستقبل.

انغلق الباب خلف فرح، فأظلمت الغرفة لثوانٍ. فكرت في الهرب لكنها تعلم أن الخروج من القصور الملكية دون تصريح من الأمير مستحيل. اكتفت بتشبيك كفيها على بطنها، وتخيلت في ذهنها صوت دقات قلب البيبي حتى تهدئ من روعها. أضيئت الغرفة بلون أصفر هادئ، ثم تحركت الأرض إلى الأسفل لتكتشف أنها في مصعد.

هبط المصعد. انفتح باب. سارت في ممر طويل جدرانها من الإسمنت وسقفه يسطع بنور أبيض، ورائحة حيوانية غريبة، كأنه سماد عضوي تعبئ الهواء. أمام باب المصعد توقف "توك توك" معدل. تقدم الروبوت، التصق بمقدمة التوك توك. اندمج جسده الإلكتروني في جسد التوك توك فاشتعل محرك التوك توك. تفاجأت فرح بأن شكمان التوك توك يُخرج عوادم

، بونية ودخانية، فمنذ جاءت إلى نيوم تلاحظ أن معظم
١- اائل المواصلات يعمل بالطاقة الشمسية أو الأورجانيك.

حادثها الصوت الأثوي للروبوت مرة أخرى:

- من فضلك اركبي في المقعد المخصص، واربطي حزام
الأمان.

ركبت فرح. سلمت أمرها وقالت في سرها ليكن ما يكون.
إذا كان الأمير ومملكته هزموا الثورة وأخذونا جميعاً أسرى، وإن
ثبت اخترت نيوم أملاً في مستقبل أفضل للنونو، وفرصة لعلي
اسنع فارقاً. ليكن ما سيكون إذًا."

"إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا
تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهروا أبدًا، وإن لكم أن
تنعموا فلا تبأسوا أبدًا."

ظلت فرح تقرأ هذه العبارة مرة بالعربية ومرة بالإنجليزية،
وهي تظهر وتختفي على الشاشة المقابلة لها. لم تدرِ هل مرت
ساعة أو ساعتان، تركها الروبوت في تلك الحجرة مع أربعة
كراسي، وبابين مغلقين، وشاشة لا تعرض سوى هذه العبارة دون
تفصيل. حاولت تذكر أين قرأتها من قبل، لكن لم تسعفها
ذاكرتها.

خدرها تكرر العبارة وإضاءة الغرفة، وأوشكت أن تنام على
روحها، لولا أن انفتح الباب فظهر الأمير في ثوب أبيض وعقال

واللمور لحجرتي | 323

وشماغ، يتبعه روبوت آخر لم تره من قبل ذو هيئة بشرية كاملة، وترتدي ملابس أنثوية.

قامت من الكرسي ما إن دخل عليها الأمير. اقترب هـ حتى لم يعد يفصل بينهما إلا شبر. جسد الأمير ضخم وطولها ينظر إليها من أعلى. مد يديه وأحاط بوجهها. شعرت بالتقرز، لكن انسابت من ثوبه رائحة عطر بددت رائحة السماد العضوي المشبع بها هواء الغرفة. تغلغلت رائحة الأمير بأنفها وجهازها العصبي، لتعبث بمكونات تركيبية جسيمات الكيمائية.

أحست بحكة في أنفها، ورغبة قوية في العطس، وقبل أن تفلت العطسة أخرج الأمير من ثوبه منديلاً قطنياً منقوشاً على حوافه الشعار الملكي الأمير. عطست فرح في المنديل، وحم فتحت عينيها اختلف كل شيء حولها، الرؤية أوضح، الألوان تلمع، الجدران مفتوحة على المدى، والأمير ملاك وفتنة، قلبها يدق، وكسها ابتل، ارتوى الظمأ.

ابتسامة ظفر على وجه الأمير، قال:

- أبشر.

رفع يده عنها، فافتقدت لمستته وودت لو تحضنه. اندهشت من تحول مشاعرها. فارت رغبته داخلها حتى شعرت بها في حلقها. اضطراب مشاعرها وهرموناتها المفاجئ ذكرها بحالتها حين تناولت حبوب "الإكستاسي" لكن بينما يعبث الإكستاسي بكيمياء الجسد مُطلقاً فيرومونات الحب والسعادة في كل اتجاه.

ه الان هرموناتها ومشاعرها ورغباتها بركان ينفجر حصريًا فقط
(. انجاه الأمير.

ربطت بين استنشاقها لعطر الأمير وما يحدث، وخمنت أن
الامر الذي يضعه له تأثير بيولوجي على من يستنشقه، لكن
ه ا لم يغير شيئًا من رغبتها التي تفور خارج حدودها، وتغرق
،اللمان العسل في قلبها وكل ما حوله، عيناها لم تفارقا وجه
الأمير.

صفق الأمير بكفيه، فانفتح الباب الآخر. ظهرت ماما كريمة
ا. روبها الأبيض وبجوارها يقف الخال سام إسماعيل وطوق
..مدني حول رقبته. سبقها الأمير وعبر الباب، مشت فرح خلفه
سطوتين وشعرت بدوار خفيف. كادت تتهاوى لولا أن أسرع
ماما كريمة نحوها واحتضنتها. تشبثت فرح بماما كريمة، سألتها:
- هل أنت بخير؟

حاولت فرح تنظيم نفسها، نظرت ماما كريمة إلى الأمير
واستنشقت نفسًا عميقًا ثم خاطبته:

- يا رب السماوات، هذه جرعة كبيرة على البنت
المسكينة، لم تكن تحتاج إلى كل هذا من إكسير الغرام،
كانت ستقع في حبك بسهولة حتى من دون الإكسير.

ضحك الأمير ولم يرد. أعطاهم ظهره ومشى يتبعه الخال
سام مطيعًا ككلب ذليل.

احتاجت فرح إلى ثوانٍ في أحضان ماما كريمة، ضربات فاه،
متسارعة، خدر في أطرافها، ساقان كالمكرونة الإسباجتي، تماها
السيطرة على جسدها لكن إرادتها رمال تذروها الريح، والر،
تفيض داخلها فتغرق وتعطل كل شيء آخر. همست ماما كريمة،
في أذنها: "لا تخافي، إنها أنفاس بسيطة من إكسير الحب،
تقاومي واتركي نفسك لها". أشارت ماما كريمة للروبوت الأنور
وقالت بالإنجليزية: "أجائي.. ماء من فضلك". هرول الروبوت،
نحو الداخل وتبعته ماما كريمة وفرح.

هنا سدرة المنتهى. تحدثت ماما كريمة دون أن تنطق أو
تحرك شفيتها: "من دون الأثير الذي تستنشقينه ما كان لك أن
تدخلي. إن تقدم غيرك احترق".

توقف الموكب أمام حوض دائري ضخم، مغطى بقبه
زجاجية. قطر الحوض يتجاوز الخمسين متراً. داخله شاهدت
فرح شوارع، بساتين، جبلاً، أودية، أنهاراً، مباني مهدمة، سيارات
محترقة. حالة حرب.

ضم الأمير يده إلى صدره في امتنان، نظر إلى الخال سام،
وخاطبه "بارك الله فيك"، ثم التفت إلى ماما كريمة وأضاف
"وفيمن سخرك لطاعتنا".

دون أن تنطق ماما كريمة انساب حديثها داخل عقل فرح،
مثلما تنساب الأحلام فنستيقظ مُتذكرين من زارونا في الحلم
وأين ذهبنا وماذا عرفنا. ماما كريمة تنقل ما تعرفه إلى فرح.

مؤذج المدينة الخرب لم يكن إلا مدينة "حلب". اقتربت فرح
، الحوض ودققت النظر، فرأت قافلة صغيرة من الأطفال
، الأمهات، بشرًا صغارًا مختبئين في ظلال الجدران المهدمة
، الملال المدينة المحروقة.

"هنا سوق الدنيا" همس صوت ماما كريمة داخل عقل
، رح.

"بل مملكتي أنا، العالم كله مملكتي" همس صوت الأمير
، احل عقل فرح.

رأت فرح عائلة مكونة من أم وشاب مراهق وثلاثة أطفال،
استداروا خلف مبنى فلم تعد تراهم من زاويتها، ثم في عقلها
لمن يحلم مستيقظاً رأتهم من منظور الأمير الذي يقف في
الزاوية الأخرى.

شعرت بالفزع من الرؤية، ثم أدركت أنها داخل عقله.
نرى ما يراه.

همس صوت ماما كريمة في رأسها: "مقدار بسيط من
قدراتك يا فرح، بوسعك التجول في عقله كما تريد، لكن
لأن هذه الزيارة الأولى، إياك أن تثيري الجلبة أو الضجيج، لا
تتري أثرًا خلفك، لا ترسلي إلى عقله أي رسائل، ولا تزرعي أي
أفكار، لأن الملكة الأم باستطاعتها تتبع الأثر، ونحن لا نريد لها
أن تعرف بأمر كامل قدراتك شيئًا. افتحي الباب له، واتركيه
يحكي هو. سيظن أنه من يتحكم في الاتصال، استمعي وتجوولي
دون أن يشعر بك في عقله، اشربي وتعلمي كل ما يطاله عقلك".

والنمور لحجرتي | 327

- انكشف لفرح أرشيف كامل من الوجوه والأرقام. لكنها تجاوزت هذه الجدران وتقدمت للخلف.
- انجلت الصور بلغات غير مفهومة، لكن الحروف أفصحت عن مكنوناتها. لم تصدق وعد البيولوجيا لكنها بدت كحقيقة. فالوعي ليس أنا فردية، بل يتسرب مع الأحماض والجينات الوراثية.
- قامت أمام فرح سلالة من الأجداد تمتد لآلاف السنين، من الصحراء خرج المقاتلون والرعاة الأوائل. قبائل تتوالد وتتقاتل، تتحد وتنفصل لتصنع تاريخًا زائلًا، يترك أطلالاً تغمرها الرمال.
- رفعت فرح رأسها ، حوض "حلب" لتجرب الأمير يشير إلى أحواض أخرى تمتد في كل أنحاء القاعة. انساب حديث الأمير مخاطبًا فرح: تحديان يواجهان الحياة على هذا الكوكب. الأول. تضاؤل الموارد. كل هذا العدد المتزايد من البشر لا يمكن أن يعيش معًا، لا توجد مساحة للجميع. لهذا تنتشر الحروب، ولهذا نستثمر في أدوات القتل أكثر من استثمارنا في القطاع الصحي وأدوات الحياة. إن استمر ارتفاع متوسط عمر الإنسان مثلما هو الوضع في السنوات الأخيرة سيقتل بعضنا بعضًا على

على الموارد الشحيحة،
خصوصًا والجشع يسيطر
على الجميع. الكل يريد
حياة الملوك.. هل يمكنكِ
تصديق ذلك؟

أنا وجدت الحل لآلام
الإنسانية، بمساعدة
كريمة من د. كريمة
وتابعها المطيع سام
إسماعيل، صنعنا هذا
النموذج للحياة البديلة.
بإمكاننا الآن تصغير
عشرات المدن والرقع
الجغرافية الزراعية
والرعوية وإقامتها في
هذه الأحواض، ثم تحقير
البشر واختطافهم ذهنيًا
ليعيشوا ويقيموا هنا
تحت إشرافنا.

طبعًا إن عرضنا الأمر
على الناس سيرفضون.

كادت تغرق في الرمال،
فعدت إلى نقطة أقرب رأت
جد الأمير يقود جيوشًا من
الإخوان ويصنع من الرمال
طينًا ومن الطين حجرًا
ومن الحجر بنيانًا، والأرض
تنشق فتفتح كنوزها، تخرج
دهبها الأصفر والأسود

جعل الجد المؤسس ميراث
الملك والمملكة حصراً بين
أبنائه، وأخذ البيعة من دواب
الأرض كافة، من يمشي على
قدمين ومن يمشي على أربع.

انتبهت فرح، واختبات
خلف ذكرى من ذكريات
الأمير الجنسية، عند أول مرة
اكتشف فيها الاستمنا. من
خلف الذكرى شاهدت عيني
الملكة الأم، تراقب الأمير
الابن. تغذي طموحه وتزرع
فيه رؤيتها.

البشر يا فرح جنبا
 يخافون التغيير ويخشون
 كل تجديد. لكنهم في
 النهاية إخوتنا وأبنائنا
 الصليب الأحمر، الهلال
 الأخضر، الخوذة
 البيضاء، فرق الإنقاذ
 وإعادة الإعمار... إلخ
 الضحايا في السنوا
 الأخيرة لا يموتون، ولا
 يختفون، بل نقلهم إل
 هنا.

- وهذه المرحلة الأولى
 التجريبية، بعدها سنعلن
 انتهاء الحياة الأرضية.
 سنقيم استعراض معركة
 نهاية العالم، "أرمجدون"
 النهائية، ثم أتجلى
 وأقودهم إلى هنا. إلى
 لجنة الأمانة.

- انهارت الذكرى التي تختبئ
 خلفها فرح. أحست بالخطر،
 لكن صوت ماما كريمة أتاها
 من بعيد "لا تتحركي من
 مكانك وإلا رصدتك أمه".

- انقشعت صورة أخرى،
 فحتى سن الرابعة عشرة
 كان الأمير الغاضب لا
 يستطيع النوم إلا في حضن
 أمه الملكة. هالة برتقالية
 تحيط بالاثنين على الفراش
 الأبيض، اقتربت فرح
 بفضول واثقة باختباء سر
 ما، لكن ظهرت ماما كريمة
 ورمت عليها قماشاً من
 الدانتيل الأسود، وسحبها
 بعيداً وهي تهمس بصوت
 متسارع: يجب أن نهرب
 من هنا فوراً، سترانا.

- سقط حجاب الدانتيل.
 أبصرت فرح ماما كريمة
 تقف مرتدية المايوه

لكن كيف سنقنع البشر
بأنني المخلص الحقيقي
لا المسيح الدجال؟

+عند هذه النقطة
توقف الاثنان أمام
حوض غير مكتمل
البناء.

ميزت فرح نهرًا حزينًا
يقطع أرض الحوض،
وعلى جانبيه رفع بنيان
القاهرة. نظرت إلى اليسار
مدينة ساحلية أخرى،
رأت فيها الإسكندرية.
سألت فرح الأمير: "لماذا
بنيت المدن نموذجًا من
شكلها الحالي".

- الأخضر الذي شاهدتها به
للمرة الأولى على شاطئ
سيناء، خلفها صف من
الأشجار الخضراء. غابة
اصطناعية. مدت فرح يدها
فوجدت الخلفية ليست
بغابة، بل قماش مطبوعة
عليها صورة الغابة، ورق
حائط يمتد من الأرض إلى
السماء ومن أقصى الشرق
إلى أقصى الغرب.

سألته فرح: "لماذا لا يمكنني
أن أرى ما تخفيه هنا؟"
فقالت ماما كريمة: "لا أخفي
عني شيئًا، بل الماضي الذي
جئت منه هو المستقبل،
والمستقبل غيب محظور
عليك".

تساقطت من السماء
قطرات من المن والسلوى.

شرح الأمير لها أن هـ
 النماذج نسخ تجريبية
 لكن النموذج الحقيقي
 الذي يطمح إليه
 يكون شبيهاً بأي مدينة
 على الأرض، بل جنه
 مصغرة من الذهب
 والفضة، وفي درجات
 متفاوتة سيعيش فيها
 البشر الصغار سعداء.
 أما تلك النماذج القديمة
 فستكون أدوات اللهو
 واللعب المخصصة
 للأسیاد والعائلات الملكية،
 وسكان الأرض الحقيقية،
 المستقبلية.

توقف الأمير أمام حوض
 الإسكندرية النموذجي
 وخاطب فرح، قد
 أترك هذه المدينة لك
 لتصميمها على رغبتك.
 لكن..

- من أعلى، هبطت كبسولة
 حمراء أشبه بطائرة
 هيلوكبتر لكن بلا ذيل ولا
 مروحة. ركبت ماما كريمة
 وأشارت لفرح فتبعتها.

- لم يعد هناك مكان للأسرار
 بيننا همس صوت ماما
 كريمة "ولا مكان أفضل من
 هنا لكشف كل الأسرار".

- أتيت من المستقبل لإنقاذ
 الحاضر والزمان الذي أتيت
 منه.

- بعد هزائم متتالية، وقرون
 من التنكيل بالنساء،
 انتصرت البيولوجيا ومستقبل
 الانتخاب الطبيعي. لم يعد
 التطور بحاجة إلى جينات
 الذكور، وعمليات التلقيح
 والتولد الذاتي أصبحت
 إجراء التناسل المناسب.

كرر الأمير سؤاله: "كيف سنقنع البشر بأنني المخلص الحقيقي لا المسيح الدجال؟"

نظرت فرح إلى ماما كريمة، لم تفتح شفيتها، ولم تهمس في عقلها. أنت الإجابة من الأمير.

إنني على دراية بقدراتك يا فرح، حتى تلك التي لا تعرفين شيئاً عن وجودها. وبمساعدة د. كريمة، والتكنولوجيا والمعارف التي تمتلكها هنا، يمكن أن نفتح لك أبوابها. وبالبدور الصالحات الطيبات، ابنك سيمتلك أضعاف أضعاف تلك القدرات، حتى إنها ستدير الأعناق وتذهب الأبصار.

تم هذا ببطء شديد، وصراعات ضد خرافات الدين والأخلاق، وتحت البيروقراطية التافهة لمنظمة الصحة العالمية. بدأ الأمر بتلقيح الأطفال عند الولادة بمضادات الفيروسات والأمراض المختلفة، ثم إطعام الأم كميات مختلفة من الفيتامينات والمقويات في أثناء الحمل، ثم تطعيم الأجنة، ثم تلقيح الأجنة بالبروتينات والأحماض الجينية لتفادي أي أمراض وراثية، ولزيادة فاعلية نظامهم المناعي. وأخيراً مبادرة نخبة العائلات ملوك وأثرياء حكام الكوكب.. اتجهوا لإيقاف التناسل قبل التزاوج الطبيعي، والاعتماد على تصنيع الأطفال معملياً بالكامل، لإنتاج ورثة مناسبين لتولي الملك وتنميته.

<تبدى العرض جليًا
لفرح. من أجل حياة
أفضل لها ولابتها/
ابنها. من أجل تأمين
المستقبل. من أجل
الاستقرار والأمن والأمان.
فالسلم التام بالخضوع
لمولاي الإمام.

"حرية الفرد قبل حرية
الجماعة" همس صوت
ماما كريمة. "لا خلاص
إلا الخلاص الفردي، إن
تحررت أنتِ فبوسعكِ
تحرير جنسنا كله في
المستقبل من الهيمنة
الذكورية".

ماما كريمة بخبرة
الأنثى المتحررة تعرف
أن مثل هذا النوع من
الاتفاقيات لا يتم بإقناع
العقل. مدت يدًا نحو
ويدًا نحو فرح.

- "الأخطاء تحدث" قالت
ماما كريمة.

أكملت "وأنا هنا لأرجوك
أن تقبلي عرض الأمير.
بذلت جهدًا كبيرًا لزراعة
الفكرة في رأسه، وإيهامه
بأن الكمال ليس في الجينات
والمعمل. طفلتك لن تكون
ورثة المملكة، بل مؤسسة
العالم الجديد. الراكضة مع
الذئاب، مبددة التغول
الذكوري، منقذة كوكب
الأرض وموارده من تبارز
الذكور وتنافسهم".

- "لن تكون أنثى أو ذكرًا، بل
ستنهي تصنيف الجنسين
للشعر".

- "في جيناتها الدر كامن،
روحها قبس من نورك،
بوجودك في العائلة الملكية
ودعمي لكما، سنحافظ على
هذه المملكة وسنسخّر

أحاطت الاثنين بذراعيها،
وتعانق الثلاثة.

- تلك الموارد لأهداف أكبر
من الطموح القبلي الضيق
للملكة الأم".

- نظرت فرح من نافذة
الكبسولة الحمراء، فشاهدت
محيطاً أزرق يمتد أسفل منها
إلى ما لا نهاية، ثم هوت
الكبسولة في المياه الزرقاء..

- أخذت الكبسولة تهوي إلى
الأسفل، وعند كل مستوى
شاهدت سلاله الحياة
الطبيعية على الأرض تعود
لأصولها، كأنه التطور
معكوساً، اسودت المياه
فاختفت الفقريات. ملعت
سريعاً واختفت اللافقريات.
رأت البكتيريا التي عاشت
منذ ملايين السنين، استمر
الهبوط والتوغل وصولاً إلى
اللحظة الأولى،

ثم..

عمّ الظلام حتى داخلها..

ثم فتحت فرح عينيها، فرأت الأمير بصدرة المشعر جائئاً عليها. شعرت بعضوه الثخين يرهزها. أدارت رأسها يمينًا ويسارًا، وقبل أن تستوعب المشهد جرفتها النشوة العارمة. تيبست عضلاتها وتزايدت انقباضات رحمها. ثوار الأمس هم متسلطو الغد. محبو الندم، هكذا يقولون. لكن في رعشة اللذة رأيت فرح الثورة الحقيقية.

الثورة

لا تكون أبدًا وسط الجموع.

الثورة منبوذة، مجرمة، شريفة، ملعونة.

رؤية لواقع يظنه الآخرون خارج الحياة المعاشة.

أحاطت فرح جسد الأمير بيدها، واتخذت قرارها أن تبدأ ثورتها.



t.me/qurssan



t.me/qurssan

الفصل الخامس عشر

شبيك لبيك

"سيداتي سادتي، شكرًا على وجودكم، كان بإمكانكم أن تكونوا في أي مكان آخر، لكن اخترتم أن تكونوا بصحبتنا هنا. اسمحوا لي أن أرحب بكم بهذه الهدية البسيطة." قال الساحر مجدي هذه العبارة، ثم لوح بيده فظهرت فيها وردة حمراء.

"أوه لحظة، بالطبع لم أقصد هذا" رمى الوردة في الهواء نحو الأعلى، فأمطرت فوق الحضور آلاف من بتلات الورد. ضحك بعضهم، وشفق البعض الآخر.

بهذه البداية المرححة افتتح الساحر مجدي عرضه السحري، بشعره الأشقر وعينيه الزرقاوين ولكنة بريطانية.

"أنا أعرف.. الكثير منكم مشغول، إن كنتم من سكان المنطقة الثانية في نيوم، فبالتأكيد جدول أعمالكم دائماً ممتلئ. اقتنصتم هذه الساعات للترفيه عن أنفسكم". بينما يتحدث، ظهرت في يده كرة تنس، يرميها على الأرض فترتد إليه.

يرميها مرة ثانية فتنقسم، ترتد وقد صارت كرتين، أمسك واحدة ورماها مرة أخرى، ارتطمت بالأرض، انقسمت وأصبحت كرتين. تكاثرت الكرات على المسرح. ترتطم بالأرض لتقفز في الهواء ثم تعود بالقوة ذاتها لترتطم بالأرض. شكلت الكرات عرضاً راقصاً يصاحبه في حين استمر حديثه "أنتم أذكيا، تعرفون بالتأكيد أنه لا يوجد سحر، بل أسرار وخذع تمزج العلم بالفن بالهندسة"، تكاثرت كرات التنس الراقصة حوله حتى أصبح صوت ارتطامها بخشبة المسرح كدبيب كثيفة من الأذى العسكرية.

"لكن في عرض الليلة، لن تحصلوا على التسلية، بل أعدكم أن يخرج كل واحد بفائدة، بمعلومة واحدة على الأقل عن نفسه، بفكرة جديدة، منظور مختلف". رفع ذراعيه إلى أعلى وضرب بهما الهواء. هوت كرات التنس كلها إلى الأسفل، ارتطمت بالأرض لكن لم ترتد بل التصقت مشكلة رقعة من اللون الأخضر الفسفوري على خشبة المسرح.

وقف فوق الرقعة الفسفورية الخضراء، انطفت أنوار الصالة ولم يعد هناك إلا كشاف واحد مُسلط عليه. تغيرت نبرة صوته وخاطبهم: "لتحقيق هذا الوعد.. سيداتي سادتي، أريد

من كل شخص فيكم أن يغمض عينيه ويفكر في عيب واحد، نقطة ضعف لم ينجح في التخلص منها. أرجوكم فكروا لثوانٍ وحددوا مشكلة واحدة تؤرق حياتكم".

فرقع الساحر مجدي سابقًا ديفيد كوبرفيلد حاليًا إصبعيه، فانطفأت الأنوار وأظلمت القاعة. مرت ثوانٍ من الصمت والظلام. أضيء النور فجأة فشاهدوا على المسرح ديكور عبارة عن بيضة ضخمة، وبطة بارتفاع أربعة أمتار تحتل نصف مساحة المسرح تواجه الجمهور بجانبها الأيمن. تعالت همهمات الجمهور، لكنه خاطبهم: "نعم.. نعم.. أعرف أن بعضكم الآن يشاهد بطة بيضاء خلفي، البعض لن يري، البعض الآخر ستظهر له البطة ثابتة كأنها ديكور خشبي، آخرون سيرونها فرخة بيضاء لا مشكلة في ذلك. جميعكم على حق وجميعكم تشاهدون الشيء نفسه. أريد أن تتذكروا.. الصورة ذاتها لو صورت بكاميرات مختلفة أو فلاتر مختلفة ستظهر بأشكال وألوان مختلفة، ولا يعني هذا أن أحدكم على خطأ. الحقيقة دائمًا موجودة لكن ألوانها متعددة".

دخل المسرح من الجانب الأيسر عامل من عمال المهلهي يجر عربة يد محملة بالغلة والعلف الزراعي والردة، قلب العربة أمام البطة ثم انصرف بالعربة الفارغة. قال الساحر "الآن لنعد لأحلامنا، أسفل مقعد كل واحد منكم سوف تجدون ظرفًا أزرق".

ضجت القاعة بحركة الجمهور وهم يجذبون الظرف ويفتحونه. أكمل الساحر "داخل الظرف ستجدون قلمًا وورقة بيضاء، أريد من كل واحد أن يكتب العيب أو نقطة الضعف التي يفكر فيها. لدواعي احترام الخصوصية لن يطلع أحد على ما ستكتبونه في الورقة، ولن يعرف أحد نقطة ضعفكم، إلا إن أردتم مشاركتها".

بدأ بعض الحضور يكتب بحماس، في حين تردد البعض، استدار الساحر إلى البطة. مد يده في كومة السماد الذهبية، ورفع كبشة إلى أعلى فانحنت البطة وبمنقارها الأصفر أكلت من يديه، ثم غمست منقارها في كومة العلف.

وجّه حديثه إلى الجمهور: "الآن سؤال للسيدات الفضليات معنا، كم واحدة لا تمكنها رؤية البطة على المسرح أو النعامة التي دخلت للتو ودفنت رأسها في الرمل؟"

وقفت نحو عشرين سيدة في البداية، يتلقتن حولهن في تردد. المرافقون لهن أشاروا إلى المسرح: "كيف لا ترين البطة".

سأل إحدهن "سيدتي، ما الذي ترينه على المسرح؟" ردت بأنها لا ترى سوى كومة من الرمال الصفراء. شكرها وطلب منها الجلوس. كرر سؤاله لبقية النساء: "من منكن لا ترى أي شيء على المسرح؟"

موجة من الهمهمات والأصوات المدغمة بين الحضور. البعض رأى حديقة حيوان كاملة، آخرون رأوا أسرابًا من الطيور الحوامة، الغالبية رأت البطة على شكل ديكور خشبي ثابت.

ثلاث نساء أنكرن وجود أي شيء على المسرح. فطلب منهن الصعود إلى المسرح.

صفق الجمهور لهن وهن يتقدمن إلى المسرح، حليلة ترتدي الحجاب والعباءة العربية السوداء. صافيناز صعدت بصعوبة نتيجة لحجمها الكبير ووزنها المفرط، ترتدي فستاناً قطنياً واسعاً وتحتمي بقصة شعرها الشقراء التي تتلمسها بين الفينة والأخرى، وأخيراً سترومي دانيلز سيدة فخمة الأبعاد، ترتدي شورتاً قصيراً، وقميصاً بلوجو علامة تجارية، ووشم غامض على ذراعها.

سأل الساحر مجدي الجمهور: "هل ترونهن جميعاً؟"، سرت ضحكة بين الجمهور تخللها بعض أصوات تهتف بـ "نعم" بالإنجليزية. رحب الساحر بالسيدات وسألهن: "وبالطبع يرى بعضكن بعضاً". ضحكن وجاوبن "نعمين".

طلب منهن الوقوف صفاً مواجهاً للجمهور بالقرب من البطة الرابضة مكانها تراقب في صمت. توجه بحديثه إلى الجمهور: "حين بدأت هذه المهنة، مثل الكثير منكم في هذه القاعة قالوا لي لا فائدة مما تفعله، كنت تائهاً ولم يكن لدي سوى شغفي بالسحر. هذا هو الدرس الأول". رفع الساحر مجدي إصبعه. خفتت الإضاءة في المسرح.

اشتعلت النار في إصبع الساحر. ارتفع صوته "لا بد أن تؤمن بشغفك، شغفك هو ما سيقودك إلى حلمك". استدار ووجه حديثه إلى السيدات الثلاث وخاطبهن: "من منكن آمنت

بشغفها وحلمها سيداتي؟ بل لنطرح السؤال بصيغة أخرى.. من منكن ترى نار الشغف في يدي؟". رفعت حليلة يدها "أنا أراها" قالت. خاطب الساحر استرومي: "وأنتِ سيدتي، هل ترين النار؟" هزت كتفيها: "لا أرى شيئاً".

وضع يده الأخرى على ذقنه، استكمل خطابه "لكن إيمانك بشغفك ووصولك إلى حلمك ليس كافيًا لكل شيء، الآخرون ليس شرطاً أن يروا ما تراه. الدرس الثاني، كيف نكسب الآخرين؟ كيف نقنعهم بوجودنا؟ الخطوة الأولى أن نقرب منهم، أن نحاول إنشاء علاقة معهم"، مد يده في جيبه وأخرج علبة سجائر مدها إلى السيدة استرومي دانيليز قائلاً: "سيجارة؟"

تناولت استرومي سيجارة من العلبة وهي تضحك، طلب منها أن تضع السيجارة في فمها، ثم نفخ في إصبعه المشتعل بالنار. انطفأت النار، لكنه مد يده إلى السيجارة في فم استرومي، بطرف إبهامه لمس طرف السيجارة فاشتعلت من دون نار.

دوى التصفيق في القاعة. همت استرومي وحليمة بالانصراف، لكن أوقفهما بإشارة من يده، طلب من استرومي إنهاء سيجارتها. ارتفع دخان السيجارة مشكلاً سحابة رمادية عند مستوى رأس البطة.

ضايق الدخان البطة، فتحت منقارها، وبطبطت. ارتعبت استرومي وحليمة، رفعتا رأسيهما، كادتتا تقعان من الغضة والمفاجأة. صرخت حليلة بالعربية "أعوذ بالله..". في حين وقعت السيجارة من يد استرومي. هدأهما الساحر مجدي. أبعدهما

عن البطة التي أخذت تكاكي وتببطب. استرومي تحاول
استرجاع نفسها، وتقول بالإنجليزية: "إنني أراها.. أرى البطة..
كيف هذا؟ إنها ضخمة جدًا".

صفق الساحر مجدي: "سيداتي سادتي أعتقد أن جميعكم
الآن يرى البطة على المسرح، هل هناك من لا يراها؟ صفقوا
إدًا معي للسيدتين الفاضلتين حليلة واسترومي". دوت القاعة
بالتصفيق. انحنى الساحر كوبرفيلد في تحية طويلة للجمهور.
اعتدل واقفًا ثم نظر خلفه فبدأ كأنما تفاجأ من وجود
صافيناز. طلب منها التقدم والاقتراب، خاطبها:

- آنسة صافيناز.. دعيني أضمن.. أنتِ لا ترين أي شيء،
ما زلتِ لم تشاهدي البطة، ولا النار من يدي، ولا
حتى السيجارة التي دخنتها مدام استرومي، ولا الأرنب
الأبيض الذي كان يقفز راقصًا حولك منذ قليل.

تلفتت صافيناز حولها كأنما تبحث عن الأرنب، لكن لم ترَ
سوى الخشب المصقول للمسرح أسفل منها، فردت:

- لا، لم أرَ شيئًا.

سرت همهمة بين الجمهور في المسرح، ارتفع صوت مدام
استرومي من بين الجمهور: "كيف لم ترَ السيجارة؟ لقد أعمى
دخانها حتى البط".

ذهب الساحر إلى كومة العلف الذهبية الصفراء، خاطب
الجمهور "هكذا يكون النضال من أجل تحقيق الأحلام".

نثر الساحر مجدي العلف على الأرض حتى غطى رفة كـ
كبيرة منها. ثم توجه إلى الجمهور "تعرفون أن بعض أنواع
الزجاج والمرايا يمكن صناعته من الرمل؟ شاهدوا معي هاـ
الحيلة التي تعلمتها مؤخراً".

اتجه إلى البطة الرابضة، نزع من جناحها ريشة، صرخـ
البطة صرخة عظيمة ثم اختفت من المسرح، في حين ظلـ
الريشة الضخمة التي يصل طولها إلى نصف المتر في يد السامـ
مجدي. عادت آهات الدهشة لترتفع في المسرح، صفق البعض
لكن الساحر شكرهم قائلاً: "أعرف أن بعضكم بالتأكيد وقع في
حب بطننا، لكن لتركز الآن مع صديقتنا هنا.. صافيناز، علم
الأقل هل تشاهدين هذه الريشة في يدي؟"

هزت صافيناز رأسها نافية.

"لا يهم" قال الساحر مجدي ثم اتجه إلى العلف الموضوع
كما الرمال الذهبية، مر عليه بالريشة، فتحولت الرمال إلى مرآة
ذات إطار خشبي. أشار الساحر مجدي إلى شابين في الصفوف
الأولى، وطلب منهما الصعود إلى المسرح.

"بطلان.. تمتلكان عضلات قوية" حادثهما الساحر مجدي ثم
طلب منهما رفع المرآة. أمسك المرآة كل واحد من طرف، كان
عرض المرآة نصف متر، وطولها يتجاوز المترين.

توجه الساحر بحديثه إلى صافيناز: "أنتِ ترين هذين
الشابين بالتأكيد". ابتسمت صافي: "نعم أراهما".

- هل ترين المرأة؟
- هزت صافي رأسها: "لا أرى شيئاً".
- خاطب الجمهور:
- هل هناك أحد في هذا المسرح لا يرى المرأة؟
- ...
- لا لم أسمع شيئاً، أريد تأكيداً جماعياً، كلكم، أريد أن تقولوا خلفي.. كلنا يرى المرأة على المسرح.
- دوى الصوت الجماعي: "كلنا يرى المرأة على المسرح".
- اضطربت صافيناز وأوشكت على البكاء. شعرت بالغبرة عن الحضور. خاطبها الساحر:
- الآن، صافيناز، لا يهم ما سيقوله الآخرون، سيحاولون تشتيت انتباهك، سينشرون طاقتهم السلبية. لا تستسلمي لهم. أنا هنا معك، ومثلما وعدتك سوف أساعدك في تحقيق حلمك.
- هدأت صافيناز، نظرت في عيني الساحر ديفيد كوبرفيلد الملونتين، فسكنت وأحست بالطمأنينة.
- إن كنتِ لا ترين المرأة التي يحملها هذان الشابان، فأرجو أن تعبري من خلال المرأة غير المرئية، أريد فقط أن تعبري من بين هذين الواسيمين.

خفتت الأضواء، مشت صافيناز خطوتين، عبرت لتدخل في المرأة التي لا تراها، شاهدها كل مَنْ في المسرح تخفي داخل المرأة. توجه الساحر بحديثه إلى الجمهور متظاهراً بالهمس:

- أحياناً يحتاج بعض الأشخاص إلى دفعة بسيطة لرؤية الحقائق المحيطة بهم، وهذه هي مهمة الساحر.. السحر لا فائدة منه إن أخرجت الأرنب من القبعة، أو نثرت أوراق الكوتشينة فوقكم، أو قطعت فتاة جميلة بالمنشار أمامكم وأعدت إحياءها، السحر ليس وهماً، بل الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة، أمد يدي إليكم لأساعدكم في تحويل حلمكم إلى حقيقة..

من جيبه أخرج منديلاً قماشياً، لَفَه حول قبضة يده، ثم هوى بها على المرأة فانكسرت. تهشمت إلى شذرات زجاجية. هوت كتراب الماس على أرض المسرح، فظهرت صافيناز وقد فقدت وزنها الزائد، تبددت الدهون من جسدها، ليس هذا فقط فالفستان الأزرق الذي كان كالشيكارا استبدل به عليها فستاناً قصيراً ملتصقاً بجسدها، مُظهرًا عودها الجديد وساقها المصقولتين، كل شيء في جسدها ومظهرها تغير حتى قصة شعرها.

شهق الحضور في المسرح، وشعرت صافيناز بالاضطراب. تلمست شعرها لتداري اضطرابها، لكن شعرت أن جدائلها ليست في مكانها.

نظر إليها الساحر مطمئناً، مد يده إليها، فمנحته يدها.

تصفيق الحضور لا يزال مستمراً، من الحماسة التي بثها العرض، من معجزة التحول، من قدرة صافيناز على تحدي نفسها وجسدها وخسارتها كل هذا الوزن.

من السحر الذي أشرق عليهم، فانبثقت الرهبة والخشوع.

وحدها صافيناز لم تدرِ ماذا يحدث. تدلت من سقف المسرح ثلاث شاشات ضخمة، عرضت عليها لقطات من المسرح والجمهور الذي التهبت أيديه من التصفيق. خاطب الساحر مجدي صافيناز:

- هل تعرفين لما يصفقون؟

هزت رأسها نافية وهمست وسط صوت دوي التصفيق "ربما على شيء لا أراه"

- هذه المرة يمكنك أن تريه يا صافي.

على الشاشة عرضت صورة صافيناز في جسدها وثوبها الجديد. صرخت صافيناز ووضعت كفيها على وجهها، تنظر إلى جسدها ثم إلى الشاشات المعلقة، وهي تردد بإنجليزية "فعلتها.. أنت فعلتها.. أنت فعلاً كما يقولون عنك".

فتح الساحر مجدي ذراعيه فاحتضنته، من الفرحة انهمرت دموع صافيناز. سألتها:

- هل يمكن أن أطلب منك أن تشاركي الجمهور هنا هدفك وحلمك الذي كتبتَه في الورقة؟

- بالطبع.. بالطبع.

قالت صافيناز وهي تمسح دموع الفرخ، في حين رفيقتها تتقدم إلى المسرح ممسكة بالظرف الذي يحتوي على أمنيته. تناولت صافيناز الظرف. أشار الساحر مجدي للكاميرا بأن تقترب. على الشاشة رأى الحضور صافيناز تفتح الظرف، وتخرج الورقة التي كتبت عليها أمنيته وحلمها.

الفصل السادس عشر

الحب ذئب ينبح ككلب

شخر ساحبًا البلغم العالق في زوره ثم بصقه في حوض الحمام. أوصل ماكينة الحلاقة بمقبس الكهرباء. شغلها ومشى بها على رأسه فسقطت شعراته الطوال وبانت صلته.

مع كل خصلة تسقط، يعنف نفسه على علوقيته، على سذاجته، وعلى إحساسه بالندم لأنه صدق في الحب، وأمن بارتباطه المصيري بفرح.

الحب وهم، وأنت أوهمت نفسك، بل الحب ذئب ينبح ككلب ويخدعك كل مرة بوفائه.

أدار رأسه أمام المرأة. لمعت صلته من كل اتجاه. أحس بمخه يلامس الهواء، وبحاجبيه أكثر بروزًا. نزل بالماكينة على

ذقنه. مقصات الماكينة الصغيرة، تجز الشعر. شعر بالغضب من نفسه ومن فرح، ثم تبدل الغضب قلة حيلة فماذا يفعل الآن؟ تساءل مع نفسه.

عاصفة من المشاعر المضطربة تمور داخل قلبه منذ وصلته الأخبار من فريد بيه. حزن، يعقبه ندم، ثم جلد الذات، ثم الغضب والرغبة في الانتقام، ثم الشعور بقلّة الحيلة واليأس فالعودة لجلد ومعاقبة الذات.

حين فرغ من حلاقة شعره، بدا وجهه أكثر بياضًا ولمعانًا. بلا شعر يغطيه إلا حاجباه. للحظة شعر أنه خرج من عاصفة المشاعر السلبية التي تسيطر عليه، من شوقه وحنينه لفرح. قرر أن يكمل حمامه، ويتصل بجاكي، الفتاة التي تعمل في البار وتبادلّه الابتسام والعلوقية. سأعود إلى الملاعب، لن أترك نيوم، سأخطو من هنا إلى المستقبل.

فتح المياه الباردة ونزل تحت الدش.

لم يستوعب نسيم ما حدث، عاد ذات مرة إلى الشاليه، فلاحظ اختفاء بعض أشياء فرح. وجد على طاولة المطبخ رسالة ورقية:

عزيزي نسيم،

اعتذر عن اضطراري إلى إنهاء الأمر بهذه الطريقة، لكن
يومًا ما ستعرف الظروف وتقدر موقفى وتفهم أن هذا أفضل
قرار لمصلحتك قبل أن يكون لمصلحتي.

أشكرك على الرحلة، والرفقة، وكل هذا الحب الذي أنقذني
من تحطيم نفسي، شكرًا

محبتى

فرح

حاول الاتصال بفرح، هاتفها مغلق. ولج الإنترنت بحثًا عن
وسيلة تواصل معها لكن كل حساباتها اختفت من الإنترنت،
بل لم يكن لها أثر بالأساس على الإنترنت. فتح أرشيف رسائله
معها على الفيسبوك فلم يجده. كاد يجن، فحتى إن اختفى
أحدهم من الفيسبوك أو أغلق حساباته يظل أرشيف محادثاته
موجودًا، لكن لم يكن هناك أثر لأرشيف فرح ولكل أحاديثهما.

أخذ يجول ويصوم في الشاليه يومها، ثم خرج يمشي على
غير هدى. في النهاية لمح الضوء في بيت فريد بيه، فذهب وقد
خطر له أن فرح يمكن أن تكون هناك.

رحب فريد به، وأنكر معرفته بمكان فرح، لكنه رجح أن
تكون في المستوصف الملكي. سأله نسيم إن كان بإمكانه أن يتأكد
من ذلك، لأنه -نسيم- لا يمكنه حتى الاقتراب من المنطقة

الخضراء حيث توجد الأحواز الملكية. أخبره فريد بيه أنه أيضًا لا يمكنه الاقتراب من الأحواز الملكية إلا بتصاريح خاصة، إن كانت لديه مقابلة أو مهام عمل هناك، لكن وعده بالسؤال عنها، وعرض عليه أن يشرب معه.

لطالما لاحظ نسيم نظرات فريد بيه، بل استغل محبة فريد بيه له وطلب منه سابقًا مساعدته في الحصول على تصريح عمل في نيوم. لم يكن نسيم بالساذج فهو يعرف منبع ود ولطافة فريد بيه تجاهه. نسيم لم يشمئز يومًا من المثليين، ومعظم من قابلهم كان لطيفًا معه، بل كثيرًا ما استمتع بمديحهم وغزلهم. وفي حالة فريد بيه يأتي الغزل والرغبة تجاه نسيم مغلفًا بغلاف من حلوى الأبوة المتفهمة.

شرب معه نسيم في هذا اليوم، وضغط عليه فريد أن يخبره بالسر الذي يخفيه. وحين أخبره باختفاء فرح والرسالة التي تركتها، صب له فريد المزيد من الشراب حتى بكى، ربت عليه فريد بيه وأخذه في حضنه. بللت دموع نسيم قميص فريد بيه، لكن حين شعر بانتصابه ابتعد عنه. شكره وقال إنه تعب ويريد أن يذهب إلى الشاليه ليرتاح وينام، عرض عليه فريد بيه أن ينام هنا، لكن نسيم انصرف سريعًا.

بعد هذه اللقاء بثلاثة أيام، لم تظهر فرح أو يات من طرفها أي خبر. زاره فريد بيه في الشاليه وحمل معه الأنباء. بدأ فريد حديثه بالاطمئنان عليه، وسأله عن خطته الآن. هل ينوي استكمال عمله في نيوم أم العودة إلى مصر، القاهرة.

اننى فريد بيه على عمله الموسيقيّ، وأكد ثقته بأن حفل إطلاق مشروعه "غرباء" سيكون حديث الأوساط الفنية والموسيقية في نيوم والعالم. قال إن لديهم في الإدارة خطة طموحًا للترويج والاحتفاء بالألبوم، لكنه متفهم إن كانت لديه أي قرارات أخرى بعد اختفاء فرح.

قال نسيم "إني بخير"، شكره على اهتمامه، ودعمه لحفلة "حجر الصحراء" في المهرجان العالمي إذ سيطلق الألبوم كاملاً. صمت الاثنان لدقائق، ثم قال فريد بيه، أنت تعلم، هذا الشاليه أعطيته لفرح لفترة مؤقتة حين أتت لتستكمل علاج ظهري، وبعد نجاحها في علاج رقبة وظهر الأمير، خدمة لمولاي ولي العهد، منحت لفرح الشاليه لتقييم فيه، لكن الآن وقد ذهبت فرح فد... لم يتركه نسيم ليكمل جملته، قال إنه بدأ بالفعل في البحث عن مكان جديد.

أشعل نسيم سيجارة ثم سأل فريد بيه: "لكن لماذا يقول ذهبت فرح؟ هل غادرت نيوم؟"

طلب منه فريد بيه ترك الموبايلات في الشاليه والخروج إلى البحر، وعلى شاطئ البحر نظر إلى الأعلى ليتأكد من عدم وجود طوافات المراقبة، ثم قال بجديّة: "هذه القصة انتهت"، طلب منه أن ينسى فرح، قال إنها غيرت اسمها ليصبح الجوهرة بنت سلطان بن سعيد الشهري، وتمت خطبتها لسمو ولي العهد الأمير، لتصبح زوجته الثالثة. وطبقًا لتقاليد القبائل العريقة لن

يتم إعلان الأمر، لكن القريبين من الدوائر عرفوا الخبر. الف. م
سيقام بعد يومين، واقتصرت الدعوات على الخاصة الملكية
سأله نسيم إن كان بإمكانه أن يوصل رسالة منه إليها. ر
د. كريمة. ضحك فريد، بل شخر ضاحكًا ورفض طلبه بالطبع

أطفأ نسيم سيجارته في الرمال، ثم رفع زجاجة الفودكا
إلى فمه. ابتلع رشفة الفودكا واستلقى على الرمال ناظرًا إلى
النجوم.

تذكر حين نام على رمال مشابهة بصحبة فرح. اهتاج من
الذكريات والحنين، لم يعرف هل يشتهي الجنس أم فرح. شعر
بانصباب عضوه. السماء صافية، القمر زاهر، النجوم أقل خفوفًا
هنا، لكن الشهب تلمع محترقة سريعًا في السماء.

ثم سمع صوتًا يخاطبه بالإنجليزية:

- لماذا لم تأت؟ لقد قدمت عرضًا مبهرا.

كان الساحر مجدي يحادثه بابتسامته المطمئنة. اعتدل
نسيم جالسًا، ورفع زجاجة الفودكا. تناول الساحر زجاجة
الفودكا منه وأشار بيده الأخرى إلى صلعته وقال:
- نعيمًا.

جلس الساحر مجدي بجوار صديقه. البحر أمامهما، القمر ساطع في السماء فوقهما، ومن خلفهما أضواء نيوم وضجيجها المكتوم. دون أن ينظر إليه الساحر مجدي خاطبه:

- مالك يا صاحبي؟ هتفضل شايل الهم كدا؟

رغم تحذير فريد لنسيم من خطورة أن يحكي أي شيء عن فرح وزواجها بالأمير، احتاج نسيم إلى أذن تستمع وصدر يشاركه ألمه. انحلت العقدة من لسانه وحكى للساحر مجدي عما كتبه في صدره. اتسعت حدقتا الساحر مجدي وهو يستمع لنسيم، رفع زجاجة الفودكا إلى شفثيه وأخذ رشفة طويلة، وحين انتهى نسيم من حديثه، سأله الساحر مجدي:

- وهل صدقت كلام فريد؟

- ولماذا لا أصدقه؟

- لأنه ليس مطالبًا بالحديث بالحقيقة إلا إلى ولي نعمته، وهذه القصة كلها يستحيل أن تدخل عقلي، لماذا ستترك فرح فجأة وتذهب لتتزوج بالأمير؟ فرح الكاتبة الثورية النسوية تتحول إلى سيدة في الحرملك.. هكذا فجأة دون مقدمات؟

استيقظت حواس نسيم، وأشعل سيجارة ثم سأله مجدي:

- إذًا ماذا تظن قد حدث؟

- لازم خطفوها مثلما خطفوا خالي سام إسماعيل.

بدأت مسألة الاختطاف منطقية لنسيم، اكتملت الثغرات في ذهنه. بالتأكيد فرح اختطفت، فالاختطاف والاستحواد والمصادرة والانتزاع هي تصرفات السلطة الشرعية الحاكمة وتراثها التاريخي المعروف. مرة ثانية تبدت حماقته جلية، اضطربت السردية في ذهنه. تذكر رسالة فرح التي حملت ما يشبه التحذير الخفي حين قالت إن قرارها هو الأفضل لها. ولها.

مد الساحر مجدي زجاجة الفودكا إلى نسيم. تناول الزجاجة، منه وعرزها في الرمال ثم قال:

- يعني أحيا صاحبي، شفنا الموت وشلنا جثث أصحابنا وجرينا وراهم في السجون. أكلوا ثورتنا ودهسوننا. وبعد كذا يخطفونا ونشتغل نسلهم. أهذا عيشنا يا مجدي؟ هذا عيش الضباع.

أحاط مجدي نسيم بذراعه، وهمس في أذنه:

- صبراً، بل هو التدبر والحذر

تفرض الإمبراطورية التي نحيا في ظلها نظاماً ينزع الرؤية من قاطنيتها. إن أي تصور للحياة خارج نظام الإمبراطور يبدو مستحيلاً، كأنه تهديد لاستمرار الحياة ذاتها. بل إن العلم والمعرفة أصبحا مسخرين في خدمة هذا التضليل.

الخروج من ظل الإمبراطور يعني الاحتراق بشمس الحقيقة.

طلب الساحر مجدي من نسيم أن يخلع ملابسه، ثم أخرج من جيبه بالونًا وأخذ ينفخه.. انتفخ حتى أصبح في حجم فقاعة تتسع لشخصين. خلع الساحر مجدي ملابسه، وطلب من نسيم الدخول إلى الفقاعة، ودخل الساحر مجدي معه. دفع الساحر الفقاعة نحو البحر، تدرجت حتى غطست في المياه. كانت المياه مظلمة، لكن حين رفع نسيم رأسه إلى أعلى شاهد القمر وضوءه الأبيض، فقدّر أنهما لم يغطسا أكثر من أمتار قليلة. جدران الفقاعة تتمدد وتتقلص، تنساب مع حركة تيارات المياه. في البداية ظن نسيم أن الساحر مجدي يرفه عنه بخدعة جديدة من خدعه السحرية، لكن ما إن هدأت حركة الفقاعة الغواصة واستقرت في القاع حتى كشف الساحر مجدي خطته كاملة لنسيم.

بعد أسبوع، من المفترض أن يقام مهرجان القرقيعان. وضمن فعاليات المهرجان سيقدم نسيم عرضه الجماهيري الأول أمام ما لا يقل عن خمسة آلاف من نخبة سكان نيوم. سيقام عرض نسيم في المسرح المفتوح بالجنيينة. في هذا العرض ستكون نقطة الصفر.

من المفترض أن يرافق عرض نسيم الموسيقى عروض بصرية سيتم تقديمها على شاشة ضخمة على المسرح. سيقدم الساحر مجدي كل المواد البصرية التي يفترض عرضها، وإضافة صوتية بسيطة. صوت طنين خافت سيركبه على مقطوعته الموسيقية. بهذا الصوت وبتلك الصورة سيطلق الساحر مجدي تعويذته.

تعويذة الساحر مجدي تحمل اسم "أغامبين" وتنقسم إلى قسمين. "الأمر شبيه بالمعركة الاستعراضية للنبي موسى أمام سحرة فرعون" قال له الساحر مجدي.

القسم الأول لكشف الحجاب، فكل من يحضر الحفل سننزع عنه بالضوء والصوت وهم الرؤية والخدع التسويقيه ليري الحقيقة. ما من شيء ها هنا حقيقي، بل صحراء جرداء عند نقطة محددة سيلقي الساحر مجدي ما في يده فتلقف ما صنع الأمير ود. كريمة هيجل. سينزع سلطانهما عن الحضور سينظرون حولهم فلا يجدون طوافات في السماء ولا سيارات كهربائية، ولا مباني تستعرض قدراتها الإنشائية، بل صحراء، ورمال تتشكل لتنتج لهم هذا السراب.

أما الجزء الثاني فهو الأصعب، وهو ما يحضر له الساحر مجدي منذ زمن، فمن ضجيج الموسيقى سيبيث الحماس في أجسادهم. "بصراحة يا نسيم، الجزء الثاني من التعويذة يعتمد عليك وعلى ما ستنتجه، إن تمكنت من التأثير فيهم وتحريك أجسادهم للرقص والحركة، فستعمل التعويذة ويتحول الحضور إلى ذئب الزومبي". اعتمد الجزء الثاني من خطة الساحر مجدي على إصابة الحضور بالعدوى الذئبية، وفيها تنكشف لهم حقيقة مملكة السراب، يفترس بعضهم بعضًا. مع كل عضة ستنقل العدوى إلى أشخاص آخرين. "الأمر شبيه بعدوى الحماس في المظاهرات، سنستغل حماس الموسيقى لنحولهم إلى زومبي ثوري، كل ذئب سيعض بشريًا آخر سينقل إليه العدوى وسيرى الخراب وسراب الصحراء حوله". قال الساحر مجدي.

"لكن كيف سيساعدنا هذا في استعادة فرح وخالك سام؟"
سأل نسيم متوجسًا من الخطة كلها، وقال في نفسه "ثورة
تاني، ونفشل تاني؟".

"سُحِدِثَ هذا ثورة، وفي الثورة فقط ومن خلالها يمكننا أن
نتجاوز أسوار الأحواز الملكية مع الجماهير، ويمكننا أن نصل إلى
فرح وسام" قال الساحر مجدي.

بان على ملامح نسيم التردد، عقد ذراعيه أمام صدره.
حانت منه نظرة إلى عانة الساحر مجدي وقال: "مش عارف يا
مجدي، محتاج أفكر.. بعدين إيه دا؟ أنت حتى شعر عانتك
صبغته بالأصفر؟".

ضحك الساحر مجدي وقد عادت إليه ذكريات سكنه
المشترك مع نسيم، والفرح المختلس بينهما. دفع نسيم بقدمه
خارج الفقاعة، فوجد نسيم نفسه في المياه الباردة. شهق فدخل
الماء إلى رنتيه. عانقه الساحر مجدي وصعد به إلى سطح المياه.
لطمه نسيم على ظهره: "تصدق أنك عيل خول بجد".

"أنا خول، أقول لك هنولع ونخربها ونعمل ثورة، تقول لي
أفكر؟ ليه؟ مين بقى خول؟ فين نسيم اللي كان في الصفوف
الأولى بيشيل قنابل الغاز في محمد محمود ويرميها على الأمن؟"
ألقي الساحر مجدي عبارته مقهقهاً.

بادلته نسيم الضحك والقهقهة. مياه البحر الملامسة
لجسديهما العاريين بثت فيهما شهوة بيضاء خالية من الدنس.
حانت شعر نسيم بالحزن يغادر قلبه، وبنور القمر يغسله. حانت

منه التفاتة إلى الساحر مجدي، فشهد ضوء القمر يزيل عنه،
صبغة الشعر الشقراء، وجسده يلمع بالضوء فيبدو كجسد آخر
غير ما عرفه نسيم، تحت القمر بدا الساحر مجدي ملاكًا.

بناءً عليه: الفصل الأخير

لم يكن بالإمكان إدراك تقادم البشرية في الزمن إلا بمُجاورة ومراكمة المعارف الإنسانية، وهو ما يتم عبر التبويب/ التصنيف/ التصنيف الفرعي/ التصنيف/ الجدولة/ الدفترية/ التأريخ.

تنظر فرح حولها إلى نيوم، فترى أكوامًا من تاريخ الماضي، كالثوب العربي للأمير، التمر ذا النواة الموضوع في طبق مجاور لطبق التمر الخالي من النواة المعدل وراثيًا، الزخارف الذهبية في أركان السقف، الذهب الذي لم تعد له قيمة كبيرة ومع ذلك يصرون على لطفه في كل زاوية، رائحة العود التي تغلف القصر. تفاصيل تتشبث بالحاضر أملًا في مكان لها في المستقبل. لكن تؤمن فرح بأن المستقبل سيكون قطعة كاملة مع كل ما كان.

مثلما نقف الآن غرباء أمام خدوش ورسوم إنسان أهل الكهف، ستقف أميرة المستقبل غريبة أمام حكاية أمها وحيرتها وهي تتحسس بطنها وتتساءل، هل والد ابنتها أحمد فنان الثورة والبيبيسي والإعلانات والمسلسلات، أم نسيم الذي أصبح فنانًا يحارب الإرهاب بالموسيقى، أم الأمير الذي فتح لها أبواب القصر الملكي وجسر العبور للمستقبل؟

لن تفهم أميرة المستقبل حيرة أمها، لأن الحاجة للأب، ستختفي بعدما يتم قتلهم أو تركهم للذبول في ظلال الطبيعة. تتمشى فرح في حدائق القصر الملكي المكيفة. استطال شعرها لكنها لم تغير لونه، احتفظت أطرافه بلون ليلة الحنة، في حين تلونت الجذور بالأسود. في قدميها خف موشى بخيوط من الذهب، ترتدي ثوبًا قطنيًا أبيض مطرزًا بخيوط من الحرير زرقاء، ومفتوحًا من الجانبين حتى أعلى فخذها، صدره مغلق وتبدل منه قلادة فيها وردة من الذهب الأبيض في قلبها تلمع قطعة ألماس. أساور من الذهب والفضة في ساعديها، مُعلقة بها تمانم وعزائم، هدية ماما كريمة للحراسة من العين. ورغم كل هذه النعم، أحيانًا يلعبها القلق فتسأل نفسها، هل اخترت الاختيار الصحيح من أجل طفلي؟

تنظر إلى السماء بنجومها اللانهائية، تدير عينيها في الحديقة، فترى الأشجار العالية تغطي أسوار القصر. تسأل نفسها، ماذا إن سألتني عن ماضيها؟

استعادت الرسالة التي كتبتها في الفصول السابقة، فكرت في تنقيحها، وتطويرها، لكن داهمها خاطر عابر.. ماذا إن اختفت الكتابة في مستقبل ابنتها الأميرة؟

ثم إنها تكتب بالعربية، ورغم أن نيوم تنتصب في قلب الصحراء العربية، فالعربية ليست بالتأكيد لغة المستقبل، وعلى الأرجح لن تكون لغة أميرتها. جلست فرح على حافة البحيرة في قلب الحديقة، ورأت اللغة العربية "فرس نهر" ضخماً، أطناناً من الشحم والتاريخ واللحم تلفظ أنفاسها في الماء وتضمحل موتاً.

أصابها وجل، تلفتت حولها فزعة، لم تعرف هل من رؤية حيوان "فرس نهر اللغة العربية" يغرق، أم تغيرات هرمونية، أم من تلك التعاويذ والمركبات السحرية التي تجبرها ماما كريمة على تناولها والتعرض لأبخرتها وأشعتها.

أغمضت عينيها لتصرف هذه الصور والأفكار المشتتة المفزعة، فسمعت ديبياً آتياً من طبقة "القرار"، موسيقى مكتومة تأتي من بعيد. رويداً رويداً ترتفع وتتضح أبعادها، الدبيب يصير إيقاعاً أساسياً حاملاً لحنًا مألوفًا. حلت ابتسامة على شفيتها، دندنت بصوت خافت مع الكلمات واللحن الذي استمعت لنسيم يعمل عليه، ويعيد تركيبه أكثر من مرة، ومع أصوات الإنشاد الجماعي همست..

غرباء.. غرباء..

أقيم الحفل في المسرح المكشوف للباحة الخلفية لدار الأوبرا الملكية، التي افتتحت مع بداية تأسيس الدائرة الأولى، لنيوم، على هيئة مبنى أسطواني يجمع بين الرخام والزجاج، تعلوه قبة على طراز القرن التاسع عشر، في انعكاس للأصالة والمعاصرة. كان هذا الصرح الثقافي الفخم والعظيم من أول خمسة مباني تم وضع أسسها قبل مد شبكة البنى التحتية، حتى إنه عند تسليم المبنى وافتتاحه، تفاجأ جمهور حفل الافتتاح من عدم وجود شبكة الصرف الصحي وأن الحمامات غير صالحة للاستخدام واستقبال شخاخمهم. يومها وقفت بجوار الصرح الفني شاحنات تحمل خزانات متصلة بحمامات متنقلة، انتصبت على عجل، بحيث تشفط مخلفات وبول وبراز ضيوف الأوبرا الكرام، حتى لا تتراكم في الحمام وتسد المبال.

ثم اكتمل مسرح دار الأوبرا، ووصلته شبكة الصرف الصحي. وبعد الافتتاح لم تعرف هيئة الترفيه ماذا تفعل في المبنى، فعروض الموسيقى الكلاسيكية والمسرحيات الأوبرالية لم تجذب الكثير من الجمهور، فتم حل فرقة نيوم للموسيقى الكلاسيكية على أن يستضيف المبنى حفلاً شهرياً للموسيقى الكلاسيكية، يظهر فيها دي جيه يلعب مقطوعات بيتهوفن وموتسارت المسجلة والموزعة إلكترونياً، في إيقاع حدائي عصري بدلاً من الفرقة التي لا يهتم بها أحد. أما بقية الأيام فجرت العادة على تأجير الأوبرا لحفلات الزفاف والخطوبة وغيرها من الممارسات الاجتماعية الجماهيرية. في هذا السياق تم استخدام المسرح من قبل إدارة مهرجان "السلام والحرية والتنمية المستدامة"

وهو مهرجان موسيقيّ استمر على مدار أربعة أيام، أما الحفل الختامي فأقيم تحت شعار "أسنان المشط والناس سواسية" لذا حضر الجميع رجالاً ونساء مرتدين الجينز وقمصاناً سوداء، في إشارة إلى حق المساواة، في حين تم اختيار نسيم لتقديم فقرة من ضمن فقرات الختام.

بدأ نسيم بإيقاعات مألوفة. الجمهور الغائب بين الكحول المجاني والمخدرات المطورة يتحرك ويرقص مُتمايلاً في ممر بين الواقع وأوهام الليل، أغاني مشهورة ابنة اللحظة تحتل قوائم الأعلى استماعاً، يمزجها ويفتتها نسيم، يستخرج منها جملاً لحنية، يكررها، يجعلها تتوازي وتتقاطع، فيتفاعل الجمهور وتوحدهم الذاكرة الجماعية. يخفض الصوت في لحظات ويحمس الجمهور فيتفاعل معه مردداً جملة من الأغنية، غالباً لم يكن يعطيهم مساحة ليرددوا ما هو أكثر من كلمة "حبيبي"، يهتف الجمهور ويزداد شبقهم، يندمجون أكثر، يتوحدون في نغمة واحدة.

تخرج الموسيقى من تحت يد نسيم، وتأتيه موسيقى أخرى من صراخهم وانفعالهم، ويسعى جاهداً لبناء جسر بين الإيقاعين، ليدمجهما في إيقاع ونبض واحد.

خلفه على المسرح تتلاعب الأضواء بالألوان، تلمع وتخفت حسب نغمة الموسيقى. ثم كما يتسلل الليث أثناء لعبه لمقطوعته الأهم "غرباء.. غرباء" أضيئت المصابيح والشاشات كلها بضوء أبيض زاهٍ، انفجرت الشمس فوقهم. انزعج الجمهور،

فبينما أحداقهم كانت متسعة في الإضاءة الخافتة، أصاب انفجار البياض حدقات وشبكات أعينهم بالخدر الضوئي. حاول بعضهم النظر بعيدًا، لكن الضوء الأبيض الباهر أقر من كل اتجاه، فعرئى الجميع وحرقت العين، في حين على صوت الكورال "غرباء.. غرباء" تصاعد الكريشندو الموسيقي.

اشتعل الضوء الأبيض لنصف دقيقة، ثم أظلمت كل الأنوار. في حين لم يخرج من السماعات سوى ديبب "البيز". أصيب الجمهور بعمى الضوء الباهر، ومع حلول الظلام حاولت أحداق أعينهم الاتساع للرؤية في الظلام، لكن الانتقال المفاجئ والسريع من الضوء الأبيض إلى الظلام نتج عنه تشوه في رؤيتهم، فقد لمعت أمامهم أشكال نورانية تتجلى وتتمحرق في اللحظة ذاتها، وتتجسد في هيئة أفراس بحرية صغيرة تلمع وتخبو فتذوب في الظلام.

تصاعد ديبب الموسيقي مرة أخرى، اقتربت عاصفة الأنغام لتشكل الحركة الأخيرة من سيمفونية "غرباء" ذات الإيقاع المتسارع والطاقة الهادرة، ومعها لمعت في هواء الليل الأفراس البحرية بألوان فسفورية خضراء وصفراء ووردية. يلمع الفرس الواحد للحظات ثم يختفي، ثم اشتعل مبنى الأوبرا الملكية في الخلفية بضوء أصفر ذهبي، وعلى هذا الضوء شاهد الجمهور المبنى الضخم والعجيبة المعمارية يذوب مثل قالب من الجبنة بفعل الحرارة. دوت صرخات من مناطق متفرقة في الحفل، وحين خرج من سماعات الصوت "لن نبالي بالقيود، بل سنمضي للخلود"، تجلت في الهواء أفراس البحر بأصواتها المتعددة وهذه

المرة لم تنطفئ، بل توهجت ثم انفجرت الألعاب النارية، وفي انفجارها اختفى مبنى الأوبرا الذائب، ومعه تبددت عجائب نيوم السامقة؛ ناطحات السحاب الكونية، شبكات المراقبة البصرية والصوتية والحرارية، المباني السكنية الفخمة وتلك المصممة لمتوسطي الدخل، الشوارع الذكية، الأرصفة الرخامية، وتلك البازلتية، مصابيح الشارع، الطاقة النظيفة، ألواح الطاقة الشمسية، زجاج واجهات المحلات، الروبوتات الآلية التي تنظف الشوارع، الطوافات التي تحرس السماء، الحوكمة الإلكترونية، أسواق العمل، الأسواق الناشئة، المشروعات الصغيرة، المولات التجارية، الحداثق ذات النجيلة الصناعية، الميادين التي تنتصب فيها التجهيزات والأعمال الفنية، الطموح، التنافس، السوق الحرة، الاستثمار، التنمية المستدامة.. والكثير مما يعد ولا يحاط به تهشم وذرته الريح. نيوم انطوت وصارت سرابًا، ولم يعد هناك سوى المسرح وأنشودة غريباء تتردد بالصوت الجماعي للمنشدين من دون موسيقى.



t.me/gurssan



بداية جديدة

أنكر نسيم الهزيمة.

داخل الكهف، اختبأ الثلاثة بعد هروبهم في الزمكان حيث طاردتهم الآلهة وقطاع الطرق والبرابرة وأجلاف الأعراب. وقف نسيم مُحْتَارًا، يحاول ترتيب وفهم ما جرى، ففرح التي قابلها في الصحراء أنكرته ولم يفقه حديثها، والخال سام الذي من أجله تورط في هذه المغامرة التخريبية يستلقي مُضْرَجًا بالدماء، جثة يحتضنها الساحر مجدي ويبيكي في صمت متوحدًا مع أحزانه.

لكن نسيم رفض الهزيمة، حادث نفسه: ليست هذه النهاية. فلقد شاهد الساحر مجدي وخاله يفعلان الكثير من المعجزات.

سحرة الحاضر، فتيات المستقبل، ملائكة الماضي، لا يمتن
بطعنة في الظهر. فالساحر مجدي الذي شاهده يقسم الأجساد
لنصفين، ويفلج الأرواح أربعة أرباع لا يمكن أن يعجز عن
مداواة جروح حبيته.

تلك المرة الأولى التي يرى دموع الساحر مجدي، المرة الأولى
التي تختفي ابتسامته الجذابة المتفائلة. الأمر جلل إذًا. تردد
خوفًا من الإجابة، لكن سأله في النهاية: "ماذا تبكي؟ اصنع
شيئًا؟ بالتأكيد هناك ما يمكن فعله؟ ألم تأتيا من المستقبل؟
أليس هذا مجرد جسد تستعيره؟". لم يرفع الساحر مجدي
وجهه المدفون في جثة حبيته، رد بصوت مكلل بعار الهزيمة:
"استخدمت كل طاقتنا في استدعاء أفراس الزمن وفي إدارة المعركة،
لهذا أصابها السهم، كان بإمكانها القفز من هذا الجسد الميت
لكنها دفعت بآخر طاقة في روحها لتساعد زورقنا على القفز
في الزمكان نحو هنا".

خرج نسيم إلى مدخل الكهف فشاهد في البعيد أطلال نيوم،
وسحابة من الغبار تغطيها، في حين تدوي في السماء فوقها
أصوات الطوافات والطائرات الحربية والمدنية، هناك في مدينة
الألف عجيبة، بعضهم يسعى إلى الهرب والنجاة، والبعض
بالتأكيد مثله ينكر الهزيمة ويحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه أو
ينتظر معجزة سحرية تنتشله.

من حيث أنت هاروت وماروت، مُنح السفر عبر الزمن، بعدما ظهر أخطر سلاح للإبادة الوجودية، أفراس الزمن. عكس الأسلحة التي عرفتها البشرية، فلا يمكن تخزين أفراس الزمن لحين الاحتياج إليها. ما دامت تم تخليقها للمرة الأولى فلا يمكن السيطرة على آثارها التدميرية إلا بحصرها في نطاق زمني محدد، وهو الأمر الأصعب من تخليق أفراس الزمن، فما إن يتم إطلاق أفراس الزمن حتى تتكاثر وتتمدد من لحظة إطلاقها إلى المستقبل، لكن كما الكون الذي يتمدد وينكمش في اللحظة ذاتها، ففي انكماشها تبتلع أفراس الزمن الحاضر، فيعود الحاضر إلى الماضي، وتختفي آثار اليوم من الرمال.

في ليلة حفل "غرباء" استخدمت هاروت آخر ما بقي معها من شحنة طاقة، في محاولة أخيرة للثورة وحرب ظلم الأوهام. غطى الضوء الأبيض المسرح، غُشيت الأبصار.

اشتعل الهواء بأفراس الزمن، فانطلقت تفتس نيووم.

أما من كانوا في الحفلة فانقلبوا من الداخل إلى الخارج مسوخ زومبي.

انفجر رأس أحدهم ونبت له رأس كتكوت في حجم طاولة مكتب، فتح منقاره والتهم مراهقة ترتدي بنطلوناً جلدياً أسود. سخط الضوء الأبيض سيدة شقراء فصارت رأساً يحمله قدمان في حجم طفل وليد.

ثلثة من الفتيات المحليات في عباءات سوداء وأحمر شفاه
ثقيل قلبت إلى سحالٍ خضراء، الواحدة في حجم سيارة
مرسيدس، رياضية، من الفزع والجوع التهمن مجموعة من
الحضرة قلبتهم الأفراس إلى ماعز، الواحدة في حجم طاولة قهوة.
من الضموء الأبيض عبرت كائنات كاملة وشفرات وراثية غير
مكتملة، من فوضى الأزمنة السابقة التي افترستها أفراس
الزمن يهاد برأس قندس أتي من زمن المجاعة إلى الحفلة.
فشرع لوسه ونشابه. عبرت كذلك طيور اللقلق العملاقة في
السماء، في مخالبا ربطت حبال سمكة تحمل طناجر معدنية.
في كل لحظة طفل وحشي يبصق على الحضور مياه النار
الحمضية. سمكة شبوط عظيمة تسبح في السماء على ظهرها
فيلاح وزهرته وشمس وشجرة نبق.
ثم من ظلام.

لم يجمع سوى صوت الكورال ينشد "غرباء.. غرباء".

تقدم موكب طيور الغرائيق العملاقة، تحرسها أسماك
العنكبوت تحمل على خياشيمها السماعات الصاخبة، تعلن
اقتراب وصولها إلى المكان بأصوات الصرير والنعر.
من لم ينقلب أو يُسخط أو يتحول من الحضور، انفجرت
طبول أنفهم من الصخب المصاحب لموكب الغرائيق
والعنكبوت. ثم أمطرت السماء عناقيد من العنب.

هروول نسيم والساحر مجدي من المكان مع اشتعال الضوء الأبيض، لم يعد الساحر مجدي أشقر الشعر الآن، بل عاد أسود ببشرته سمراء.

تركا الحفل وخرجا إلى رصيف الشارع الرئيس، لكن افتراس أفراس الزمن بدأ، فشاهدا الرصيف يتبدد في رمال الماضي تحت أقدامهما. من حقيبة ظهره التي يحملها، أخرج الساحر مجدي عصا يبلغ طولها شبرين، ضرب رمل الطريق بالعصا، فانشقت الأرض لتكشف باب قبو مد يده وفتحه، ونزل السلام يتبعه نسيم.

فتح بابًا ثانيًا، فخرجا في مكان آخر. ذهل الساحر مجدي، حين أبصر أمامه "معامل البحوث الطبية الميتافيزيقية" أو منزل/ معمل ماما كريمة. منبع ذهول الساحر مجدي انتصاب المبني شامخًا في حين أن ما حوله تبر وهباء منشور، أجزاء من المبني تشع ضوءًا ذهبيًا، بعض الأطراف ذاب قليلاً كما الجينة الشيدر في الفرن. لكن غير ذلك لم يتأثر المبني بكل ما يدور خارجه، ما يعنى تحصينه وحراسته.

أيقن الساحر مجدي بالخطر، التفت إلى نسيم وسأل: "هل أحضرت أي شيء من رائحة فرح؟".

أخرج نسيم توكة شعر من جيبه. ربطها الساحر مجدي حول طرف عصاه، وضرب بها رمال الأرض، فانشقت رمال الأرض وظهر باب آخر. خاطب نسيم:

- لا وقت، اذهب أنت وأحضر فرح، وسأحضر أنا ماروت.

خرج نسيم من الباب فوجد صحراء ذهبية من كل الجهات. كان ليلاً وقتما ترك الساحر مجدي، أما الآن فالشمس في طريقها للغروب تضيء الصحراء بضوء برتقالي. تلفت حوله فلم يجد للمدينة أثرًا، ابتلعت الصحراء نيوم.

تسلق تبة رملية، وصل إلى القمة فرأى واديًا عميقًا ينبسط أمامه حتى قمة جبل رملي آخر. في قاع الوادي ملح خيمة بيضاء، ثم رأى ظل امرأة تتدثر في ملابس فضفاضة وتهرول من الجبل المقابل نحو الوادي في اتجاه الخيمة.

على باب "معمل البحوث الطبية الميتافيزيقية" رأى الساحر مجدي أربع قطط عمياء تستلقي في كسل، فعلم من يحرس المعمل.

الآلهة الوثنية القديمة.

حاول تفادي اللقاء منذ التحذير الذي وصله مع "عنخ أس با آتون" في الفصل الثاني من هذا البنيان، حين تجلت له "أس با آتون" في هيئة سائق التاكسي المقرز أكل البرابير. الآن يقفون في طريقه. ترك لهم القاهرة وبلدهم المقدس، المحمل بشكاير التاريخ، وبثقل الرموز والدلالات.

380 | والنمور لحجرتي

تخلى عن الملايين المحبطة، وتقبل كسرة نفسه وهو يرى حلمًا شارك فيه الملايين يتبدد، ولذا نذ ثورة لم يتذوق في طعامتها شيئًا يخطفونها من أفواههم ويشدون عليها السيفون. ثم لم يكتفوا، الآن يتحالفون مع ماما كريمة ويخطفون منه حب حياته.

رفع ساعده الأيسر نحو فمه، وبأسنانه عض ذراعه فنزع شريانه الكعبري من لحمه، بضروسه هتك الشريان فانساب الدم الأحمر قانيًا منه. بصق ما علق في فمه من أنسجة، غطى الدم فمه وأسنانه. نزع حقيبة ظهره ومنها أخرج مطواة قرن غزال، فتحها بيده السليمة، ثم وضع النصل تحت الدم الناظف من شريانه. زفر المطواة. خلع حذائه الرياضي ثم جراب قدمه الأيمن، ومسح المطواة في كعب قدمه.

أخرج من الحقيبة ضمادة ذات لون أرجواني، وضعها على الجرح ولفها حول ساعده، فتوقف نزيف الدم فورًا. ارتدى حذاءه، وتقدم نحو الباب الرئيس للمعمل. وقفت القطط الأربعة متحفزة، لوح الساحر مجدي بجرابه، ثم رماه بعيدًا فجرت القطط العمياء نحوه. تقدم نحو الباب المغلق وضربه بالعصا، فانفلج الباب وانفتحت أبواب المعمل المغلقة كلها.

الأبعاد والمسافات في الصحراء تبدو على غير حقيقتها. ظر، نسيم أن الخيمة قريبة، لكن كلما خطا هابطاً نحو الخيمة والمرأة الملتاعة، شعر بالمسافة تطول أو الخيمة تبتعد.

دخلت الرمال في حذائه، غرزت قدمه في الرمال، وبعد بضع خطوات كان ينهج من التعب والإجهاد. توقف للحظات ثم تنفس عميقاً وانطلق محاولاً الإسراع، لكن تعثر في هرولته، فوقع وتدحرج جسده على الجبل الرملي. تدحرج.. تدحرج..

صفارات الإنذار تدوي في مبنى معمل البحوث الطبية والميتافيزيكية.

في القاعة الرئيسة طنجرة الطهو العملاقة، سقطت وانسكبت محتوياتها. النار التي تدفئها خمدت. في زاوية تشبث الخال سام برقبة الساحر مجدي، في حين حمله الأخير كما تحمل الأم رضيعها المريض.

يحاول الخال سام التحدث، لا يخرج من فمه سوى فحيح، يتحسس الساحر مجدي الطوق حول رقبة خاله وحببته. لا يعرف ماذا يفعل ولا كيف يفك الطوق.

الطوق يمنع الخال سام من التحدث أو استخدام قدراته بغير إذن ماما كريمة، رائحة الدخان تملأ المكان، والساحر مجدي يدرك أن المبنى سيتهاوى في هذا الفصل ويجب أن

يخرجنا من هنا. انفعّل الخال سام فجأة وازدادت حدة فحيحه وهو يشير إلى نقطة خلف الساحر مجدي.

التفت مجدي، فلمحها. انتصب واقفًا. أمامه امرأة طولها يبلغ الثلاثة أمتار، جسد أنثى ووجه لبؤة، وفوق رأسها قرص ناري. "باخت" الحرب القديمة، لبؤة الصحراء، إلهة فم الوادي، مَنْ تمزق بمخالبها، مَنْ تفتح الطريق أمام الأمطار العاصفة، صيادة الليل ذات العين الحادة، في يدها منجل، وفي الأخرى سلاح حرب.

أنزل الخال سام على الأرض، ومن حقيبة ظهره أخرج علبة بيرة من الصفيح، رأتها باخت فسقط المنجل من يدها، لأنها فردت ذراعها وزارت لبؤة الحرب في عطش. رفع الساحر مجدي علبة البيرة وفتحها.

فارت البيرة وخرجت رغوتها، سالت على يده وجدران الصفيح الخارجية ثم سقطت على الأرض، استمرت الرغوة في الفوران والتضاعف. رمى مجدي صفيحة البيرة على الأرض، دحرجها في اتجاه باخت، فانزلقت الإلهة اللبؤة على الأرض وأمسكت بالصفيحة، رفعتها إلى فمها وابتلعت مشروب البيرة الذهبية، ثم انحنى على الأرض تلعق الرغاوي.

على كتفيه رفع الساحر مجدي حبيبه الخال سام، حمله وخطا نحو باب الخروج.

صرخت كل عضلة وعظمة في جسد نسيم من الألم، تحامل حتى نهض على قدميه. نظر إلى أعلى واستغرب كيف يبدو الجبل الذي هبط منه مرتفعًا، وحين كان على قمته بدا القاع أقرب ما يكون.

جول بعينه في الوادي، لم يجد سوى الخيمة البيضاء المنتصبة فتقدم نحوها. الشمس ارتدت لونها برتقاليًا قانيًا. أرض الوادي عكس الجبال والكثبان الناعمة التي تحيط به صخرية. المشي أيسر. لاحظ بعض الصخور يلمع بشكل غير عادي. توقف، انحنى، أمسك حجرًا في حجم إصبعين، رفعه أمام عينيه. قطعة ذهب. قلبها نسيم في يده ثم نظر حوله، على ضوء الشمس الغاربة بدت أرض الوادي حديقة للذهب والأحجار اللامعة.

وضع القطعة في جيبه وتقدم في مسيرته نحو الخيمة. تمسح عيناه الأرض التي يخطو عليها. انحنى والتقط حجرًا.

رفعه إلى السماء. نظر إليه من خلال نور الشمس، قدر أنه إما كريستال أو ماسة. لم يعرف الفرق بين الاثنين.

وصل الخيمة، أزاح ستار الباب وهو يأمل كوب ماء يبلل به شفثيه. سقف الخيمة مقوّر لذا يدخل الضوء من أعلى وينتشر في كل مكان. بساط من جلد البقر على الأرض، فراش خشبي مفروش بفراء الخرفان، وعلى الأرض فرشت مائدة عليها أوعية ذهبية مختلفة الأشكال والأحجام، مُزينة بنقوش وزخارف مُتنوعة، بعضها محلى بفصوص الجواهر.

لكنها جميعًا خالية، ولا نقطة ماء، ولا قطعة طعام من أي نوع، ولا أثر يدل على صاحب الخيمة.

شعر بحرقان في حلقه نتيجة العطش، ثم انتبه أنه لا يعرف طريق الوصول إلى الساحر مجدي. ثم أين هو الآن؟ تملكه الفزع، فحاول صرفه عبر التفكير بنحو عقلائي، لكن لا شيء حوله عقلائيًا.

سكرت "باخت" إلهة الحرب، وحينما ذهبنا السكره وجاءت الفكرة، رفعت رأسها فلم تجد الساحر مجدي. زار رأس اللبؤة، حاولت النهوض لكنها هوت بجسدها الثقيل على الأرض، ثم شعرت بسكاكين تقطع أمعاءها، تقيأت ما شربته فخرج من جوفها دم لا بيرة. أدركت الحيلة.. سممها ابن الإنسان.

صرخت متألمة، فخرجت من قاعة أخرى أختها "سخت" وكانت في غرفة المراقبة المركزية للمعمل تحصن المبنى من هجوم أفراس الزمن. تبادلنا الزئير والصرخ، نار الغضب أضاءت حدقة عين سخت، حملت جسد أختها المغطى بالدماء على كتفها، وسارت تبحث عن فعلها في شقيقتها.

جلس نسيم على الفراش. حاول التفكير في أي شيء. لكن الشيء لم يحضر. لا شيء في هذا الزمن، وهو لا يعلم في أي زمن

هم، فأطلاق الأفراس الزمنية كفيل بإفساد التاريخ كما يعرفه،
بالتالي يسير التاريخ بلا علامات. تيه ممتد كما الصحراء
الذهبية.

في جدله الداخلي وتفكيره في العودة من حيث أتى أو البحث
في الصحراء عن فرح، لم يسمع سوى صوت الهواء يصفع كئيبان
الصحراء خارج الخيمة، لكنه أنصت لصوت بكاء طفل. كتم
نفسه للحظات، ليكثف تركيزه في الإنصات. نعم، صوت بكاء
رضيع.

خرج من الخيمة، نظر إلى مصدر الصوت فوجد في طرف
الوادي طيف المرأة التي رآها من أعلى الجبل، وحين هبط
متدحرجًا اختفت ولم يجد لها أثرًا.

تقدم نحو المرأة وهو يهرول على الأرض الصخرية للوادي،
وكلما اقترب منها ارتفع صوت بكاء الطفل.

خرج الساحر مجدي حاملاً خاله سام على كتفيه، استطال
جسده حتى بدت ملابسه قصيرة عليه. ابتعدا مسافة مئة متر
عن معمل وبيت الماما كريمة. وضع خاله على الأرض. مد يده
إلى الطوق حول رقبته وقال له، ما سيحدث قد يؤلم.

جزء من الطوق حول رقبة الخال كان مغرورًا في لحم
الرقبة. بالمطواة قرن الغزال، كشط الساحر مجدي الجلد،
فنزح الطوق المغرور في الرقبة. شهق الخال سام متألمًا، بنصل

المطواة أكمل مجدي مهمته وقطع الطوق. انفجر الدم من رقبته الخال سام، فأخرج مجدي الضمادة السحرية ووضعها على رقبته.

رفع رأسه لينظر حوله، شاهد الرمال تلتهم أطلال المباني التي تقاوم أفراس الزمن، بضعة مباني انتصبت في شموخ، مباني أخرى مُتضررة بنحو كبير، أكلتها أفراس الزمن والرمال.

أيقن الساحر مجدي بأنه لم ينتصر، أيقن بسوء تقديره لقوة الأمير وماما كريمة وحلفائها من رجعات الماضي وحجاري المستقبل. حانت منه التفاتة إلى الخلف فرأى إعصارًا، في مسيرته يمسح ويمسح ما تبقى من أطلال المدينة الرملية وموانئها الصناعية الصحراوية. يتسارع الإعصار جاذبًا نحو فجوته الفراغية أفراس الزمن. للمرة الأولى يشاهد هذا السلاح، لكنه أدرك بسرعة ما يحدث، وأن أفراس الزمن التي عول عليها في صنع النهاية لن تلتهم نيوم كما توقع.

هوى من السماء زورق أبيض بمحرك واحد. غطست مقدمته في الرمال ثم طفا على السطح، زورق صحراوي معد لاجتياز الصحراء والرمال كما سفينة الصحراء. في الغالب رفعه الإعصار من الميناء الصحراوي في قلب المدينة القديمة حيث معمل وبيت ماما كريمة.

التأم جرح الخزان سام سريعًا، وبدأ يستعيد وعيه، وإن كانت المخدرات والعقاقير تسيطر عليه، لا يزال وجهه الحبيب

أصفر. الساحر مجدي يعانقه ويقبله. أخيراً ابتسم الخال الحبيب وهمس: "أنا بخير.. شكراً لأنك لم تتخلّ عني".

قبله الساحر مجدي في شفّيته، لكن صم آذانهما زئير اللبوة ومواء القطّة. باخت تزار وهي راکعة على الأرض، في حين وقفت سخمت في وضع الهجوم. همست بشيء ما في أذن أختها، ثم جرت في اتجاه مجدي وخاله.

في هرولته نحو المرأة والطفلة الباكية، ورغم ثبات نظره عليهما، اختفيا من أمام عينيه ثم ظهرتا مرة أخرى كأنهما هو فعل السراب. ولولا صوت بكاء الطفل لظن أنه تخيل وهلاوس أخرى.

تتلقت المرأة حولها في فزع لا يتناسب مع ملابسها التي تحمل مظاهر النعيم، فثوبها أبيض مُطرز بخيوط زرقاء من الحرير، مشقوق من الجانبين حتى أعلى ركبتها. شيء ما في جلستها وطولها ذكر نسيم بفرح، لكن لم يكن في شعرها أي أثر للصبغة والحنة التي وضعها معها، ومع ذلك جعل من وهمه أملاً وتبعه مهرولاً وهو ينادي "فرح.. فرح".

رفعت المرأة رأسها تنظر إلى نسيم. على بعد خطوات معدودة، تأكد من أنها فرح وإن زاد وزنها قليلاً، وضاعت حنة شعر جبهما، وجهها خالٍ من المكياج، عيناها مُحاطتان بكحل كثيف لكن دموعها أسالت الكحل على وجنتيها. تبكي في لوعة،

ويعلو صوت بكاء الصغير وهو يتلوى ويحرك أطرافه في كل مكان، ويخبط الأرض بقدميه. من موضع ضربه الأرض بكعب قدمه اليسرى خرج سائل أسود سميك، ينز من جرح في الأرض الصخرية للوادي، ومن موضع ضرب كعبه الأيمن للأرض خرج خيط رفيع من المياه.

بأصابعها حفرت فرح في الأرض الصخرية، تحوط ينبوع الماء المتدفق بحفر حوض تتجمع فيه المياه. جرحت أصابعها واختلط الماء بدمها، لكن استمرت في الحفر، والماء في الخروج.

حادثها نسيم:

- فرح، ماذا تفعلين؟ طفل من هذا؟

رفعت رأسها بمزيج من الخوف والغضب، بورترية للوعة والفرع. حركت يديها المبللتين بالماء والدماء في الهواء وهي تحدّثه، لكن الكلام خرج منها إلى أذنه دون أن يفهم ولا كلمة.

جلس أمامها. خفت بكاء الطفل. مد نسيم يده يلمس السائل الأسود الذي يتدفق من موطن كعبه الأيسر، لزجًا كثيفًا ذا رائحة نفاذة، كان بترولاً.

رفعت الرضيع الملفوف في أقمشة رمادية، نظرت في غضب إلى نسيم، زعقت متحدثة بلغة غريبة. بدا واضحًا لنسيم أنها لا تعرفه، بل تخاف منه وترتعب. "ربما اختلط عليّ الأمر وهذه ليست فرح"، خاطب نفسه. بللت فرح أو شبيهتها طرفًا من القماش الملفوف فيه الرضيع بالماء المنبتق من الأرض، ثم بطرف

القماش بللت وجه الرضيع وشفتيه، حرك يديه ورأسه محاولاً التقاط القماش المبلول في فمه، لكنها اكتفت بعصر الطرف المبلول فتساقط المياه قطرات صغيرة في فم الصغير.

هدأ بكاء الرضيع. الماء استمر ينبثق، والبترول يخرج من الأرض كجرح ينز. وضعت المرأة رضيعها على حجرها، ناولته طرف إصبعها فأخذ يمص فيه، سكنت حركته في حين استمرت في هزه مستغرقة في عالمها.

بسكون بكاء الرضيع، شملت الوادي سكينه الغروب.

قطع الصمت هدير محرك كهربائي، شاهد زورقاً أبيض بمحرك واحد ينزلق فوق الكثبان الرملية، من الزورق نادى عليه الساحر مجدي:

- اركب معنا.

نهض نسيم وجري باتجاه الزورق الأبيض. بضعة أمتار ثم وقف ينهج، أتاه صوت الساحر مجدي:

- اجر يا نسيم.

رفع رأسه فشاهد خلف الزورق الأبيض سفينة "جالبوت" خشبية، مثل سفن صيد اللؤلؤ القديمة، ينتصب عليها صارٍ خشبي، وشرعها مفتوح، وفوق المركب عبيد سود يجذفون في الصحراء دافعين المركب لتمخر عباب الرمال، وصيادو لؤلؤ يتشبثون بالصاري، وأعراب يجرون سفينة الصحراء، وعدد كبير من المحاربين بصدور غارية يحملون السهام والحراب، وفي

مقدمة السفينة امرأة عظيمة القامة برأس هرة تموء وتصرخ في المحاربين، فيلقون سهامهم باتجاه زورق الساحر مجدي الأبيض الذي يناور محاولاً تفادي رماح وصراخ محاربي الجالبوت.

أدرك نسيم طبيعة المطاردة، اندفع الأدرينالين في كل جسمه، وبطاقة الخطر كالهارب من الهلاك ركض في اتجاه الزورق محاولاً تقريب المسافة. شعر بنار في صدره تحرقه من الجري لكن استمر في الركض. ناور الساحر مجدي بالزورق، ثم وقف الخال سام ورمى كرة خلفهم، فانفجرت في دويٍ عظيم وأحدثت موجة من الرمال غيرت مسار جالبوت صيادي اللؤلؤ وأعرابيي الصحراء وآلهة الماضي بعيداً عنهم. أوقف الساحر مجدي الزورق للحظات، ومد يده إلى نسيم، سحبه إلى أعلى فوق الزورق. رحب به الخال سام، عاري الصدر لا يرتدي سوى بنطال أزرق قطني والدم يلوث صدره مكان الضمادة الموضوعة على رقبته. استعادت عيناه بريقهما، الحماس يشع منهما، يصرخ ويتوعد ركاب سفينة الجالبوت الشرعية.

أدار الساحر مجدي المحرك، سأله نسيم:

- إلى أين سنذهب؟
- إلى طريق السويس، ومن هناك إلى القاهرة علنا نجد فيها شيئاً تبقى بعد غرقها في الرمال.

شجر الخال سام وقال له:

- أي قاهرة؟ اختفت القاهرة تمامًا في الرمال، لا يمكن أن نذهب إلى القاهرة.

دفع الساحر مجدي ذراع السرعة، وقال:

- تسونامي الصحراء سيوفر لنا الغطاء المناسب للهروب، وأعرف شخصًا في 6 أكتوبر يمكن أن يساعدنا.

ما إن أنهى جملته، حتى صرخ الخال سام. التفت نحوه فوجده مستلقيًا على الأرض وسهم فضي لامع مغروز في صدره. ترك الساحر مجدي دفعة القارب وقام فزعًا باتجاه خاله الحبيب، لكن الأخير أبعده بيده وقال هذا سهم بقنبلة سوف ينفجر داخلي. تكور الخال سام على نفسه، ودوى انفجار مكتوم، ثم همدت حركة جسده، ومن فمه انسابت الدماء مخلوطة بعصارة المعدة، ومن أذنه اليمنى خرج خيط من الدم الأحمر سال على وجنتيه حتى أرضية القارب البيضاء.

مد الساحر مجدي يده لينزع السهم، لكن ما إن قبض عليه حتى صار ترابًا وتفتت بين أصابعه، ومن موضعه تدفقت الدماء، حاول إيقافها، لكن تدخل نسيم، وصرخ فيه "دعه لي وأخرجنا من هنا". ازداد جنون الأعراب والأجلاف والآلهة المصرية القديمة، ارتفع صراخهم ونعيقهم، دماء الخال سام أسالت اللعاب من أشداقهم، وخشب الجالبوت يقطع وهو يشق الصحراء نحو زورقهم.

احتار الساحر مجدي بين مواجهة قتلة مركب الجالبوت
الأعراب، أو الهروب لعله ينقذ حبيته. خلع قميصه ووضع
على صدرها، زعق نسيم فيه مكرراً نداءه "أخرجنا من هنا".
رفع مجدي العصا السحرية القصيرة، قذفها باتجاه جبل رملي
ينتصب في طريقهم، انشق نصفين، عبر بينهما الزورق الأبيض،
ثم انغلق الجبل من خلفهم.

أحمد ناجي

أرلجتون، فيرجينيا

2019

شكر

- أنشودة غرباء التي ترد للمرة الأولى في الفصل الثالث ويتكرر صداها في الفصول الأخيرة، هي أنشودة مجهولة من أدبيات الحركات الإسلامية، يتم نسب كلماتها إلى سيد قطب أحياناً وإلى سعد الغامدي أحياناً أخرى.
- في الفصل السابع أغنية "كان ودي نلتقي" من كلمات الشاعر علي عسيري (1952) وغناها أول مرة عبد الله رشاد ونوال الكويتية.
- في الفصل الرابع؛ قصيدة انتحار مؤقت لجورج حنين (1914-1973) نشرت باللغة العربية في مجلة التطور عام 1940.
- في الفصل السابع والعشرين، يحضر بيت من قصيدة بديع الزمان الهمذاني (969-1008) والتي مطلعها (ما

للخزامي تعود نسرينا/ وليالي حكمها فينا). في الفصل ذاته يتردد صدى من أغنية ماجدة الرومي "ساعات أقوم الصبح قلبي حزين" من كلمات صلاح جاهين (1930-1986).

على طول الرواية، تحضر بدرجات متفاوتة أطياف سوزان سونتاج، بدر الديب، جويس منصور، جورج باتاي، جيل دولوز، موريس بلانشو، عبد الفتاح كيليطو، وعلى طالباب ونباح أحد عشر كلبًا في صحراء أكتوبر.

ما كان لهذا العمل أن يظهر في شكله النهائي لولا مراجعات وملاحظات الأصدقاء: ميرهان فؤاد، عائشة أحمد، غادة الطنباري، محمد ربيع، أحمد وائل، متعب، في أحمد، إسلام الرفاعي (خرم)، منى كريم، صلاح باديس، ياسمين حسام الدين. وأخيراً جهود العاملين في دار المحروسة للنشر، سواء في قسم التحرير أو المراجعة اللغوية.

في روايته الثالثة يشيد أحمد ناجي من زواج فاشل وقصة حب هشة عالمياً روائياً يمتد من القاهرة لسيناء لنيوم. وينمو خطه الزمني من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد إلى المستقبل القريب، القادم نحونا بعنف ليدهننا.

أحمد ناجي كاتب وروائي ومجرم. مواليد المنصورة 1985. صدر له روايات: روجرز، استخدام الحياة. ومجموعة قصصية واحدة "لغز المهرجان المشطور".

والله نور لمصريتي

تتمتع هذا المصطفى من هذا العالم من كل شيء لا يملك
بعض منيه ويملك في عينه نظرة ضعيف لم يجمع في العالم
منها. (جوكر فكرياً) لثاني (مخدوم) مشكلة واحدة تؤرقه حياتكم

تساقط الجثث في شوارع القاهرة بينما ساحر شاب لا يستطيع التمتع
بثروة كارتة أكبر، وشريك في السكن عالق في مقطوعة إلكترونية غير
مكتملة، لكن وحدها "فرح" تعافر حتى تجد مهرب من هذا الخراب
الليمر على هيئة دولة، ودولة بلا خيال جمعي.. امرأة تكد ربتها،
شراء للإبل، وملابس أكبر للجولف، رحلة النهر يتناولون في السفينة
لحسات مبهوسة.. مدينة ذات قمر مشرق في وجهها
تخرج من صبرها ألف موهبة وموهبة

